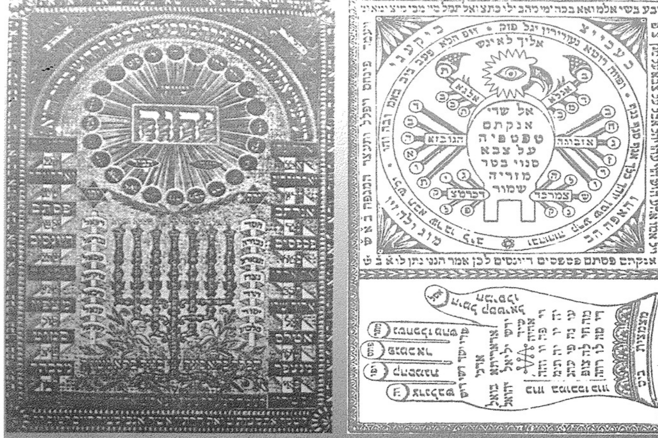
Ein

دكتورة هدى درويش

حقيقة يهود الدونمة فى تركيا

وثائق جديدة



حقيقة يهود الدونمة فى تركيا

« وثائق جديدة »

دكتورة هدى درويش

معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهوارى

د. شوقى عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

مدير النشر:

محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف: محمد أبوطالب

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تبقى مشكلة اليهود الذين اعتنقوا الإسلام مشكلة تؤرق الباحثين فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ؛ إذ إن هناك شكوكًا كثيرة تحوم حول صدق اعتناق اليهود الدين الإسلامى، وهى شكوك لها ما يبررها . ومن ناحية أخرى ، فإن مشكلة تاريخ الجماعات اليهودية المختلفة فى بلدان العالم الإسلامى لم تنل حظها من الدراسة العلمية الموضوعية. ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة التى تقدمها الدكتورة هدى درويش عن «حقيقة يهود الدونمة فى تركيا » أو فى الدولة العثمانية التى كانت آخر قوة إسلامية عالمية تتولى حماية دار الإسلام وتمثل العالم الإسلامى أمام القوى العالمية المختلفة بشكل عام ، وفى مواجهة القوى الأوربية الصاعدة آنذاك بشكل خاص.

والسؤال الذى تطرحه هذه الدراسة المهمة التى قامت بها الدكتورة هدى درويش، المتخصصة فى الدراسات التركية، يتعلق بهوية يهود الدونمة الحقيقية : هل هم يهود أم مسلمون ؟ إن الخصائص الفريدة ليهود الدونمة تجعل منهما نموذجًا لجماعة مزدوجة الثقافة ، ثنائية الهوية، لم يحسبها المسلمون ضمن روافد التيار العام المسلم من ناحية، كما لاتنطبق عليهم هوية الجماعة اليهودية التقليدية من ناحية أخرى. هل يمكن لجماعة بشرية أن تمزج بين هويتين دينيتين ؟ هل يمكن أن يكون الدونمة يهوداً ومسلمين فى آن معا؟ ما خصائص هذه الجماعة ، وما أصولها التاريخية ، وأخيراً ما حقيقتها ؟

كل هذه الأسئلة يتناولها البحث الذى قامت به الدكتورة هدى درويش فى إطار أكاديمى وموضوعى جاء ينشد الحقيقة التاريخية، ويسعى وراء المعرفة والكشف عن غوامض طائفة يهود الدونمة. فالحقيقة أن هذه الطائفة لاتمثل ظاهرة فى التاريخ الاجتماعى فحسب؛ ولكنها أيضًا ظاهرة ثقافية واجتماعية وأنثروبولوجية فريدة . ومن هنا جاءت أهمية دراستها والبحث عن حقيقتها.

ولسنا بحاجة إلى أن نكرر ما جاء فى هذا الكتاب، صغير الحجم كبير القيمة، من نتائج ومعلومات توصلت إليها الباحثة الدكتورة هدى درويش، ولكننا نكتفى بالسعادة والفخر الذى نشعر به فى دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ونحن نقدم هذا الكتاب للقارئ العربى دون أن ننحاز سوى إلى البحث العلمى الرصين والسعى وراء الحقيقة.

والله الموفق والمستعان

دكتور قاسم عبده قاسم

المقدمة

يهود الدونمة .. طائفة عاشت فى تركيا منذ القرن السادس عشر ، ولاتزال أصولها قائمة حتى وقتنا الحاضر، تميزت بجمعها بين الهويتين ، اليهودية والإسلامية ، فهى يهودية الأصل والمنبع والجذور، دخلت الإسلام بهدف التستر خلفه لتحقيق الغرض الذى يسعى إليه كل يهود العالم، وهو الاستيلاء على فلسطين بزعم إحياء أسطورة إعادة مُلك سليمان وإقامة دولتهم الكبرى التى تحكم العالم من فلسطين .

وقد تمثل لنا أسلوب اليهود هذا فى علاقتهم بتركيا والدولة العثمانية تلك العلاقة التى بدأت جذورها فى القرن الرابع عشر وقت ظهور الدولة العثمانية، حيث رحبت باليهود النازحين والفارين إليها من الاضطهاد الأوروبى المسيحى الذى واجهوه فى البلاد الأوربية وخاصة يهود أسبانيا الذين تم نفيهم وطردهم تنفيذا لمرسوم نفى اليهود من البلاد والذى تم توقيعه على يد الملك فرديناند والملكة ايزابيلا . وقد وجد هؤلاء اليهود المهاجرين فى الدولة العثمانية الأمن والأمان اللذان لم يعهدانه فى أية دولة أوربية أخرى.

وكان المجتمع اليهودى فى الدولة العثمانية يتكون من ثلاث مجموعات : الأولى : اليهود الذين عاشوا فى الدولة البيزنطية ثم خضعوا للدولة العثمانية التى حلت محلها ، والثانية اليهود المهاجرين من النمسا والمجر وروسيا وألمانيا وبولندا ، أما المجموعة الثالثة فكانت لليهود المهاجرين من أسبانيا والبرتغال وإيطاليا نتيجة للاضطهادات التى لاقوها فى تلك الشعوب.

وقد قام الأتراك بتقديم المساعدة لهؤلاء اليهود تطبيقا لنظام التسامح الإسلامى مع أهل الذمة الذى كان يسود الدولة، حيث وجهوا مجموعات كبيرة منهم إلى المدن الرئيسية فى الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنه وإزمير وسالونيك ، فقام اليهود بالسيطرة على المرافق الاقتصادية والميادين التجارية وتمتعوا باستقلال ذاتى

استطاعوا عن طريقه ممارسة شئونهم الدينية بحرية تامة وتم منح الحاخام اليهودى تمثيل جميع اليهود فى الدولة أمام الحكومة العثمانية[1].

وأصبح اليهود فى الدولة العثمانية منذ هجرتهم إليها من أسبانيا من كبار أصحاب المحلات التجارية فى إزمير وسالونيك وإستانبول ، وكان يهود استانبول ينافسون ، الصدر الأعظم والوزراء الأتراك فى فخامة منازلهم إلى جانب ادارتهم العديد من الأنشطة وشغلهم الوظائف الهامة فى الدولة [2].

وفى القرن السابع عشر قامت حركات يهودية فى الدولة العثمانية أطلق عليها اسم «حركات تحرير» تدعوا إلى هجرة اليهود إلى «الأرض الموعودة» فلسطين، وكانت فلسطين ضمن ممتلكات الدولة العثمانية ، مما سبب توترا فى العلاقات اليهودية العثمانية ، وعرفت هذه الفترة باسم مرحلة «العد العكسى للنفوذ اليهودى فى السلطنة العثمانية».

وفى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) بدأت الدولة العثمانية تسير نحو الانهيار حيث دخلت فى سلسلة حروب مع روسيا والبنادقة وظهرت موجة معادية لليهود فى روسيا وبولندا وأوكرانيا . فى ذلك الوقت بدأ يسرى لدى اليهود الشعور بوجوب التخلص من سلطة الغير عليهم فسيطرت عليهم فكرة ضرورة الخلاص [3].

وبدأ مفكرو حاخامات اليهود فى اللجوء إلى الكتب والنصوص الدينية القديمة فى ديانتهم يستلهمون منها فكرة خلاصهم فتملكتهم فى تلك الآونة ، فكرة المسيح المنتظر الذى سيأتى ويعيد إليهم ملكهم واستقلالهم متخذين من الدين

١- أحمد نورى النعيمى، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير ، الأردن، ١٩٩٧ م، ص٣٨ .

٢- انظر محمد نور الدين، تركيا فى الزمن المتحول، دار رياض الريس، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٧٧ ، ١٧٨ .

٣- أحمد عثمان ، تاريخ اليهود ، ج٣، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥٥ .

ستارا لانجاح دعوتهم وإثبات كيانهم، ومن ثم ظهرت دعوة سبتاى زفى الذى أعلن أنه المسيح المنتظر وكون جماعته التى سميت بالدونمة ، تلك الجماعة التى اتخذت نمطا دينيا إسلاميا يهوديا بينما أحدثت الكثير من التأثيرات السياسية والعقائدية والاقتصادية والإعلامية فى تركيا حتى وقتنا الحاضر.

ويهود الدونمة ، طائفة يهودية دينية ظهرت فى مدينة إزمير بتركيا فى القرن السادس عشر الميلادى .

اشتهرت هذه الجماعة باتخاذها شخصيتين مزدوجتين ، الشخصية الإسلامية الشكلية والشخصية اليهودية الأصلية حيث أعلنت إسلامها ظاهرا وفى الوقت نفسه ظلت محتفظة بأسمائها وألقابها اليهودية، فكانت تمارس الشعائر الإسلامية ظاهريا مع أدائها جميع طقوسها اليهودية داخل المعابد اليهودية سراً.

وقد أدت هذه الطائفة دوراً مؤثراً وملموسًا فى المجتمع التركى فى مختلف المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية على الرغم من حرصها الشديد على أخذ أسلوب السرية والحيطة فى عملها .

وفى نفس الوقت حرص الأتراك واليهود فى آن واحد على إخفاء نشاط هذه الجماعة وعدم الاعتراف بهم فقد أخفى الأتراك نشاط تلك الجماعة نظرا لتأثيرهم على المجتمع التركى وتسللهم إلى مختلف أوجه الحياة التركية. وأما اليهود فقد أنكروا وجودهم وحقيقتهم نتيجة لاتخاذهم من التوراة مبادئ فلسفية منحرفة عن الشريعة اليهودية . بالإضافة إلى تحليلهم المحرمات التى تضمنتها التوراة.

وتعرف جماعة يهود الدونمة بالسبتائية نسبة إلى مؤسسها سبتاى زفى[1] الذى ظهر فى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) .

١- النطق الصحيح للاسم «شبتاى بن صبى» كما ورد فى المصادر العبرية أما المصادر التركية فتستخدم اسم سبتاى زفى وتطلق على جماعته السباتائيون وفى هذه الدراسة سوف نستخدم الاسم نسبة إلى كتاب «السبتائيون فى تركيا» الذى نقدمه للمرة الأولى وهو مكتوب باللغة التركية.

وقد ظهرت هذه الطائفة اليهودية بهدف الاجتماع تحت قيادة واحدة يتحررون فيها من سلطة الغير نتيجة لعقدة الاضطهاد التى كانوا يواجهونها فى كافة شعوب العالم لذا سيطرت عليهم فكرة ظهور مسيح منتظر يخلصهم من المعاناة والاضطراب الذى فى داخلهم فأعلنوا ظهور سبتاى زفى فى هيئة المسيح المنتظر الذى سوف يقودهم إلى سيادة العالم.

والمسيح كلمة عبرية تعنى «المطهر» ويطلق هذا اللفظ فى التوراة على الملوك والأنبياء والرجال الذى يقومون بعمل دينى مقدس والمعنى الخاص له هو النبى أو المخلص الذى يرسله «يهوه» لإنقاذ بنى إسرائيل، وفى العبرية يستخدم تعبير «هاميليخ هامشيح» بمعنى الملك الممسوح للدلالة على المسيح [١]. وقد تطور هذا المعنى وأصبح يشير إلى ملك من نسل داود سيأتى بعد ظهور النبى الياهو ليجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعة المكتوبة والشفوية [٢].

والدونمة صفة مشتقة من المصدر التركى Donmek ويعنى العودة أو الرجوع أو الارتداد أى العائد الذى أسلم بعد أن كان يهوديا وتعنى اصطلاحا المسلم ظاهرا، اليهودى فعلا وباطنا وفى مصادر أخرى تعنى الدونمة المبدل لدينه[٣].

والدونمة فى المعنى العام تعنى عودتى وتستخدم لمن يترك دينه ويدخل الإسلام أما «الدونمة ليك» فى التركية (Donmalik) فتعنى الارتداد عن الدين. وهناك تفسير آخر للدونمة يقول إنها كلمة مركبة تتكون من شقين «دو» بمعنى اثنين «ونمه» بمعنى الفرقة القائمة على نوعين من الأصول «النوع اليهودى» والنوع الإسلامى وأصل هذا التفسير فارسى[٤].

١- محمد حرب، يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد، مجلة العربى، عدد ٢٥٥، ١٩٨٠، ص٤٤ .

٢- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥م، ص٣٥٣ .

٣- أرنست . أ. رامزور ، تركيا الفتاه ، ترجمة صالح أحمد العلى، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٦٠ ، ص١٩٤ ، ١٩٥ .

٤- حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلى ، أطواره ومذاهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥م، ص٢١٠ .

والدونمة هى اسم يعنى الرجوع ويعنى العودة والتراجع والتغير والعودة من مكان إلى آخر ويمعنى الراجع الذى يغير فكره واعتقاده وتعنى الخائن والمنافق[1].

وهؤلاء هم الذين يصفهم الله تعالى بأنهم منافقين ومخادعين الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (سورة البقرة آية ٨،٩) ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ (سورة البقرة : آية ١٤) صدق الله العظيم.

ويطلق أفراد الدونمة على أنفسهم أسماء ضخمة مثل «المؤمنين» و «المجاهدين» ويتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها فى حياتهم العامة أما أسماءهم اليهودية فكانوا يستخدمونها داخل بيوتهم وأثناء أدائهم مناسكهم اليهودية وهؤلاء اليهود لم يرتبطوا بنسب لا باليهود أبناء دينهم وجنسهم ولا بالأتراك المسلمين السكان الأصليين لمدينة سالونيك فعاشوا منعزلين عن المجتمع[2].

وهذه الدراسة تنقسم قسمين القسم الأول يتضمن دراسة حركة يهود الدونمة من حيث نشأتها على يد مؤسسها سبتاى زفى والظروف التى أدت لظهورها والمنهج الذى سارت عليه الحركة بعد موت مؤسسها بالإضافة إلى توضيح الدور الخطير الذى قامت به تلك الجماعة فى التأثير على المجتمع التركى المسلم، والعمل على إخضاعه لأهدافها والأدوار التى لعبتها فى حياتهم السياسية والاقتصادية والإعلامية وتوجيه الفكر التركى المسلم إلى اتباع الفكر الغربى الملحد وانعكاس هذه السياسة على المجتمع إذ كانت فى جوهرها حركة سياسية اتخذت من التظاهر بالإسلام وسيلة لها لتحقيق أغراضها .

أما القسم الثانى فيتضمن عرض لكتاب بعنوان «السبتائية فى تركيا» كتبه واحد من أبناء الدونمة يدعى «أيلغاز زورلى» وهو مجموعة من المقالات التى

1- A. R. Kucuk, Donmeler tarihi, Ankara, 1992, S. 197 .

2- A. R. Kucuk, a. g.e. 208 .

كتبها وجمعها فى كتابه الذى يوضح فيها أسس فكر هذه الجماعة ومنهجها الفلسفى وهذه الدراسة تقدم لأول مرة علاقة هذه الجماعة بالجماعات الصوفية الإسلامية التى تزامنت معها، مع توضيح شخصية سبتاى التى تزعم أنه من كبار المتصوفين اليهود. إضافة إلى دور هذه الجماعة فى التسلل داخل المجتمع التركى على الرغم من نظام السرية والحذر الذى اتخذته تلك الجماعة ، إلى جانب عدم اعتراف كل من اليهود المتمسكين بالشريعة اليهودية من ناحية وعدم اعتراف تركيا بهم من ناحية أخرى وهى وثائق جديدة تقدم لأول مرة على لسان واحد منهم وتنتمى أصوله لهم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن عام ١٩٩٢م كان العام الخمسمائة على طرد اليهود من أسبانيا ونزوحهم إلى تركيا وقد احتفل اليهود بمرور ٥٠٠ عام على استضافة تركيا لهم وكان هذا الاحتفال هو تعبير عن شكر اليهود لتركيا والدولة العثمانية التى فتحت أبوابها أمامهم ومنحتهم كافة الحقوق والامتيازات التى جعلتهم يعيشون فى أمن وأمان واستقرار . وقد نظمت الاجتماعات فى أمريكا وتركيا وإسرائيل لأجل إحياء الثقافة اليهودية وتقديمها فى أكمل صورها عن طريق الكتب والمعلومات التى قدمت كل الإيجابيات للجماعات اليهودية فى تركيا إلا أنها لم تتطرق إلى موضوع جماعة الدونمة أو السبتائية فى أى إشارة لها من قريب أو بعيد نظرا لرفضهم مبادئ هذه الجماعة .

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فى تقديم بعض التوضيحات المبهمه عن دور هذه الجماعة على الرغم من ندرة الكتابات التى تناولت هذا الموضوع، آمله فى تناول هذا الموضوع فى دراسات قادمة أكثر تفصيلا توضح كيفية تسلل اليهود إلى مجتمعات الدول والعمل على تخريب وإفساد أنظمة الشعوب كى تسير على خطاها وتحقق أهدافها وتعد هذه الحركة امتدادا لعمليات التآمر والخديعة التى يقوم بها اليهود فى كل زمان ومكان وما توفيقى إلا بالله .

د. هدى درويش

الفصل الأول
ظهور سبتاى زفى ودعوته

الظروف التى أدت إلى ظهور حركة يهود الدونمة فى تركيا

تميزت الدولة العثمانية بمعاملة أهل الذمة طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية حيث اعتبرتهم أصحاب ديانات لهم كافة الحقوق لإقامة شعائرهم مثلهم مثل المسلمين إلى جانب منحهم الامتيازات التى تمثلت فى حرية العمل والسفر والإقامة وشراء الأراضى والحصانة القضائية. وقد أثرت هذه الامتيازات التى أعطتها الدولة العثمانية للأجانب المقيمين داخل أراضيها حيث تمتع الأجانب فى الدولة بحصانة قوية جعلتهم لايخضعون لسلطة الدولة فكانوا يشكلون حكومة داخل الحكومة العثمانية [1].

ومن خلال المعاهدات التى وقعتها الدولة العثمانية مع الدول الخاصة بحقوق الأقليات التى تقيم فى الدولة ، حصل اليهود على العديد من الامتيازات التى كفلت لهم الحماية فى الدولة وحرية التنقل والتجارة وقد راعت الدولة العثمانية فى البلاد التى قامت بفتحها بالسماح لليهود بأداء شعائر ملتهم بقيادة الحاخام الأكبر فى العاصمة[2] فكانت لهم مكانتهم الدينية والرسمية فى الدولة وطبقا لهذه المعاملة الكريمة من قبل الدولة العثمانية لليهود عمل اليهود فى كل فروع التجارة

١- عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، ج٢، بدون تاريخ، ص٧٥٠ .

٢- ميم كامل اوكى، السلطان عبد الحميد بن الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية ، ترجمة اسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٦ .

والصناعة والعلم، ووصلوا إلى مراكز مرموقة فى الدولة وتمتعوا باستقلالهم الذاتى والإدارى والطائفى .

وإذا كان اليهود قد حصلوا على العلم فى بغداد والأندلس والفسطاط وحصلوا على المال فى معظم البلدان الأخرى إلا أنهم لم يحصلوا على الراحة والاستقرار إلا فى ظل الدولة العثمانية[١].

فقد كانت الدولة العثمانية هى طوق النجاه الذى عثر عليه اليهود الفارون من أسبانيا وعاشوا عهد أمان واستقرار.

وعلى الرغم من التسامح العثمانى الذى وجده اليهود بين ربوع الدولة العثمانية إلا أن اليهود لم يندمجوا داخل المجتمعات وتكتلوا فى أحياء معينة خاصة بهم وعاشوا حياة انعزالية مغلقة حتى يستطيعوا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم فكونوا ما يعرف بالأحياء اليهودية أو الجيتو يعيشون فيه ويمارسون طقوسهم الخاصة ويهربون من العالم الخارجي، وقد جاءت حياة العزلة لديهم نتيجة لظروفهم وأحقادهم السابقة التى عاشوا فيها فى ظل الإضطهاد الأوربى والمسيحى لهم فتبعوا نفس الأساليب التى تعاملوا بها فى تلك الدول، مع الدولة العثمانية [٢].

وقد كان خطأ الدولة العثمانية أنها لم تدرك الشخصية اليهودية التى فتحت لها أبوابها على مصراعيها من معاملة كريمة وحرية واستقلال داخل أراضيها .

ومن هذا المنطلق اتخذت حركة يهود الدونمة مسارها داخل الدولة فشكلت حركة دينية سياسية أثرت على مجريات الأمور فى الدولة وكان لها دورها الكبير فى القضاء على الدولة العثمانية نفسها .

وفى وقت ظهور هذه الحركة كانت الدولة العثمانية تسير نحو الانهيار بسبب حروبها مع البنادقة وحروبها مع روسيا وقد تلازمت هذه الفترة مع عصر الاضطهاد الأوربى لليهود فترة محاكم التفتيش وخاصة الاضطهاد الأسبانى لهم .

١- أحمد عثمان، مرجع سابق، ص١٥ .

٢- رفيق شاكر النتشة، السلطان عبد الحميد الثانى وفلسطين، مكتبة مدبولى ، ط٥ ، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٠ .

في ذلك الوقت شعر اليهود بضرورة اجتماعهم تحت قيادة واحدة. نتيجة للاضطهاد الذى شعر به اليهود فى أنحاء العالم شرقا وغربا وحياتهم التى قضوها في الشتات وتفرقهم على الأمم الأخرى حيث تولد لديهم الحقد على أمم العالم وأخذوا يبعدون عن مراكز الإضطهاد التى تلفظهم ومن هنا تكون لديهم شعور أن الأشياء التى فعلوها لاتولد تطور فكر وأن الحركات الفكرية فى الزمان لم تحل مشاكلهم، كما أن الحروب التى قاموا بها لم تكن لحقوقهم، لذا سيطرت عليهم فكرة التمييز العنصرى والتى تمثلت فى عقيدتهم أنهم شعب الله المختار فتوجهوا إلى شخص المسيح المنتظر الذى سوف يحيى لهم أسسهم الإيمانية ويحكمهم ويقودهم إلى بناء دولة مستقلة لهم متسترين فى بناء تلك الدولة خلف الدين وقد تهيأت لهم تلك الفرصة فى ظهور سبتاى الذى أعلن أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ليحقق لهم دولتهم ويحقق لهم السيادة على العالم.

نشأة سبتاى زفى:

ولد سبتاى فى مدينة إزمير فى تركيا فى عام ١٦٢٦م داخل بيئة يهودية متزمتة. وكان والده تاجرا ميسورا له ثلاثة أبناء وقد امتهن ولديه مهنة التجارة فعملوا بها. إلا أن سبتاى لم يرغب فى الاشتغال بالتجارة وتوجه منذ صغره إلى الدراسة وخاصة دراسة الكتب الدينية اليهودية فعمل فى مجال التدريس وأصبح حاخام ونال مرتبة الأستاذية [١].

عاش سبتاى صباه فى عزلة وتأمل وكان يقوم بطقوس خاصة ليس لها علاقة بالتقاليد الدينية اليهودية وكان يقوم بتحريف الكتب المقدسة ويواصل الصوم ويكثر من الاستحمام والتطهر حتى يضفى على نفسه قدسية خاصة وكانت تنتابه حالات غياب عن الوعى وكان معتل الصحة والمزاج [٢].

١- أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، الأردن، ١٩٩٧م، ص١٢ .

٢- محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٧٨، Ilgaz Zorlu, Evet; Ben Selaniklyim, Turkiye . Sabatayciligi, Istanbul, 1998, S., 12 .

تزوج سبتاى فى سن الثانية والعشرين من عمره من إمرأة لم يمسها استعدادا لإعلانه أنه المسيح المنتظر .

ثم تزوج من إمرأة بولونية تدعى سارة كانت صاحبة ذكاء شديد وقد أرادت هذه الفتاة أن تكتسب شهره فحينما سمعت بادعاء سبتاى أنه المسيح المنتظر اختلقت «رؤيا» نشرتها بين اليهود تقول فيها أنها رأت نورا سيسطع عام ١٦٦٦ وأنها سوف تتزوج من المسيح الذى سيظهر فى هذا العام، فانتهز سبتاى هذه الفرصة وأعلن أنه قد أوحى إليه بالزواج من فتاه بولونية وتزوجها عام ١٦٦٤ إلا أنه لم يمسها أيضا، وبعد وفاة سارة تزوج من امرأة من سالونيك تدعى «يوهيفيد» وأسماها عائشة ثم طلقها وأعلن أنه لن يتزوج مرة أخرى زاعما أنه تزوج التوراة[1].

وقد اشتهر سبتاى بطلاقة لسانه وجمال حديثه وحبه للعزلة وكان كثير التطهر عن طريق الغطس فى مياه البحر صيفا وشتاء وكان يمارس على الناس تأثيرات نفسية فكان يذهب بهم إلى القبور فيؤكدون أنهم يسمعون أصواتا تقول «سبتاى زفى هو المسيح».

وعلى الرغم من ادعاء سبتاى بالطهارة وأنه لم يمس زوجاته إلا أنه أشيع عنه أنه لم يعرف الاعتدال الجنسى وقيل إنه زنى بزوجة صديقه فى مصر «رفائيل جوزيف» الصراف اليهودى وأنه أقام فى مصر فترة من الوقت عاش فيها حياة خليعة [2].

وقد تنقل سبتاى خلال حياته إلى عدة بلاد ، فعاش فى اليونان فترة من الوقت، كما أقام فى سالونيك والأسكندرية والقاهرة وأثينا وفلسطين.

١- محمد حرب ، يهود الدونمة، مؤسسة الدراسات التاريخية، الكويت، بدون تاريخ، ص٢٠ .

٢- أحمد نورى النعيمى، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص١٤ .

عقيدة سبتاى زفى :

آمن سبتاى بمذهب «القبالا» وهو مذهب يهودى مصدره التلمود وهو علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود وترجع جذور هذا المذهب إلى الأنبياء «عزرا» و«حزقيال» و«نحميا» و«دانيال» و«استير» . وقد دونت تعاليم القبالا فى وثيقتين عبريتين هما سفر «جزيرا» وسفر «هازوهاء» وهاتان الوثيقتان مكتوباتان باللغة الآرامية[١].

وتنقسم القبالا إلى كتابين رئيسين كتاب الأخلاق «الذخار» ويسمى الإشراق وكتاب الخلق «يتندهار» وهما يشكلان القبالا المكتوبة وهناك كتاب يسمى القبالا الشفوية.

ومنشئو القبالا يردون أصلهم الروحى إلى كلمات فى سفر دانيال، ودانيال من رجال السبى وكان يشتهر بتفسير الهواجس النفسية وتفسير الأحلام والرؤى وقراءة المستقبل السياسى فى بلاد الفرس[٢] والكلمات التى جاءت فى سفر دانيال والتى اتخذها القباليون دستورا لهم تقول:

«ويضئ العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين أبرارا كالكواكب إلى الدهر والأبد»[٣].

ويفسر القباليون هذا النص بقولهم «إنما نحن المعنيون بهذا النص ونحن الحكماء الذين أشار إليهم دانيال فى كلماته .

والقبالا فى العبرية تعنى عادة أو عرف وتأتى بمعنى الفهم والاستيعاب والعلم الملهم أو علم العرف وتعنى الحكمة أيضا[٤]. والمعنى الأصلى لها هو التراث ويقصد به التراث الشفوى الذى يعرف بالشريعة الشفوية[٥] .

1- Ilagaz, a.g.e. S., 100 .

٢- عجاج نويهض ، برتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٦م، ص٥٠٥ .

٣- سفرد دانيال الاصحاح ١٢ / ٣ .

4- Ilagaz, S. 198 .

٥- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص٢٩١ .

والقبالا فى العربية تعنى القبول أو التلقى للرواية الشفوية وهو مصطلح - طبقا لتفسيرهم- يراد به التعليم الباطنى المتعلق بالله والكائنات نزل عن طريق الوحى على أكرم القديسين واحتفظ به عدد قليل من الأخيار[١].

وفى تعريف آخر للقبالا أنها تعنى الطريقة الفلسفية الشرقية الغربية التى أدخلت فى وقت غير معلوم التاريخ على المذاهب اليهودية، وتحتوى على جميع آراء الربانيين فى الشؤون الدينية والمدنية [٢].

والقبالا عند المؤمنين بها هى تعلم جميع المعانى الرمزية لتجسيم الله والقباليون يدعون أن كتاب التكوين عندهم مستمد من موسى، وموسى استمده من إبراهيم إذا لم يكن من آدم أو ممن هو أعلى من آدم وأقدم. ويبحث القباليؤن فى معرفة الإشارات التى تنبئ بقدوم المسيح اليهودى [٣]. ويطلقون على العارفون بأسرار القبالا لقب: «العارفون بالفيض الربانى» «مقوباليم» بالعبرية.

وكتاب الإشراق المنبثق من القبالا يضارع عند اليهود أهمية العهد القديم وقدسيته لديهم ويضم شروحا من التوراة وعظات دينية وقصصا شعبية وهو متخم بأخبار خلق العالم، وطبيعة الله، والرموز الخفية فى أسرار الوجود وعلل الكون[٤]. وتقول القبالا إن اليهود قد خلقوا من مادة مقدسة حل فيها الإله بروحه مختلفة عن المادة (الوضعية العادية) التى خلق منها بقية البشر وترى أن الزواج بين الخالق والشعب يصبح توحدا كاملا ويقوم الشعب بتوزيع رحمة الإله على العالمين[٥].

١- عجاج نويهض ، مرجع سابق، ص٥٠٦ ، ٥٠٧ .

٢- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٣- أحمد سوسه ، العرب واليهود فى التاريخ، العربى للطباعة والنشرو التوزيع ، ط٧ ، دمشق، بدون تاريخ ، ص٤٠٣ .

٤- عجاج نويهض ، مرجع سابق، ص٥١٧ .

٥- محمد على قطب، يهود الدونمة فى تركيا، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص٨٤-٨٥ ، نقلا عن عبد الوهاب المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ونرى أن سبتاى زفى قد استخلص من هذا المبدأ قوله إنه تزوج التوراة .

وترى أن الانسان اليهودى شريكا للإله فى عملية الخلق، فالذات الإلهية تتفتت وتتوزع شرارتها على الشعب اليهودى وبأعمالهم الخيرة يعجلون بخلاص العالم وبآثامهم يؤخرونها[١].

ومن الأساطير التى يمتلئ بها كتاب الزوهر تقول إن الاثنين والعشرين حرفا من الأبجدية الآرامية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلا وإنها نقشت بالنار الملتهبة ، وتقول أيضا إن كل صلاة تبعث قوة روحية تؤدى إلى انتصار الخير على الشر وسوف تظهر مع ظهور المسيح[٢]. وهذه العقيدة تزداد شيوعا وقت الكوارث والأحزان. ويرى القباليون أن الأبجدية العبرية لها قدسية خاصة ولها دور فى عملية الخلق.

ويتضح من هذه العقيدة أنها قريبة الشبه بعقيدة الزرداشتية التى تعتقد بوجود إلهين إله الخير وإله الشر ويظل هذين الإلهين فى حالة صراع دائم حتى ينتصر إله الخير على إله الشر. وتهتم القبالا بوجود الصلاة الدائمة من أجل مجئ الخلاص على يد المسيح المنتظر [٣].

وترتبط القبالا بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم وقراءة الكف وعمل الأحجبة وتحضير الأرواح، كما يؤمنون أن كل حرف وكل نقطة وشرطه لها قيمة عددية يمكن للإنسان أن يصل إلى معناها الحقيقى[٤].

من هنا كان إيمان سبتاى زفى بهذه العقيدة قويا واستخلص من كتاب الزوهر كتابا كتبه وأملاه على مريديه سماه «سر العقيدة الصحيح» ويقول فيه بضرورة الإيمان بالهين: إله للعالمين وإله لليهود وأن رب العالمين هو العلة الأولى ومنه جاء إله اليهود وأن إله اسرائيل هو الوجود والموجودات مع الاعتقاد بال «شخيناه» وهى حلول الله فى الشعب.

١- المرجع نفسه، ص٨٥ .

٢- أحمد سوسه ، مرجع سابق، ص٤٠٤ . والحروف عند القبالا تنقسم إلى ثلاث مجموعات: الهمزة وترمز إلى الهواء، والميم وترمز إلى الماء، والشين رمز النار وهى تشير إلى مدلولات كونية وقوى خفية.

٣- أحمد عثمان، مرجع سابق، ص٥٥ ، ٥٦ .

٤- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة المصطلحات الصهيونية، مرجع سابق ، ص٢٩١ .

وكان أول بيان القاه زفى على شعبه جاء فيه : «من أول ابن لله سبتاى زفى، المسيح، مخلص شعب إسرائيل إلى جميع أبناء إسرائيل .. السلام .. لما كان قد قدر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وانجاز وعد الله إلى أبنائه ، فلابد أن تغيروا أحزانكم فرحا وصومكم مرحا، لأنكم لن تبكوا بعد الآن فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا باليوم الذى كان من قبل يقضى فى حزن وآلام، يوم عيد، لأنى ظهرت»[١].

فى ذلك الوقت واجه سبتاى معارضة قوية من قبل حاخام اليهود ورجال الدين وأعلنوا لعنتهم عليه وعلى المؤمنين به.

وقد عاشت القبالا طوال العصر الوسيط ولاتزال تعيش بين يهود أوربا وروسيا فى القرن التاسع عشر تحت مسمى هاسيدوت (Hasidut)[٢] .

وكتب الأدعية التى كان يرددها السبتائيين محفوظة فى سرية تامة فى المكتبات التى تأسست فى معهد «بن زفى» التابع لجامعة العبرانيين ومن أهم هذه الكتب كتاب طبع فى فلسطين عام ١٩٤٧م ويحمل أهمية تاريخية للسبتائيين وهو سفر «شيروت وتشيباهوت شل هاشباتايم» ومن الصعب الإطلاع عليه نظرا لسريته التامة[٣].

وتعتمد السبتائية على مذهب «إسحاق لوريا» فى نظرية الخلق والتى أسماها بنظرية «الانكسار» وتقول هذه النظرية : «إن الآلهة قد أرسلت على هيئة ضوء ونور وكل من تجمع لرؤية هذا الضوء الإلهى لم يستطيع تحمله فمات ومنهم قلة لم يموتوا فأصابهم شئ من هذا الضوء، وعندما يعود هذا الضوء إلى مصدره سيظلون ملاحقين للأجزاء التى كسرت منه» [٤].

و«إسحاق لوريا» يهودى مهتم بالفلسفة اليهودية له باع فى الروحانيات عاش فى عهد الاشكيناز، وهو مؤسس «السفارد» وهو أول من قال بالإيمان بالمسيح

١- أحمد شلبى ، اليهودية، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط١٠ ، ١٩٩٢م، ص٢٤٤ .

2- Abdurrahman Kuruk , a. g.e. S. 150 .

3- Ilgaz Zorlu, a. g. e. S. 36 .

4- Ilgaz, a.g.e. S. 37 .

المنتظر وفتح الطريق أمام سبتاى للظهور وقد آمن السبتائيون بنظريته وادعوا أنهم سوف يموتون وهم مخلصون من ذنوبهم بفضل وجود سبتاى المسيح المنتظر بينهم ويظهر إيمانهم به من خلال أول مقطوعة شعرية جاءت على لسان السبتائية وتقول:

يا باب الجنة ويا بناء الجواهر

يا سبتاى يا تاج رأس

أنت شموع الأعمدة وسوف نراها ومن سيراها

سيرى الله

يا تاج الرأس يا سبتاى

لو يكون هذا اليوم سنراك

وسنصل إلى مرادنا

وسنرى سيدنا

يا تاج الرؤوس يا سبتاى

ستموت القشور والأشياء

وستظل الدنيا لنا، وسوف تعزف المزامير

يا تاج الرؤوس .. يا سبتاى

ويعتقد السبتائيون طبقا لعقيدة القبالا التى اعتنقها سبتاى أن المسيح سوف يأتى إلى الدنيا ويغير جسده فيها لمدة ثمانية عشر عاما منذ أيام إبراهيم وسوف يظهر كل واحد من هؤلاء الثمانية عشرة مسيحا فى صورة سبتاى زفى. ويعتقدون أيضا أن دورهم يوم القيامة هو إنقاذ الناس من أهوال القيامة.

والآيات التى اتخذها السبتائيون من الكتاب المقدس واعتبروها مصدرا لهم تقول: «حتى لو كان بنو إسرائيل مثل زبد البحر يتبقى منهم بقية ستعود»[١].

١- سفر اشعيا، ١٠ / ٢٢، ٢٣.

وقد آمن السبتائيون أنهم هم البقية الباقية من بنى إسرائيل ويرى السبتائيون أيضا أن الدين اليهودى انتشر فى مدة زمنية تتراوح بين خمسة آلاف سنة على شكل فكرين: الفكر الأول هو التوراة والتلمود، والثانى هو التوراة والقبالا ويعتقدون أن تاريخهم يرجع إلى ما قبل الخمسة آلاف سنة لذا فهم يستخدمون تقويما خاصا لهم[١].

واستخدم القبالا حساب الجمل والحروف وقاموا بتفسيرها تفسيرات فلسفية تتوافق مع أهدافهم ، فهم يفسرون الأبجدية العبرية بأرقام خاصة ويعتقدون أن كل حرف له رقم خاص به ويربطون مجموع الأرقام بأحداث خاصة فاستخرجوا حساب كلمة ZAT التى يقدروها طبقا لحساب الجمل تساوى ٤٠٨ فيقولون إن حرف ٧ = Z وحرف ١ = A وحرف ٤٠٠ = T ويضيفون عليه (٥٠٠٠عام) فيكون المجموع ٥٤٨ فيقابل عندهم عام ١٦٤٨ فى التقويم الميلادى وهو العام الذى ينتظره يهود العالم ليقودهم إلى السيادة على العالم ويعودون فيه إلى فلسطين[٢].

وقد قام سبتاى بتقسيم العالم إلى ٣٨ قسما وعين على كل قسم ملكا وكان يوقع على كتاباته لقب : «سبتاى بن داود وسليمان» الابن الوحيد الأول ليهوه»[٣] كما كان يضفى على نفسه ألقاب «ابن الإله البكر» ، و«أبوكم يسرائيل» وقام بقلب الشريعة اليهودية وأباح الكثير من المحظورات التى كان يسير عليها اليهود طبقا لشريعتهم ، الأمر الذى أدى به إلى معارضة الحاخامات اليهود له، وقد أعلن الحبر «جوزيف سكابا» رئيس الطائفة اليهودية فى إزمير أن سبتاى خارجا عن التعاليم اليهودية وحكم الحاخامون عليه بالإعدام.

وعندما أحس سبتاى بالخطر عليه رحل من إزمير إلى القسطنطينية وكانت الدولة في ذلك الوقت منشغلة بحروبها فانتهز سبتاى هذه الفرصة وبدأ يبشر اليهود أتباعه بالخلاص ، فآمن به الكثير من اليهود وكانوا يلقونه بالترحيب والتعظيم وتوقفت تجارتهم وتبرعوا بالأطعمة والذخيرة أملا فى نقلها إلى فلسطين أرضهم الموعودة.

1- Ilgaz, a. g.e. S. 124 .

٢- كان اليهود يحرمون ذكر اسم «يهوه» ويستخدمون لفظ ادوناى بدلا منه بمعنى سيدى واسم يهوه عند اليهود أكثر الأسماء قداسة وكان لا ينطق به سوى الكاهن الأعظم فى يوم الغفران.

٣- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، مرجع سابق ، ص٧٨ .

وانهالت على سبتاى الوفود من كل مكان من إزمير وردوس وأدرنه وصوفيا واليونان والمانيا وقاموا بتقليده تاج «ملك الملوك» وقام اليهود بالامتناع عن الدعاء للسلطان العثمانى المعاصر لهم (محمد الرابع) وتوجهوا بدعائهم إلى ملكهم الجديد ومسيحهم المنتظر سبتاى، وحل فى المعابد اليهودية فى استانبول الدعاء لسبتاى بدلا من الدعاء للسلطان وتقول كلمات هذا الدعاء:

«إن الذى يمنح الخلاص للملوك والحكم للأمراء ، مالك الملك الأبدى الذى خلص عبده داود من السيف القاتل، الذى يعبد طرقا فى البحر، ويشق سبلا فى المياه العظيمة، هو الذى يبارك ويحفظ ويرعى إلى الأبد سيدنا ومسيحنا، مبارك رب يعقوب الأسد والأيل السماوى، مسيح العدل، ملك الملوك، السلطان سبتاى ليحفظه الملك الأكبر ويمنحه حياة، وليرعه، ويرفع نجمه ، ومملكته، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير آمين»[١].

فى ذلك الوقت أرسل رجال الدين والحاخامات الذين يقيمون فى إزمير يحذرون الحكومة العثمانية منه ففر هو ورجاله من القسطنطينية إلى سالونيك مركز دراسة القبالا وعاش فى أمان لمدة ثمانية أعوام، وفى ذلك الوقت أعلن فى إحدى الولائم حفل زفافه بالتوراة . حينئذ أصدرت المحكمة الملية اليهودية بكفره واستحلال دمه، فهرب مرة أخرى وذهب إلى أثينا، ثم عاد مرة أخرى إلى إزمير ثم القسطنطينية.

وفى عام ١٦٦٣ ذهب إلى القدس وأخذ يبشر فيها معلنا بقدوم الخلاص على يديه وإعلانه نفسه أنه المسيح والمتصرف فى مصير العالم كله، وطاف على صهوة حصانه حول مدينة القدس سبع مرات وفى ذلك الوقت أعلن أن له إثنى عشر حواريا يمثلون أسباط بنى إسرائيل[٢].

وفى القاهرة آمن به «رفائيل يوسف جلبى» رئيس الطائفة اليهودية فى مصر وأغدق عليه مالا كثيرا لمساعدة يهود القدس.

١- أحمد نورى النعيمى : يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٢٨ .

٢- أحمد عثمان، مرجع سابق، ص٥٧ .

وفي غزه التقى بيهودي يدعى «ناثان هاليفى» ويعرف باسم «ناتان الغزاوى» وهو من أصل اشكنازى» (المانى) آمن به وأعلن للناس أنه نبى . وأعلن أن التغييرات الحادة التى تطرأ على مزاج الماشيح (يعنى سبتاى) هى تعبير عن الصراع الدائر داخل نفسه بين قوى الخير والشر[١].

فى ذلك الوقت أباح سبتاى لأتباعه النطق باسم يهوه (اسم الله الأعظم) الذى كان محرما النطق به حيث كانوا ينطقونه أدوناى بمعنى مولانا أو سيدنا بدلا من يهوه وأعلن سبتاى أن غضب الله قد ارتفع عن الأمة ببعثه وأن الاسم الممنوع أصبح مباحا [٢].

ثم بدأت فترة عصيبة بين سبتاى وأتباعه وبين اليهود التقليديين القائمين على أمر الدين اليهودى نتيجة إباحته المحرمات وتطاوله على معتقداتهم المتوارثة وإشاعته القصص الخيالية فى معجزاته وأصبح الناس يتغنون بكراماته . وعندما وصلت أخبار هذه الفتنة إلى الوزير «كوبرلى» فى القسطنطينية أمر بالقبض عليه وإرساله إلى العاصمة تحت حراسة مشددة.

إعلان سبتاى الإسلام:

عارض الحاخاميون معتقدات سبتاى والتغيرات التى أدخلها على الشريعة اليهودية وإحلاله المحرمات وإحداثه الفوضى بين الشعب اليهودى الذى كان يخضع لأوامر حاخاميهم وحياتهم المعيشية المرتبطة بالشريعة اليهودية.

وقام الحاخام «نحميا كوهين» وهو حاخام بولندى كان مطلعا على كتب استحضار الأرواح بإبلاغ السلطان العثمانى أن سبتاى رجل فاجر منغمس فى الملذات، وأنه يقلب الشعب على السلطان ويغير من طاعتهم له ويشجعهم على الثورة ضد الدولة. واتهمه بالقيام بمحاولة التمرد على الدولة العثمانية وإقامة دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية[٣].

١- عبد الوهاب المسيرى، *اليد الخفية*، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨، ص٩٩ .

٢- حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى، دار القلم، ط٤ ، ص١٩٩٩م، ص١٢٥ .

٣- محمد حرب، *يهود الدونمة*، مرجع سابق، ص٢٦ ، ٢٨ .

ونتيجة لذلك قام السلطان العثمانى محمد الرابع باستدعاء سبتاى وخيره بين الموت أو التراجع عن دعوته ، فقرر سبتاى إنقاذ نفسه ومريديه بلجوئه إلى الإسلام فأعلن إسلامه وكان ذلك فى ١٥ سبتمبر ١٦٦٦م[١].

وكانت الهيئة العلمية التى شكلها السلطان لمحاكمة سبتاى تتكون من «مصطفى باشا» نائب الصدر الأعظم ويحيى أفندى زاده شيخ الإسلام والطبيب «مصطفى حياتى» الذى قام بدور المترجم من الأسبانية إلى التركية [٢].

وعند اعلان سبتاى إسلامه قام أتباعه بإشاعة «أن شخصية سبتاى عرجت إلى السماء وحل محلها بأمر الله مسيح يرتدى ثوب مسلم» [٣].

وتحول سبتاى من مسيح مزيف إلى مسلم مزيف وسمى نفسه «محمد أفندى» وخصص له السلطان وظيفة رئيس البوابين فى القصر السلطانى[٤].

فى ذلك الوقت كتب سبتاى إلى أتباعه رسالة جاء فيها : «جعلنى الله مسلما، أنا أخوكم محمد البواب، هكذا أمرنى، وأطعت»، وكتب رسالة أخرى إلى المؤمنين به قال فيها: «الآن الحقونى بنسل إسماعيل».

وكان لجوء سبتاى للإسلام على سبيل المداراة خوفا من مخاطر الموت التى كانت تلاحقه وأمر مريديه بالبقاء على عهدهم له والعمل على كسب ثقة الأتراك لهم واستبدال أسماءهم اليهودية بأسماء إسلامية مع احتفاظهم بأسماءهم اليهودية وعباداتهم وطقوسهم اليهودية لكن سرا من أجل تحقيق أغراضهم القومية تحت ستار الإسلام. وكان كلما قابل أتباعه القدامى فإنه كان ينكر إسلامه ويفهمهم أنه مجرد ستار يحتمى به.

١- أحمد عثمان، مرجع سابق، ص٦ .

٢- عجاج نويهض ، مرجع سابق ، ص٢١٠ .

٣- المرجع السابق، ص٥٢٢ .

٤- محمد إبراهيم زغروت، دور يهود الدونمة فى اسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٣ .

وأمر مريديه أيضا بالتمسك بالإسلام الشكلى حيث دعاهم للبس الجبب والعمائم الإسلامية. وقد رضخ لأمره مائتى أسرة من أتباعه عاشت فى سالونيك وقد تمثل وصف هؤلاء القوم الذين أظهروا إسلامهم وما هم بمسلمين فى الآيات القرآنية الشريفة التى جاءت فى قوله تعالى:

«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون»[1].

وقوله تعالى:

«وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون» [2].

وقد قبلت هذه الجماعة الإسلام لأسباب سياسية فهم لم يرتبطوا بأبناء جنسهم ولا بالترك المسلمين وعاشوا منعزلين عن المجتمع يستعملون العبرية فى صلواتهم اليهودية، والتركية فى حديثهم مع عامة الناس ويمارسون الشعائر الإسلامية ظاهرا مع أداء شعائرهم اليهودية خفية داخل معابدهم اليهودية. وكانوا يؤمنون طبقا لعقيدتهم القبالية أن الماشيح «سيكون خيراً من داخله، شريرا من خارجه» واعتقدوا أن هذه المواصفات تنطبق على سبتاى زفى» .

وقد أصيب العالم اليهودى بالإحباط لاعتناق «مسيحهم الإسلام بدلا من نشر اليهودية فى جميع أنحاء العالم، فأرسل سبتاى توضيحا ليهود العالم يعترف فيه باسلامه الشكلى جاء فيه:

«كيان سبتاى القديم صعد إلى السماء بأمر من يهوه، ترك ملكا يستمر فى كونه المسيح لكن تحت جبة وعمامة»[3].

وعاش سبتاى داخل شخصيتين مزدوجتين: شخصيته الداخلية اليهودية المتمثلة فى كونه المسيح المخلص وشخصيته الخارجية الإسلامية المخادعة وظلت هاتان الشخصيتان مختلفتين كل منها عن الأخرى.

١- سورة البقرة آيتى ٨ ، ٩ .

٢- سورة آل عمران، آية ٧٢ .

٣- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص٧٩ .

حاول سبتاى إقناع أتباعه لأجل قبول شخصيته الإسلامية فادعى أنه كالنبى موسى الذى اضطر أن يبقى مدة من الزمن فى قصور الفراعنة[١]. وفى الوقت نفسه فسر سبتاى تحوله عن اليهودية بأنه نزول المخلّص إلى عالم الذنوب والنجاسة ليخلص الشرارات الإلهية [٢].

وقدم سبتاى عقيدة الدونمة بعد إعلان إسلامه ولخصها فى أوامر توضح أسس دعوته وتضمنت ثمانية عشرة أمراً من أهمها:

- الإيمان بأن مسيح الله هو المسيح الحق ولا مخلص غيره هو سيدنا وملكنا سبتاى وهو من نسل داود فيزدد شرفه.
- عدم القسم بالله أو القسم بالمسيح كذبا لأن اسم الله مندمج فيه.
- العمل على تناقل وشرح ودراسة سر المسيح من مجتمع لآخر.
- الاحتفال بالعيد الواقع فى السادس عشر من شهر كيسلف الذى يوافق ١٦ ربيع الأول الذى أعلن فيه سبتاى إسلامه.
- قراءة مزامير داود سرا كل يوم.
- يجب مراعاة عادات الأتراك المسلمين ذرا للرماد فى أعينهم وعدم إظهار الضيق من صوم رمضان أو عند تقديم الأضحية.
- منع الزواج من المسلمين.
- تكفين الموتى فى مدافن خاصة بهم.
- تعدد الزوجات محرم عليهم.
- شريعة الختان فرض عليهم وكان الختان يتم فى اليوم الثامن من مولد الطفل إلا أنهم بعد إعلان إسلامهم أصبحوا ينفذون الختان فى موعد أقصاه العام الثالث من مولد الطفل وبعضهم ينفذونه حتى العام الثامن حتى لا يلفتوا أنظار المسلمين.

١- أحمد نورى النعيمى : أثر الأقلية اليهودية فى سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، رئاسة جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٨ .

٢- محمد على قطب ، مرجع سابق، ص١١١ .

وتظهر المادة رقم ١٧ التى تقول بمنع مناكحة المسلمين حيث يعتقدون أن مصاهر المسلمين سوف تفقدهم الإخوة المتبادلة بينهم وأن المسلمين يفارقون رفيقات حياتهم دون سبب وسوف يؤدى هذا إلى فقدان الحب الذى يكنوه لأبنائهم ويرتضون تربيتهم لآخرين[١].

وقامت جريدة «سبيل الرشاد» التركية بكتابة تعليق على هذا الموضوع جاء فيه:

«هذه الطائفة التى تسمت تسمية إسلامية لاتزال تعتمد طريقا خاصا بها فى الزواج الذى هو أهم عامل فى تماسك المسلمين ببعضهم، وكان من الأجدر فى عصرنا هذا نبذ العقائد الجاهلية الباطلة لا السعى إلى ترويجها»[٢].

ومن أجل المضى فى مخادعة هؤلاء الدونمة الذين أظهروا إسلامهم حاولوا التقرب إلى الجماعات والطرق الإسلامية وكانوا يحاولون الدخول والتسلل إلى الجماعات الدينية الإسلامية الأكثر تساهلا فى قواعدها الدينية، والأكثر تقربا إلى السلطة فى سبيل العمل على الحفاظ على سريتهم فتقربوا إلى الطريقة المولوية والطريقة البكتاشية والخلوتية إلى جانب الملامتيه. وكان أول عمل قام به السبتائيون بعد دخولهم الإسلام هو تحقيق المساعدة المادية فى تأسيس تكية «عزيز محمود خداى» وهو من شيوخ الطريقة الخلوتيه»[٣].

وكان سبتاى على علاقة بـ «نيازى المصرى» -تركى الأصل- وهو من المتصوفين حيث أقام سبتاى فترة فى تكية المصرى وأسس معه علاقة صداقة

١- مصطفى طوران، يهود الدونمة، ترجمة كمال خوجة ، دار الإسلام، استانبول، ١٩٧٧م، ص٨٥، ٨٨، ٨٩ .

٢- المرجع السابق ، ص٤١-٤٣ .

3- Zorlu, a.g.e. s. 41 .

وعزيز محمود خداى مؤسس الطريقة الخلوتية أواخر القرن ١٦ وأوائل القرن ١٧ وكان يتبع أهل السنة مع إيمانه بوحدة الوجود ويسعى لتفسيرها فى نطاق شرعي وهو صاحب ديوان الهيات وهو من الأناشيد الدينية وله أعمال نثرية باللغة التركية مثل طريقتنامه وتذكر هداى ومعراجيه وكان السلطان أحمد الأول يصب له الماء ليتوضأ نظرا لمكانته المرموقة فى التصوف وكان السلطان يسير خلفه. انظر أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية ، تاريخ وحضارة، ترجمة إحسان الصالحى، ج٢ ، استانبول ، ١٩٩٩م، ص٨١ .

وكانت لهما أفكار مشتركة حيث ادعى سبتاى أنه «المسيح» وادعى المصرى أنه «المهدى» ، وكانا يحاربان شيخ الإسلام فى ذلك العصر[١].

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن معروفا كيفية مقابلتهما ببعضهما وبأى لغة تحدثا ولم نجد بحوث كتبت عن هذين الشخصين اللذين كانا لهما أفاقا جديدة فى عهد ملئ بالضغوط التى عاشوها بأفكارهما وأثرا فى بعضهما تأثيراً كبيراً[٢].

وقد استمرت علاقة السبتائين بالطرق بالصوفية حتى عام ١٩٢٤م ثم قل نشاطهم وعددهم وذلك بسبب قرار الحكومة التركية بإغلاق التكايا والزوايا الخاصة بالمتصوفين، وفى ذلك الوقت اتجه السبتائيون إلى الماسونية اليهودية واستمر سبتاى فى دعوته المزدوجة بين الإسلام الشكلية واليهودية السرية حتى تم القبض عليه من قبل السلطات العثمانية داخل المعبد اليهودى ، وكان يرتدى زيا يهوديا وكان هو ومريديه محاطون بالنساء يحتسون الخمر ، وينشدون الأناشيد الدينية اليهودية، ويقرأون المزامير . وقد اتهمه السلطان بمحاولته دعوة المسلمين إلى ترك دينهم وخيانة الإسلام[٣].

وتم الحكم بإعدامه إلا أن شيخ الإسلام اعترض على إعدامه حتى لايدعى مريدوه بعروجه إلى السماء مثل عيسى «عليه السلام» فقرروا نفيه إلى مدينة «دولسجنو» فى ألبانيا وذلك عام ١٦٧٣م. وعاش سبتاى بقية حياته فى ألبانيا حتى توفى فى ٣٠ سبتمبر عام ١٦٧٥ [٤].

١- نيازى المصرى من مشايخ الطريقة الخلوتية فى القرن ١٧ وهو مؤسس الطريقة الخلوتية فى مصر وهو فى الأصل من ملاطيه ، اشتهر بدروس الوعظ التى كان يلقيها فى جامع أولو جامع فى بورصه، وقضى فترة كبيرة من حياته فى المنفى، له أعمال بالتركيه والعربية كنها كتاب فوائد الفرمان انظر أكمل الدين إحسان، مرجع سابق، ص٨٢ .

2- Zorlu, a.g.e. s. 43 .

٣- انظر عجاج نويهض ، مرجع سابق، ص٥٢٣ ، ٥٢٤ ونورى النعيمى، يهود الدوغة، مرجع سابق ، ص٤١ .

٤- نورى النعيمى، يهود الدوغة، مرجع سابق، ص٤٢ ، ٤٣ .

دعوة السبتائية بعد موت مؤسسها :

خلف سبتاى فى حمل الدعوة بعد موته أخو زوجته « يوهيفيد »، يعقوب جلبى» وقد رشحه سبتاى بخلافته قبل موته فجمع محبيه الذين كان عددهم قد تجاوز المأتين أسرة وسميت جماعته باليعقوبيين.

جماعة يعقوب جلبى :

قسم يعقوب جماعته قسمين قسم للأغنياء ، وآخر للفقراء. وكان لكل منهم زى خاص ، ورجالهم يحلقون شعورهم بالموسى، ونساءهم يضفرن شعرهن. وكان اليعاقبة متأثرين بفكر الملامتيه وكانوا يتلقون المساعدات المادية والمعنوية من الطريقتين البكتاشية والمولوية[1] وقد أسس اليعاقبة مجلة فى سالونيك باسم «نمونجه الأدب» بمعنى «برعمة الأدب» .

ولليعاقبة مزار خاص بهم ولهم نظام فى البيع والشراء حيث أنهم حصروا كل معاملاتهم فى أماكن خاصة بهم وأسسوا مدرسة خاصة بهم باسم مدرسة «فيزى بك».

ومذهب اليعاقبة الدينى يتبع مذهب القبالا أما عقائدهم الأساسية فتمثلت فى التحذير على النساء التبرج للغرباء واتباع الأوامر الإسلامية ظاهرا وارتداء النساء ملابس بيضاء وإجراء الختان طبقا للعادات الإسلامية، وفى الوقت نفسه فعليهم قراءة الأدعية العبرية والأسبانية واللاتينية والإخلاص للعبادات اليهودية إلى جانب تجنب إيقاد النار يوم السبت حتى لاينكشف أمرهم بالإضافة إلى مناصرة الطلاق [٢].

ومما ورد لنا ذكره فى عقائد اليعاقبة الذين خلفوا سبتاى يتضح لنا أن اليعاقبة قد خرجوا عن تعاليم سبتاى فى أمر تحريم الطلاق لجماعته بينما سمح اليعقوبيين بالطلاق وقد ظهرت من هذه الجماعة شخصيات تولت مناصب هامة فى الدولة العثمانية مثل أمين الترسانة، وكتخدا القصر السلطانى ، وكتخدا المدينة، وأمين الصرة. ومن أشهر شخصيات هذه الجماعة الكاتب والصحفى أحمد أمين يلمان[٣].

1- Ilgaz Zorlu , a.g.e. s. 92 , 93 .

٢- نورى النعيمى، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٥٤-٦٢ .

3- Ilgaz Zorlu a.g.e s. 128 .

جماعة القره قاشيون:

اختلف أفراد جماعة اليعقوبيين فى الرأى على تَطبيق بعض الأحكام الإسلامية فانقسم بعضهم إلى جماعة تسمت بالقرقاشيون. وقد ظهرت هذه الفرقة عام ١٧٠٠م وقد ادعت تلك الجماعة أن روح سبتاى حلت بجسد طفل اسمه عثمان أو بايروخ أو باروخيا ولد بعد موت سبتاى بتسعة أشهر وعندما وصل إلى سن الأربعين أعلنوه مسيحا وأوصلوه إلى مرتبة الألوهية ومن بين أعضاء هذه الجماعة «جاويد بك» الذى عمل ناظراً للمالية فى الدولة العثمانية وكان له تأثيره الكبير على اقتصاد الدولة بالإضافة إلى «فائق نزهت» أحد وزراء المالية فى الدولة العثمانية . وقد قامت هذه الفرقة بنشاط تبشيرى كثيف بين أعضاء الجماعات اليهودية.

حزب إبراهيم اغا (القبانجلر) :

انفصل عن القره قاشيون حزب آخر سمى حزب «إبراهيم آغا» وجماعته تسمى القابانجيون أو القبانجيلر وكانوا يطبقون مبادئ سبتاى كما هى وكان لهم نشاطا ملحوظا فى المراكز الأوربية فى مختلف النواحى الصناعية والتجارية وأعمال الصرافة إلى جانب اهتمامهم بالجانب التعليمى فكان لهم تأثيرهم المباشر على أنظمة الدولة فى مختلف المجالات، كما كان لهم تأثيرهم أيضا فى عهد أتاتورك[١].

وقد نشرت مجلة «محراب» التركية معلومات عن جماعة القبانجيلر فى عددها الخامس الصادر عام ١٩٢٤م جاء فيه «أن جماعة القبانجيلر هم أكثر أهل سالونيك ذكاء فقد اندسوا فى خلايا حزب الاتحاد والترقى وأدوا دورا كبيرا فى انقلاب تركيا الفتاة الذى أسقط السلطان عبد الحميد من عرشه وهم معادون للإسلام وكل صلتهم بالإسلام ظاهرية»[٢] وكانت جميع مبادئهم تتفق مع اليهودية والماسونية. وقد رفضت هذه الفرقة الاعتراف بيعقوب ، كما رفضت الطبيعة المشيحانية لباريوخ، ولايعترفون إلا بسبتاى زفى فقط .

1- Ilgaz Zorlu, a.g.e. s. 95 .

٢- انظر محمد حرب ، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٤٢ ، ٤٣ .

عيد إطفاء الشمعة عند الدونمة:

من العادات اليهودية التى استمر يهود الدونمة فى اتباعها هى احتفالهم بجميع أعيادهم التى تبلغ حوالى العشرين عيدا. ومن أشهر هذه الأعياد عيد الخروف أو عيد إطفاء الشمعة وهو يوافق يومى ٢١ ، ٢٢ مارس من كل عام حيث يتم فيه ذبح خروف يؤكل ليلا ويشترط لهذا الاحتفال تواجد رجلين وزوجتيهما يزيد عددهم بشرط أن يتساوى عدد الرجال والنساء ولايسمح لغير المتزوجين الاشتراك فيه وبعد تناول الطعام تطفئ الأنوار والأولاد الذين يولدون فى هذا اليوم يكتسبون قدسية خاصة[١].

ويذكر شاب سبتائى من حزب القبانجيلر عن هذا العيد فى مقال نشر عام ١٩٣٥م فى مجلة «الدنيا المصورة» التركية جاء فيه : «أن الاحتفال باطفاء الأنوار ما يزال من العادات المتبعة لدى القبانجيلر وقد مُنعت من المشاركة فى هذا الاحتفال بسبب كونى عازبا» !! [٢].

وفى خبر عن جريدة «أقشام» التركية الصادرة عام ١٩٣٥م جاء فيه: «ألقت سلطات الأمن القبض على جماعة من الرجال والنساء يمارسون عادة إطفاء الشموع وتم ضبطهم بالجرم المشهود وعثر فى الغرفة المجاورة لصالة الاحتفال على بعض الآلات الموسيقية وعلى دجاجة سوداء قطع رأسها». ونتبين من هذا الخبر أن الدجاجة قد أخذت مكان الخروف فى الذبح. وقد اتهمت هذه الجماعة بالانحلال الخلقى والانغماس فى الجنس ولايزال الاحتفال بهذا العيد قائما حتى الآن وخاصة عند أتباع فرقة القبانجيلر السبتائية.

١- محمد حرب ، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٣٥ ، ٣٦ نقلا عن جريدة اقشام التركية فى عددها الصادر فى ٤ مايو ١٩٣٥م.

وتؤكد الموسوعة اليهودية أنهم يعقدون احتفالات ذات طابع عربيدى داعر فى عيد من أعيادهم ويسمى «عيد الحمل» ٢٢ مارس وهو عيد بداية الربيع عندهم. عبد الوهاب المسيرى، مرجع سابق، ص١٠١ .

٢- مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٢٩ .

وخلاصة الحديث عن أتباع سبتاى الذين خلفوه لقيادة جماعته الدونمة أنهم قوم انغمسوا فى الفساد الخلقى وأفشوا الانحلال من حيث نشرهم الإسلام ظاهرا مع تحذير مصاهرة المسلمين إلى جانب تسللهم إلى المجتمع التركى وتأثيرهم عليه فى جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية .

لغة السبتائيين (الدونمة):

اتخذ السبتائين «اللادينو» لغة لهم منذ بداية تواجدهم ولغة اللادينو كانت لغة يهود أسبانيا الذين نزحوا للدولة العثمانية وهى مركبة من اللاتينية والأسبانية وكانوا يستخدمون هذه اللغة فى كتاباتهم وكانت لهم مطبعة تقوم بنشر كتبهم وثقافتهم بهذه اللغة وبعد منتصف القرن التاسع عشر حلت اللغة التركية مكان اللادينو [١].

واللادينو دخلت عليها بعض الكلمات من العبرية والتركية وبعض المفردات البرتغالية، وكانت تكتب فى الماضى باللغة العبرية والمتحدثين بها الآن يكتبونها بالأبجدية اللاتينية. وقد اختفت هذه اللغة بسبب اندماج اليهود فى الشعوب المختلفة أو هجرتهم إلى إسرائيل [٢].

١- انظر هدى درويش، علاقة تركيا باليهود وإسرائيل . رسالة دكتوراه ج١ ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٠م، ص٣٨،٣٩ . نقلا عن :

A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara.

٢- عبد الوهاب المسيرى، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٥م، ص٣٢٩ .

الفصل الثانى
تأثير الدونمة الاقتصادى والسياسى على المجتمع التركى

تغلغل يهود الدونمة داخل مؤسسات المجتمع التركى باتباع أساليب سرية وتدريجية وذلك من خلال رجالاتهم الأثرياء الذين تسللوا إلى أجهزة الدولة الاقتصادية والسياسية بهدف فرض نفوذهم وسيطرتهم وبدأوا هذا النفوذ بالهيمنة الاقتصادية وامتلاك رؤوس الأموال فأصبحوا أصحاب نفوذ وتأثير قوى داخل البلاد .

أولاً : تأثير يهود الدونمة على الحياة الاقتصادية فى تركيا :

أتاحت الدولة العثمانية لليهود وخاصة يهود الدونمة فرص العمل بحرية نتيجة لنظام الامتيازات التى كانت تكفله لرعاياها . وكان اليهود أصحاب مهن وخبرة فى شئون التجارة والمال والصيرفة . ونتيجة ذلك فقد تسلل يهود الدونمة إلى الميزان الاقتصادى التركى عن طريق الشركات اليهودية الأوربية والأمريكية التى كانت تقدم لهم المعونات المالية مما أحدث انتعاش فى الحركة الاقتصادية فى تركيا ، بالإضافة إلى النقود الأسبانية والنمساوية التى جلبها اليهود بتجارتهم إلى تركيا فكان الأتراك يفضلون هذه العملات عن أية عملات أخرى وكانوا يستخدمونها فى شراء سلع باهظة الثمن. كما برزت شخصيات لعبت دورا أساسيا فى الاقتصاد التركى وعلى رأسهم «جاويد بك» دونمى الأصل الذى كان وزيرا للمالية فى الدولة العثمانية وكان يعرف بأنه الرجل المالى الاقتصادى فى المملكة العثمانية فكان يقوم بعقد الصفقات التجارية ويقوم بتدبير الأموال اللازمة لهجرة

اليهود إلى فلسطين وكان على علاقة وثيقة بالبيوتات المالية اليهودية فى باريس. وقد مارس ضغوطا عديدة على الدولة من أجل تحقيق أهداف اليهود [١].

كما ظهرت شخصية موشية الآتينى وكان يمتلك مصنعا للتبغ إلى جانب هيمنته على العديد من الشركات التجارية التى كان لها دورها المؤثر على اقتصاديات الدولة حيث ظهرت مصانع عائلة «الآتينى» الدونمية فى تركيا ومقدونيا لتصنيع التبغ واشتغل بعض منهم فى تجارة الأفيون المحرمة فى الأناضول ، كما اشتغلوا فى تجارة النبيذ والفواكه والخضروات ولم تكن السلطات تفرض عليهم أى قيود ومن هناك تصاعد نفوذهم فى الاقتصاد والتجارة.

ثانيا : التأثير السياسى ليهود الدونمة :

ظهر دور يهود الدونمة على الساحة السياسية فى تركيا من خلال أعضاءها الذين شغلوا مناصب قيادية فى الدولة ومنهم «جاويد بك» الذين كان وزيرا للمالية فى الدولة العثمانية ، فكان لهم دورهم وتأثيرهم الكبير فى إضعاف الدولة العثمانية ثم القضاء عليها ، وذلك عن طريق أدوارهم التى لعبوها فى حركة «جون ترك» (وهى جمعية سرية تابعة للجمعية الماسونية الفرنسية وكانت تباشر نشاطها من سالونيك وتضم اليهود الأكثر نفوذا فى أوربا) و«جمعية الاتحاد والترقى» ، و«واقعة ٣١ مارت» وقد كان الدونمة على رأس التشكيلات التى بذلت جهدا كبيرا من أجل القضاء على السلطان عبد الحميد الثانى وظهر الدور الذى قام به «قره صو» اليهودى الدونمى الذى كان ضمن الوفد الذى أبلغ السلطان عبد الحميد الثانى بعزله أما «موشيه الأتينى» اليهودى الدونمى فكان المسؤول عن حراسة السلطان بعد نفيه فى سالونيك [٢].

١- صالح زهر الدين، اليهود فى تركيا ودورهم فى قيام الحلف التركى الإسرائيلى ، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، كفر نبرخ، ١٩٩٨م، ص٩٠ .

٢- السلطان عبد الحميد الثانى هو السلطان الذى اعتبره اليهود عدوهم الأكبر فى الدولة فقد بذل جهدا كبيرا من أجل وقف هجرة اليهود إلى فلسطين وحارب الصهيونية بكافة أشكالها ورفض قيام دولة لليهود ولم يرضخ للإغراءات التى حاولوا تقديمها للدولة فى شكل مساعدات مادية كبرى وكان نتيجة رفضه لكل محاولات اليهود هو فقدانه عرشه ونفيه.

وكان تخطيط يهود الدونمة لإلغاء الخلافة تدريجيا حتى لايألبوا الرأى العام المسلم ضدهم ، وكانت وسائلهم فى ذلك هى:

١- إثارة الأقليات غير المسلمة مثل إثارة الأرمن ضد السلطان عبد الحميد بهدف تكوين دولة أرمينية داخل الأناضول هذا إلى جانب استغلال الطوائف المسيحية للتمرد على الدولة ، مما دفع سلطان الدولة (السلطان عبد الحميد الثانى) إلى القول «لم أكن أدهش لهيام الأرمن بحب الاستقلال ، خاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلاتوقف، لكننى أدهش لأن بعض أفراد تركيا الفتاة الذين هربوا إلى أوروبا وأصدروا هناك صحفا ضدى كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية، كما أدهش لأنهم كانوا يأخذون منهم أموالا أيضا». و«كانوا يقولون : إنهم يريدون إنقاذ الدولة العثمانية من التمزق ، ثم يتعاونون مع الذين يعملون على تفتيت الدولة ويتعاهدون معهم.. هل قيام دولة أرمنية فى بطن الأناضول شاهد على إثبات وطنيتهم؟ ... إنهم لم يهدموا عبد الحميد، ها هم قد هدموا الدولة العثمانية!»[١].

وفى الوقت نفسه كان اليهود يقومون بخلق الأكاذيب والأضاليل وتزويد الدولة بمعلومات كاذبة عن الأرمن ومن هؤلاء المحامى «قره صو» فكان يقدم عشرات التقارير التى يتهم فيها الأرمن بالتجسس أو تهريب الأموال إلى الخارج أو محاولة اغتيال السلطان وإذا ما حاولت الدولة التحقق من هذه الأمور كان اليهود يسارعون إلى دفع الرشاوى إلى المحققين من أجل طمس الحقيقة[٢].

٢- تمجيد الحضارة الغربية وتشجيع تغريب تركيا والبعد عن المظاهر الإسلامية فى الوقت الذى قام فيه أساتذة اليهود بتلقين الشباب التركى المبادئ والاتجاهات الفكرية الغربية عن طريق دعاياتهم والصحف التى يمتلكوها[٣].

١- مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى، محمد حرب ، دار القلم، دمشق ، ط٤، ١٩٩٨، ص١٥٩ .

٢- انظر س. ناجى ، المفسدون فى الأرض ، العربى للاعلان والنشر، ط٢ ، دمشق، ١٩٧٣، ص٣١٤ .

٣- هـ. س. ارمسترونغ، الذئب الأغبر، مصطفى كمال، دار الهلال، القاه[illegible] ، ١٩٥٢م، ص[illegible] .

كما حاولوا إرغام الطلاب الأتراك للانضمام إلى صفوفهم عن طريق رشوتهم ومدهم بالأموال ومن يأبى فى مجاراتهم كانوا يلفقون له التهم بانضمامه إلى الجماعات السرية المناهضة للدولة .

٣- سياسة التتريك وبعث القوميات ، قام الدونمة بدور بارز فى سياسة تتريك الدولة وهذه القضية قامت على سياسة الضرب على أوتار القوميات القديمة التى أماتها الإسلام، وإحياء النعرات الطائفية، وإثارة الجنسيات المختلفة التى تعيش فى كنف الدولة العثمانية ، ومن ثم تتمزق أوصال تلك الدولة التى ظلت دولة متماسكة زهاء أربعة قرون أو تزيد[١].

وقد نجح اليهود فى مساعيهم للإيقاع بين الأتراك والطوائف التى تقيم داخل الدولة، ونتيجة هذه المساعى اضطهدت الدولة العثمانية الطائفة الأرمنية وأبعدتهم عن ميادينها الاقتصادية فقام اليهود باحتلال مكانة الأرمن واستولوا على مرافق الدولة الاقتصادية وخاصة فى استانبول وإزمير وسالونيك التى سيطر فيها اليهود على اقتصاديات تلك البلاد محتلين مكانة الأرمن الاقتصادية فيها[٢] .

علاقة جماعة الدونمة بجمعية الاتحاد والترقى:

برز نشاط جمعية الاتحاد والترقى فى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) وكان نشاطها فى ذلك الوقت ينحصر فى إصدار الصحف المعادية لنظام الدولة والخلافة عن طريق دوائر البريد الأجنبية التى تميزت بحرية خاصة داخل الدولة ثم أصبحت صاحبة السلطة الحقيقة فى الدولة العثمانية فى الفترة من ١٩٠٨-١٩١٨ م بعد القضاء على السلطان عبد الحميد الثانى. ويرجع الدور الأكبر لإقصاء السلطان عبد الحميد إلى هذه الجمعية التى قامت بثوره سياسية كبرى تزعمها اليهود الدونمة فى ذلك الوقت وقد نشطت الجمعيات والأحزاب السياسية فى الدولة وكانت تدعو إلى الإصلاح ولامركزية للإدارة وكان لتلك الجمعية فروع كثيرة فى العواصم الأوربية المختلفة إلى جانب وجودها الرئيسى فى سالونيك[٣].

١- محمد زغروت، مرجع سابق، ص٦٤ .

٢- س. تاجى، مرجع سابق، ص٣١٥ .

٣- انظر رامزور ، مرجع سابق ، ص٤١ .

وكان تكوين هذه الجمعية من بعض الضباط الأتراك وعدد من طلاب المدرسة الطبية العسكرية إلى جانب أعضاء بارزين من اليهود الذين كانوا يعدون أركانا هامة وقوية فى هذه الجمعية أمثال «جاويد بك» وزير المالية و«طلعت» وزير الداخلية ورئيس الجمعية وكانت هذه الجمعية فى بدايتها فرع لحزب تركيا الفتاه المتشبع بالأفكار الغربية. وكانت جلسات جمعية الاتحاد والترقى تعقد داخل المحافل الماسونية لتأمين اتصالاتهم الهادفة لقلب الحكم فى البلاد وتتريكها وتأسست عام ١٨٨٩م بزعامة إبراهيم تيمو اليهودى الماسونى وقد نالت العناصر اليهودية خاصة الدونمة أهمية خاصة[١].

وقد نجح يهود الدونمة فى السيطرة على جمعية الاتحاد والترقى واستخدم الاتحاديون قصور ومنازل يهود الدونمة لعقد اجتماعاتهم السرية. كما نصبت جمعية الاتحاد والترقى فى وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من اليهود وهم «بساريا» وزيرا للأشغال و«نسيم مازلياح» للزراعة و«جاويد» وزيرا للتجارة وهذا يعنى امتلاك اليهود ينابيع الثروة فى البلاد [٢].

فى ذلك الوقت سار الحاكم الفعلى لجمعية الاتحاد والترقى يسير على نهج الخطط والأفكار اليهودية .

وبعد إقصاء السلطان عبد الحميد قام اليهود بالدور الأكبر فى تقطيع أوصال الخلافة والتوجه نحو سياسة قومية تركية ، فأعلنوا عن نواياهم فى تتريك بقية العناصر المثلة لشعوب الخلافة.

وكانت سياسة التتريك تلك التى روج لها الاتحاديون بمساعدة اليهود الدونمة ، قد ظهرت فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى، على أيدى بعض المناوئين لحكمة والحانقين على آل عثمان .

١- Ibrahim Timonun ittihad ve Teraki Anilari, Arba Yayinlari, Istanbul Tahihsiz.

٢- رشيد رضا ، المنار، ج٢، م١٦ ، ١٩١٣، ص١٥٦ ، ١٥٧ .

وقد أدار فرع القبانجيلرية من يهود الدونمة انقلاب حزب تركيا الفتاة الذى أطاح بحكم السلطان عبد الحميد وأفسح المجال لحكم جمعية الاتحاد والترقى ومن أبرز يهود الداخل الذين كان لهم تأثير كبير على الحياة التركية «موئيز كوهين» الكاتب اليهودى وكان عضوا أساسيا في جمعية الاتحاد والترقى، وهو الذى دعى بضرورة قيام دولة تركية طورانية تجمع أتراك العالم فى دولة واحدة وتتريك البلدان التابعة للدولة العثمانية ، ومن يهود الداخل أيضا برز «أورام غالانتى» وعما نويل قره صو» .

و«قره صو» كان من أبرز الشخصيات الدونمية التى كان لها دورها الفعال فى الحياة السياسية التركية وهو يهودى من سالونيك ، عمل أستاذا أعظم فِى المحفل الماسونى «ماكدونيا ريزورتا» ، وكان عضوا بارزا فى لجنة الاتحاد والترقى وعضو المجلس النيابى عن سالونيك فى عام ١٩٠٨ ونائبا لفرقة التجارة بها وعضو المجلس النيابى عن استانبول فى ١٩١٢ ، ١٩١٤م من بين ثلاثة نواب يهود.

كان «قره صو» حريصا على أن يكون تركيًا بالدرجة الأولى وكان حلقة وصل بين سالونيك واستانبول فيما يتعلق باتصالات الاتحاد والترقى وهو عضو اللجنة التى أبلغت السلطان عبد الحميد بقرار خلعه وقد نجح قره صو مسئول جمعية الاتحاد والترقى فى استمالة المدنيين والعسكريين فيها إلى الانضمام للماسونية وكان له دوره فى تهيئة الفرصة لعمل الجمعية الشورى، وهو الذى اشترك فى بيع ليبيا لإيطاليا نظير رشوة تلقاها من الإيطاليين .

أما محمد جاويد : فقد شغل منصب وزير المالية فى عهد الاتحاد والترقى أكثر من ثلاث مرات حتى عام ١٩١٨م وهو يهودى من الدونمة، وقد سبق القول إنه كان له دورا كبيرا فى استغلال الاقتصاد فى تركيا وفقا لأهدافه .

وكان «نزهت فائق» أحد وزراء مالية هذا العهد، وبرز أيضا «مصطفى عارف» أحد وزراء داخلية الاتحاد والترقى من يهود الدونمة أيضا ، و«مصلح الدين عادل»: الذى كان مستشارا لوزارة التعليم التركية وأحد أساتذة الحقوق وكان نائبا لوزير التربية [1].

١- هدى درويش ، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، دار القلم، دمشق ، ٢٠٠٢م، ج١، ص ص١١٧، ١١٨ .

ومن يهود الدونمة البارزين ، «رمزى بك» : أحد قواد الجيش فى عهد السلطان عبد الحميد وأصبح بعد ذلك رئيس مساعدى السلطان «محمد رشاد» ، و«أحمد أمين يلمان» : الذى أسس صحيفة «صباح» التركية عام ١٩٠٧م ، وكان رئيسا لتحرير صحيفة Tanin «طنين» عام ١٩٠٨م وفى عام ١٩١٦م أصبح رئيسا لتحرير صحيفتى صباح والوطن.

ومن اليهود الذين كان لهم دورهم البارز فى الحياة السياسية التركية أيضا ، «مدحت باشا» وهو من يهود الدونمة الذى كان واليا على بغداد عام ١٨٦٨م وكان متأثرا بالأفكار الغربية وقد استطاع الإطاحة بالسلطان عبد العزيز بالاتفاق مع انجلترا وألمانيا وفرنسا. وكإن مدحت باشا حاكم ولاية الطونة (الدانوب» ابن حاخام هنغازى وهو الذى انشأ المدارس اليهودية فى الشرق. وفى عام ١٨٧٧م تبين أن «مدحت باشا» كان له اتصال بانجلترا حين كان يعمل صدرا أعظم للبلاد فقام السلطان عبد الحميد بإقالته واتهم بالخيانة العظمى وحكم عليه بالإعدام إلا أن الحكم لم ينفذ نتيجة لتدخل السفراء الأجانب وتوفى وهو فى منفاه فى الجزيرة العربية واستغلت اليهودية العالمية هذه الحادثة ضد السلطان عبد الحميد [١].

ومن خلال رسالة بعثها السفير البريطانى فى استانبول إلى وزير خارجيته فى أغسطس عام ١٩١٠ يتضح لنا الدور المشترك الذى قامت به جماعة يهود الدونمة مع جمعية الاتحاد والترقى بغرض هدم الدولة العثمانية وخاصة القضاء على السلطان عبد الحميد الذى كان يمثل العدو الأوحد لهم جاء فيها : إن لجنة الاتحاد والترقى تبدو فى تشكيلها الداخلى تحالفا يهوديا تركيا مزدوجا. فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة، ويمدها اليهود بالعقل المدبر ، إن اليهود الذين يبدون الآن فى موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلى للدولة ، يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة، ولكى يصلوا إلى مكان النفوذ فى تركيا الفتاة، فانهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية»[٢].

١- أرنست رامزور، مرجع سابق، ص٤٦ .

٢- أحمد نورى النعيمى ، أثر الأقلية اليهودية، مرجع سابق، ص١٢٩ .

ومن هنا نستطيع القول إن دور اليهود فى التسلل داخل أنظمة الدولة يسير على هذا النمط حتى وقتنا الحالى .

قام يهود الدونمة بالعمل ضد تركيا من خلال أسماء متعددة منها: جمعية الاتحاد اليهودى العالمى، والمنظمة الصهيونية ، ومنظمة رأس المال العالمى [١].

كما كان لهم دورهم البارز داخل جمعية الاتحاد والترقى فى اغتيال السلطان عبد العزيز ، وذلك لأنه كان يفضل الأرمن على اليهود ، وكان يبعد اليهود عن المراكز الحساسة فى الدولة فتآمروا عليه وأزاحوه عن السلطنة ، والسلطان عبد العزيز هو حفيد مراد الثانى الذى فتح لهم البلاد على مصراعيها عند طلبهم الهجرة إليها. واستبدلوه بمراد الخامس، وفى عام ١٩٠٨م هاجر عدد كبير من يهود الدونمة إلى الآستانة حيث مارسوا هناك سياسة الضغط السياسى والاقتصادى على العثمانيين.

واليهود خاصة الدونمة هم الذين قاموا بحوادث ١٩٠٨م إذ ثبت تأثير الدونمة (المرتدين) فى صفوف الجيش عندما تخفوا فى زى الجنود ، وبدأوا بتحريضهم للقيام بالثورة ضد السلطان.

كما أن لجنة سالونيك قد تكونت تحت رعاية ماسونية بمعاضدة اليهود والدونمة فى تركيا وكان مركزهم فى سالونيك .

وقد لعب كل من «قره صو» و«مترسالم» و«ساسون» و«فارحى» و«مازلياح» و«جاويد» وأسرة «بالجى» دورا بارزا فى تنظيم اللجنة وفى مناقشات جهازها المركزى فى سالونيك[٢].

وكان السلطان عبد الحميد يعلم بحقيقة العلاقة بين يهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقى ففى ذلك الوقت طلب السلطان عبد الحميد من حاخام استانبول

١- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص٨٦ .

٢- حسان على حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ط٢ ، دار الهدى، جامعة بيروت العربية، ١٩٩٠م، ص٣١٢ .

«موشى ليفى» أن يكتب له تاريخهم ، فقام بكتابته وترجمه إلى اللغة التركية وقدمه إلى السلطان عبد الحميد، فكان السلطان عبد الحميد يعلم جيدا أساليب هؤلاد اليهود للإطاحة به .

وكان العثمانيون يعلمون بهذا الأمر ويعلمون أن مركز ذلك الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود يكونون فيها نيف وسبعون ألفا ». وقد قام السلطان عبد الحميد باستبعادهم عن استانبول . إلا أن هذه الحركة عملت على استغلال عداء العرب وبقية القوميات فى الدولة العثمانية لحكم السلطان العثمانى، بالرغم من أنه لم يكن هناك هدف واحد وقاسم مشترك بين المشتركين بالثورة، ولكن تعددت الأهداف بتعدد القوميات ، وتعددت المطالب بتعدد الزعامات ويمكن القول إنه لم تكن توجد أهداف مشتركة بين الاتحاديين وبين الحركة العربية سوى اشتراكهما فى كراهية سياسة السلطان عبد الحميد[1].

أما عن يهود الدونمة الذين عاشوا فى سالونيك : «فقد كان يهود سالونيك يعرفون بأنهم شركاء الثورة التركية الحقيقية. وهؤلاء من العرق اليهودى لكن معتقدهم قد لايكون يهوديا أصيلا والاعتقاد الشائع بين الناس هو أنهم مسلمون بالاسم أما بالفعل فهم من أتباع توراة موسى. وفى تلك الفترة التى نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه الطائفة اليهودية المغمورة المسماة بالدونمة ستلعب دورا رئيسيا فى ثورة كان لها نتائج خطيرة فى سير التاريخ »[2]. ومن ناحية أخرى كان ليهود الدونمة دورهم الرئيسى فى تنظيم العصابات السلافية فى البلقان[3].

١- هدى درويش ، رسالة دكتوراه ، ج١ ، مرجع سابق، ص١٠٩ .

٢- زين نور الدين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٠٧ .

٣- حسان على حلاق، مرجع سابق، ص٣٠٠ .

من هنا نستطيع القول أن حركة سبتاى زفى كانت حركة سياسية دينية وذلك لأن سبتاى كان أول صهيونى يبشر بعودة بنى إسرائيل إلى فلسطين [١]. حيث مهد الطريق للصهيونية التى ترفض القيود الدينية وتعلى الذات القومية على كل شئ وترفض الموقف الدينى الذى ينصح اليهود بالانتظار . وكان هرتزل معجبا بشخصية سبتاى زفى وكان يفكر فى كتابة أوبرا عنه لتمثيلها فى الدولة الصهيونية بعد إنشائها [٢] .

ونظرا لعدم اعتراف الأتراك بهذه الجماعة إلى جانب معارضة الحاخامات اليهود لهم فقد اختلطت جماعة الدونمة بالأتراك وقت إعلان الجمهورية وانتهت فى ذلك الوقت حياتهم السرية وبدأ أفراد الدونمة يسمحون بمصاهرة الأتراك بغرض زوال عرقيتهم بالتدريج ومثال ذلك زواج صبيحه سرتل الكاتبة الدونمية من زكريا سرتل الكاتب التركى اللذان أسسا معا جريدة شيوعية باسم «طان». وقد قادت هى وزوجها حركة شيوعية وكانا مقربين إلى قادة تركيا الفتاه وكان نشاطهما الوظيفى قد طبع بالصراعات مع السلطة وقامت السلطات التركية بنفيهما إلى الاتحاد السوفيتى بسبب دعايتهما للشيوعية [٢].

ويقول دانشمند عن هؤلاء الدونمة ومجالاتهم السياسية : إن هؤلاء الرجال محرمون تماما من الشعور بالوطن والأمة وهؤلاء الذين أسلموا قهرا وانتسبوا إلى المجتمع العثمانى كعبيد كانوا ينظرون إلى الترك بعين رديئة وسيئة [٣].

ومن خلال حديث لـ «اليغاز زورلو» مؤلف كتاب السبتائية فى تركيا ونشر فى جريدة Jerusalem Post إن «روخشان» زوجة أجاويد رئيس وزراء تركيا الحالى دونمية الأصل كما أن إسماعيل جم وزير خارجية تركيا أيضا من يهود الدونمة بالإضافة إلى تانسو تشيلر رئيسة وزراء تركيا سابقا التى ترجع أصولها إلى الدونمة أيضا.

١- انظر . هدى درويش، علاقة تركيا باليهود وإسرائيل وتأثيرها على المنطقة العربية، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص٩٢ .

٢- عبد الوهاب المسيرى، مرجع سابق، ص١٠٠ .

3- Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojsi, 4.c. Istanbul, 1972, s. 354.

إلا أن الأتراك لايعترفون بهؤلاء الدونمة بالرغم من وجود شخصيات أكاديمية وصحفية وإعلامية وسياسية ترجع لأصول دونمية وفى الوقت نفسه فإن اليهود لايعترفون بهؤلاء الجماعة نظرا لشخصيتهم المزدوجة المسلمة واليهودية.

ويدافع السبتائيين عن أنفسهم فى حوار لزورلى صاحب كتاب السبتائية فى تركيا مع جريدة يديعوت أحرونوت: «إن السلوك الذى اتبعته إسرائيل واليهود فى عدم دخول سبتاى تركيا، يعد ظلما فى حق السبتائيين فى تركيا» وأضاف أن اليهود لا يرغبون فى المساواة بينهم وبين السبتائيين وأعلن أن كبير الحاخامات اليهود طالب هذه الجماعة إما أن تكون مسلمة أو يهودية وعارض كونهم «بين بين» وقد دافع زورلى عن هذا بقوله : «إن جماعتنا لم تتزوج بالمسلمين حتى تبقى يهوديتهم خالصة، أما أجيالنا الجديدة فقد تربت على منطق جديد ألا وهو الاندماج داخل المجتمع وازالة هويته لكننا فى النهاية كلنا يهود وجماعة السبتائية جماعة يهودية خالصة وحقيقة [1]. وأضاف زورلى «أن سبتاى زفى صرح أنه مسلم حتى ينجو من العقاب لكن على الرغم من هذا فان الذين استمروا معه بعد إسلامه ظلوا يحافظون على هويتهم اليهودية الأصلية ثم انقسمت الجماعة بعد موت زفى إلى ثلاثة أقسام قامت كل فرقة باتخاذ كبير حاخامات لها ومعابد خاصة».

وجاء على صفحات جريدة «الوطن» التى يصدرها الدونمة فى تركيا فى معرض دفاعهم عن أنفسهم: لاشك أن إثارة الفتنة والفرقة فى البلاد بغرض الانتقام الشخصى أمر مذموم . فأى شئ أقبح وأبشع ممن يسعى إلى عزل أناس قبلوا الإسلام قبل قرنين ونصف وأصبح أكثرهم أتراكا حقيقيين إننا نأمل أن يسعى المجلس الوطنى إلى التحقيق فى الأمر ومعرفة الوضع الحالى ووضع حد لاستغلال موضوع إسلام يهود الدونمة فى إثارة الفتن [2].

١- هدى درويش، مرجع سابق، نقلا عن : Ogun Duru, Sebetayciden Muthis Idia, Yeni Safak,22 Mayis, 1999.

٢- مصطفى طوران، مرجع سابق، ص٦٧ .

من خلال ما سبق يتبين لنا هنا أن تلك الجماعة ذات الهويتين اليهودية والإسلامية لم تستطيع التعبير أو الدفاع عن هويتها ففى الفقرة الأولى تدافع عن يهوديتها الأصلية واضطرارها دخول الإسلام جبرا والفقرة الثانية تدافع عن حقها فى دخولها الإسلام وتظهر نفسها فى موقف المظلوم وذلك هو أسلوب الخداع الذى يستخدمه اليهود على مر العصور.

ويعبر رئيس وزراء إسرائيل الأسبق «إسحاق بن زفى» فى كتابه «الدونمة» الذى صدر عام ١٩٥٧م عن هؤلاء الدونمة بقوله : «إن يهودا كثيرين جدا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين : إحداهما ظاهرة وهى اعتناق دين الشعب الذى يعيشون بين الشعوب جماعيا وظاهريا . والثانية باطنة وهى إخلاص عميق لليهودية .

وقد قام يهود الدونمة بالتأثير على الأحزاب السياسية التركية دون الانتماء إليها وذلك من أجل التأثير على اتخاذ القرارات السياسية فى الدولة، فكانوا يعينون بعض النواب وكبار الموظفين فى مجالس إدارة الشركات اليهودية وذلك من أجل الاستفادة من دورهم السياسى ونفوذهم فى الدولة وهدفهم فى هذا هو عدم اتخاذ قرار من قبل الدولة يضر بالمصالح اليهودية والصهيونية فيها، وكان شعارهم هو شعار الماسونية الحرية.. المساواة .. الإخاء ويؤكدون أن الماسونية مؤسسة يهودية خالصة وأن تقاليدها وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادرنا فهى منا ولنا من البداية إلى النهاية»[١].

العلاقة بين يهود الدونمة والماسونية :

نشأت الماسونية كحركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات اليهود بهدف إقامة تنظيم يهودى يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية ، وهى عند مؤسسيها حركة ذات هدف يهودى بحت وذات طابع عالمى[٢].

ودستور الماسونية هو «الحرية » و«المساواة» و«الإخاء» وهدفها تكوين جمهورية عالمية لا دينية تنادى بالعلمانية[٣].

١- جواد رفعت اتلخان ، أسرار الماسونية، ترجمة نور الدين رضا وسليمان محمد أمين القابلى، المختار الإسلامى، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٥٣ .

٢- صابر طعيمة. الماسونية ذلك العالم المجهول، دار الجيل، بيروت ، ١٩٧٥، ص١٥ .

٣- جواد رفعت اتلخان : أسرار الماسونية، ترجمة نور الدين رضا، المختار الإسلامى، القاهرة، ص١٧-٢٧ .

وكان للماسونية دورها الفعال فى الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد وكان رؤوس الماسون أعضاء فى جمعية الاتحاد والترقى أمثال طلعت باشا وكان وزيرا للداخلية وجمال باشا وعمانويل قره صو وغيرهم وقد تمتع هؤلاء بامتيازات من الحكومة بهدف حماية أعضاء الجمعية ونقل مطبوعاتهم ومنشوراتهم إلى أنحاء العالم وفتح منازلهم لاجتماعاتهم السرية. وكان أول محفل ماسونى يظهر فى الدولة العثمانية فى ولاية سالونيك عام ١٦٨٣م باعتبارها ثغرا تجاريا هام فى تركيا ، وكان اليهود يمثلون أكثرية سكان هذه الولاية بالإضافة إلى أنها المنطقة التى سمح فيها السلطان عبد الحميد ببقاء يهود الدونمة فيها حتى يتجنب تحركاتهم خارجها ، ونتيجة لهذا أصبحت سالونيك مركزا دونميا فعالا فى الحوادث التى أدت إلى القضاء على السلطنة العثمانية.

وقد ارتبط يهود سالونيك بالصهيونية العالمية لخدمة أغراضهم حتى أصبحت سالونيك فى أواخر القرن الثامن عشر مركزا كبيرا لنشاط يهود الدونمة السياسى والعسكرى وقد استطاعوا الاتصال بعناصرهم فى العواصم الأوربية عن طريق المحافل الأوربية فكانت تقوم بعمليات التمويل المالى ونشر الجاسوسية واستغلال الأشخاص لتحقيق أغراضها. وكان اليهود يفدون إلى الدولة العثمانية فى شكل ممثلين دبلوماسيين ويحتمون هناك بالسفارات الأجنبية فيعملون على كشف أسرار الدولة وإضرام روح العداوة والفتنة بين الطوائف الموجودة بالدولة بهدف القضاء على الدولة العثمانية وعزل السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديون حكم الدولة.

وقد كشف السلطان عبد الحميد فى مذكراته عن الكوارث التى حلت بالدولة نتيجة المكائد التى كانت تدبرها الدول الأوربية بالتعاون مع يهود الدونمة.

وكان لعمانويل قره صو اليهودى الدونمى دوره الكبير فى إقناع رجال تركيا الفتاه ضباطا ومدنيين بالانتماء إلى الماسونية ، وهدفه فى هذا فرض النفوذ اليهودى على الأوضاع الجديدة فى تركيا ومنحهم الأمان فى محفله المسمى «ريزورتا ماكدونيا» لأن هذا المحفل كان يتمتع بحصانة للأجانب المقيمين فى الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش واستطاع قره صو بهذا السيطرة على جمعية الاتحاد والترقى.

أما جاويد بك الذى كان يشغل منصب وزير المالية فى الدولة العثمانية فهو دونمى وكان يمثل قمة الماسونية فى تركيا وكان نائبا لولاية سالونيك.

والجدير بالذكر أن يهود الدونمة كان لهم النصيب الأكبر فى التغلغل فى حياة الدولة العثمانية عن طريق المحافل الماسونية حيث مثلت هذه المحافل المراكز القوية فى الدولة وكان منهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار الموظفين والمسئولين فى الدولة ومن أهم المحافل التى كان لها تأثيرها فى الدولة محفل سالونيك، ومحفل فى مدينة إزمير الذى تأسس عام ١٧٣٨، ومحفل «مشرقى أعظم عثمانى» الذى تأسس فى مصر عام ١٩٠٩م. وحتى الحرب العالمية الأولى كان يوجد فى تركيا ما يقرب من ٦٥ محفلا ماسونيا وكان بعضها تابع للشرق الإنجليزى وبعضها للفرنسى والإيطالى، حتى أصبح عدد الماسون الأتراك المسلمين عام ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف شخص. وفى عام ١٨٩٤ استطاع السلطان عبد الحميد إغلاق معظم المحافل الماسونية عدا محفل سالونيك لارتباطه بالمحافل الأوربية والذى كان يتبع المشرق الأعظم الإيطالى الذى كان يعطى أعضاءه الحماية من التفتيش أو المحاكمة بحكم المعاهدات التى كانت بينه وبين الدولة العثمانية فكانوا يعقدون اجتماعاتهم فى سرية تامة[١].

علاقة الدونمة بمصطفى كمال أتاتورك:

تؤكد بعض المصادر أن مصطفى كمال ترجع أصوله إلى الدونمة لكن هناك اختلافات كثيرة فى نسب مصطفى كمال. والحكومة التركية تنفى انتسابه ليهود الدونمة ويعزو يهود الدونمة قولهم بانتساب أتاتورك لهم هو محل ميلاده فى مدينة سالونيك وقضاءه سنوات دراسته فى مدرسة «شمس أفندى» السبتائى وكانت أول مدرسة تدرس العلوم الغربية وكان يدرس فيها السبتائيين. وكان شمس أفندى هو أول مدرس لمصطفى كمال وهو أحد كبار الفلاسفة اليهود السبتائيين فى القرن التاسع عشر وقد ذكره مصطفى كمال فى خطابه واحتل مكانة كبيرة فى كتاباته[٢].

١- صالح زاهر، اليهود فى تركيا، مرجع سابق، ص٢٥، وحسان على حلاق، مرجع سابق ص ٢٩٠.

2- Ilgaz Zorlu, a.g.e. s. 19.

كان شمس أفندى يدرس لطلابه قواعد ومبادئ السبتائية إلا أن الأستاذ الدكتور «عبد الرحمن كوتشوك» الذى كان أول من كتب عن يهود الدونمة فى تركيا فإنه يرجع زعم اليهود بانتساب أتاتورك إلى يهود الدونمة إلى الأسباب الآتية:

١- أن الدونمة كانوا يشكلون أغلبية فى سالونيك وكان ينظر لكل مواليد سالونيك أنهم دونمة.

٢- المدرسة التى درس فيها مصطفى كمال أتاتورك تأسست من قبل الدونمة وهو كُتَّاب شمس أفندى وقد تربى فيه أكثر أطفال الدونمة.

٣- رغبة الدونمة فى كسب مشروعية مثل الماسونية عن طريق انتساب الرجال المشهورين إليها[١].

ويقول عبد الرحمن كوتشوك أنه كما يوجد دونمة كثيرين فى سالونيك فإنه كان يوجد عدد ليس بالقليل من الأتراك المسلمين يقيمون فيها، وهذا لايعنى أن كل سالونيكى من يهود الدونمة فقط.. وبالإشارة إلى قول اليهود بتعلم أتاتورك فى مدرسة شمس أفندى فإنه كان يوجد العديد من مدارس الأقليات التى يتعلم فيها أطفال الأتراك [٢].

أما عن علاقة اليهود بمصطفى كمال أتاتورك فنستطيع القول إن أتاتورك استعان باليهود فى تنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية الحديثة واستدعى ما يقرب من أربعين أستاذا يهوديا لتوسيع نشاط هذه الجامعة من أبرزهم الأستاذ «ريك» الاقتصادى اليهودى الشهير.

وكان اليهود يعظمون دور مصطفى كمال فى سياسة الدولة التى اتجهت نحو العلمانية وحينما أعلن مصطفى كمال نظام الدولة الجديد بقوله : نحن الآن فى القرن العشرين لانستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يتحدث عن التين والزيتون

١- هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية، مرجع سابق، ص١٣٠ .

2- Abdurrahman Kucuk, a.g.e. s. 465 , 466 .

و(يقصد القرآن الكريم) !! صفق له يهود الدونمة ورددوا مع شاعرهم «فاروق نافذ» قائلين:«الآن سلمنا البلاد لأيدى مصطفى كمال الأمينة وتركنا الكعبة للعرب» .

ومن مظاهر احترام اليهود لأتاتورك فإن اليهود الذين هاجروا من تركيا إلى إسرائيل أقاموا نصبا تذكاريا لأتاتورك على الطريق بين تل أبيب وحيفا [١].

وقد استلهم قادة الاتحاد والترقى فكرة الطورانية وانشاء الجامعة الطورانية من الدونمة وتهدف فكرة الطورانية إلى العمل على تتريك الدولة العثمانية من عناصر غير تركية والدعوة لتخليص اللغة التركية من جميع المفردات العربية وبناء مجتمع جديد يقوم فى شكل وحدة قومية بديلة عن الوحدة الإسلامية . ومن أهداف هذه الحركة أيضا محاربة الأديان وبث روح الإلحاد بين الشعوب .

ومن أشهر قادة الطورانية «تكين ألب» الذى وضع نظرية تهدف إلى تحول الاقتصاد العثمانى بعد الحرب العالمية الأولى إلى الاعتماد على الأموال اليهودية إلى جانب الاعتماد على الشخصيات اليهودية لإدارة الاقتصاد العثمانى[٢].

ومما لاشك فيه فإن الصهيونية تعد وريثة التراث القبالى فى بنيتها وتؤكد الصهيونية أن عملية خلاص الشعب اليهودية الذى يأخذ شكل العودة إلى صهيون دون انتظار الماشيح (أى شكل التعجيل بالنهاية) ومن هذا المنطلق فان سبتاى زفى يعد أول مبشر بالصهيونية بين اليهود.

١- ميشال نوفل وآخرون، العرب والأتراك فى عالم متغير، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت ، ١٩٩٣م، ص٩٥ .

٢- صالح زاهر ، مرجع سابق، ص٣٨ - ٥٥ .

الفصل الثالث
دور يهـــود الدونمـــة فى تغييـــر الأنماط الفكرية فى المجتمع التركى

تسلل يهود الدونمة إلى المجتمع التركى المسلم عن طريق الهيمنة على أجهزة الإعلام أكثر الوسائل تأثيرا على الرأى العام فى المجتمع. وعن طريق السيطرة الاقتصادية، وامتلاك معظم الصحف ، استطاع يهود الدونمة السيطرة على الأجهزة الإعلامية فى الدولة مما كان له أثره على تغيير بعض المفاهيم لدى المجتمع المسلم هناك.

التأثير الإعلامى ليهود الدونمة فى تركيا:

سيطر يهود الدونمة على دور الصحف الكبرى فى تركيا عن طريق تمويلها واشتهرت عائلات «قبانجى» ، و«كبار» ، و«ايبكجى» اليهودية بتأثيرها الواسع المدى على الحياة الإعلامية فى تركيا وتدعيمها ماليا بغرض السيطرة عليها.

ومن خلال امتلاك اليهود للمجلات التركية مثل مجلة «اجتهاد» المعادية للإسلام وصحيفة «تركيا الفتاة» الناطقة بلسان حال الاتحاديين، وصحيفة «العصا» التى تأسست فى مصر ونادت بهجرة اليهود إلى فلسطين، بالإضافة إلى صحيفة «اللونار» أهم صحف سالونيك التى أسسها «يهود نحما» عام ١٨٦٤؛ استطاع اليهود التحكم فى الإعلام التركى طبقا لأهدافهم .

وكان توجههم يتجه نحو إحياء اللغة العبرية وتوثيق علاقة يهود الدولة مع يهود أوربا [١].

١- لمزيد من التفاصيل انظر هدى درويش ، العلاقات التركية اليهودية، ج١، مرجع سابق، ص١٣٨-١٤٣ .

وقد استمر النفوذ الإعلامى اليهودى على مراحل العهود التركية فمع ظهور الجمهورية التركية الحديثة برزت القوة الإعلامية اليهودية فى صورة امتلاك أهم الصحف والمجلات زائعة الانتشار مثل مؤسسة جريدة «حريت» أشهر الصحف التركية وأكثرها انتشارا حيث يصل توزيعها يوميا إلى حوالى مليون نسخة وتمتلك هذه المؤسسة دار نشر وعدة مجلات دورية ومؤسس هذه الجريدة «سداد سيماوى» وهو من يهود الدونمة.

وقد هاجم سداد سيماوى على صفحات جريدته حجاب المرأة الذى ما زال موضع هجوم وانتقاد فى تركيا حتى وقتنا الحاضر، وقامت هذه الصحيفة أيضا بدور كبير ومؤثر فى تهيئة الرأى العام التركى لقبول فكرة إقامة دولة صهيونية فى فلسطين[١].

وقد مدت الصهيونية هذه الصحيفة بأحدث ماكينات الطباعة كما أسست لها شركة إعلانات كبرى باسم «إعلانجيليق».

ويمتلك يهود الدونمة أيضا جريدة «كون ايدن» وهى ثانى صحف تركيا توزيعا بعد «حريت»، ويمتلكون أيضا جريدة «ترجمان» ثالث الصحف التركية توزيعا ويملكها «عثمان كبار» من عائلة «كبار» اليهودية الدونمية وكان رئيسا لبلدية إزمير[٢].

ويملك يهود الدونمة جريدة «ميلليت» رابع الصحف التركية توزيعا ورئيس تحريرها هو «عبدى ايبكجى» الدونمى وكان رئيس نقابة الصحفيين الأتراك والأمين العام لديوان الشرف الصحفى، واشتهرت جريدة ميلليت بمقالات «سامى كوهين» وهو يهودى يعمل مديرا للشؤون الخارجية وهو يوجهها لخدمة اليهودية العالمية[٣].

١- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص٨٤ .

٢- المرجع السابق، ص٨٤، ٨٥ .

٣- محمد نور الدين، تركيا فى الزمن المتحول، مرجع سابق، ص١٩٧ .

ومن أهم ما نادت به صحيفتى «حريت» و«ميلليت» ضرورة التعاون مع إسرائيل للقيام بالعمل المشترك ضد الحركات الأصولية الإسلامية كما عملتا على تجريد العرب من الصفات الإنسانية.

وتمتلك الدونمة أيضا جريدة «جمهوريت» واسعة الانتشار فى تركيا التى يغلب عليها الطابع الماركسى وقد تولى إدارتها كل من «يونس نادى» و«رشاد اتابك» وكلاهما من الدونمة . وخلفهما فى رئاسة تحرير جمهوريت «نادر يونس» الذى أظهر عداء كبير للإسلام وقام بمهاجمة علماء الأتراك المسلمين مشوها صورهم وكان يتهمهم بالرجعية والتعصب[١] وقد استطاعت هذه الصحف اليهودية السيطرة إعلاميا على الرأى العام التركى عن طريق نشر أفكارها الغربية مما أثر بالتالى على أفكار المجتمع التركى .

ومن ناحية أخرى كان ليهود الدونمة دورهم وتأثيرهم على وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتليفزيون وقد تولى إدارتها «إسماعيل جم» الدونمى الذى ترجع أصوله إلى أسرة ايبكجى الدونمية، وكان من أبرز الكتاب الماركسيين[٢].

أسس «إسماعيل جم» جريدة «بولبتيكا» (السياسة) وهى جريدة يومية كان لها دوراً بارزاً فى تركيا وكانت تقوم بنشر أفكار اليسار المتطرف فى تركيا، وقد تم استبعاد «اسماعيل جم» من إدارة جهازى الإذاعة والتليفزيون وقت حكومة الائتلاف عام ١٩٧٥م بتهمة توجيه وسائل الإعلام فكريا إلى الدعوة لفكر اليسار المتطرف. وقد شغل إسماعيل جم منصب وزير الخارجية التركى.

وقد أخذت الهيمنة اليهودية وخاصة يهود الدونمة على وسائل وأجهزة الإعلام التركية طريقها فى بث أفلام تليفزيونية تقوم بالتنديد بمعاداة اليهود والعمل على التعاطف مع إسرائيل واليهود، ونتيجة لتلك الهيمنة فلم يستطع أحد أن يتعرض للدونمة وكل من يحاول الإساءة إليهم فى أى صحيفة من الصحف فإنها كانت تتعرض للمصادرة على الفور[٣].

١- نورى النعيمى، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص٧٦ .

2- A.R. Kucuk. A.g.e. s. 467 .

٣- مصطفى طوران، مرجع سابق، ص٤٦ ، ٤٧ .

وقد تجلى دور الصحافة فى خدمة الأهداف الصهيونية فى تركيا فى النقاط التالية:

- تشويه صورة العرب لدى الأتراك.
- تشويه صورة الأتراك المسلمين ورجالات الدولة العثمانية وتصويرهم فى صورة الحكام المستبدين.
- الانقضاض على الدولة العثمانية وإذكاء الأحقاد الصليبية ضد الإسلام.
- إذكاء روح القومية التركية المتطرفة.
- تحسين صورة اليهودى أمام الرأى العام وخاصة المجتمع التركى.
- تشويه صورة الفدائيين الفلسطينيين ووصفهم بالإرهاربيين.
- تشويه صورة دولة الخلافة ووصفها بالرجل المريض.
- العمل على ترويج فكرة تكوين الدولة التركية العلمانية على النظام الأوربى كبديل للدولة العثمانية .
- تشجيع هجرة اليهود الأتراك إلى فلسطين.
- جمع التبرعات لدعم الجمعيات والمراكز الخاصة باليهود وخاصة اليهود الأتراك.
- إضفاء هالات البطولة على بعض الشخصيات التركية التى تؤيد الصهيونية وتنتمى إلى الماسونية[١].

ومن أبرز يهود الدونمة الإعلاميين فى تركيا :

خالدة أديب:

كاتبة وأديبة بارزة من يهود الدونمة ذات ميول قومية وطورانية متعصبة، احتلت مكانا بارزا فى جمعية الاتحاد والترقى . كانت على صلة وثيقة بقادة الاتحاد

١- إبراهيم الداقوقى ، فلسطين والصهيونية فى وسائل الاعلام التركية، العلاقات العربية التركية ، حوار مستقبلى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص٥٥٠ .

والترقى كما كان لها صلة شخصية بمصطفى كمال أتاتورك . اشتهرت بمعاداتها للدين الإسلامى والدعوة إلى الطورانية وتعليم العرب اللغة التركية إلى جانب دعوتها إلى نشر القومية التركية وكان هذا عن طريق رواياتها ومسرحياتها التى قدمتها ومن أشهر رواياتها «اضربوا الغانية»، و«طوران»، و«قميص من نار». وقد قامت حكومة سوريا بتكليفها بنشر الثقافة التركية هناك فقامت باخراج أوبرا باسم «رعاة كنعان» قام الطلاب بتمثيلها أمام الولاة والقادة العسكريين ومديرى الشرطة وقادة الاتحاد والترقى وتهدف المسرحية إلى إعلان بُشرى بقرب قيام دولة إسرائيل[١].

أحمدأمين يلمان

صحفى من يهود الدونمة، مؤسس صحيفة «الصباح» التركية عام ١٩٠٧ ورئيس تحرير صحيفة طنين، ساهم فى الدفاع عن قيام دولة أرمينية ودولة كردية تقتطعان من تركيا وحثهما على القيام بالاستقلال عن الدولة ، أسس العديد من الصحف والمجلات التى تدعو لمناصرة الصهيونية ودافع من خلال كتاباته عن الماسون الأتراك والشيوعيين الأتراك[٢] عمل رئيسًا لتحرير مجلة «صباح» وطنين و«الوطن التركية» .

كان له دورا بارزا فى حركة الأتراك الشبان فى سالونيك التى طالبت بالتحديث وتغريب الدولة، كما شارك فى ثورة تركيا الفتاة، وكان من أبرز الداعين إلى الاندماج فى المجتمع التركى وقد هاجمته صحف المعارضة التركية وحملّت الحكومة إعطاءه حرية الهجوم على الدولة وقد قام الشاعر التركى «بنزن توفيق» بهجاء يلمان فى قصيدة مطلعها: «أحمد أمين، دونمة يقذف بالطين أهل الشرف»[٣] توفى عام ١٩٥٩م[٤].

١- لمزيد من التفاصيل انظر هدى درويش ، علاقة تركيا باليهود وإسرائيل ، رسالة دكتوراه، ج٢، مرجع سابق، ص٤٠١- ٤٠٤ .

٢- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص٨٣، ٨٤ .

٣- محمد حرب ، «يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد»مرجع سابق، ص٤٧ .

٤- هدى درويش ، العلاقات التركية اليهودية، ج١، مرجع سابق، ص ص١١٨، ١١٩ .

عبدى ايبكجى :

من أشهر رجال الصحافة فى تركيا ، تولى إدارة تحرير جريدة «ميلليت»، عمل رئيسا لنقابة الصحفيين الأتراك وأمينا عاما لديوان الشرف الصحفى، عين عضوا فى هيئة التدريس بمعهد الصحافة بجامعة استانبول عام ١٩٦٨م، واغتيل فى ٢ / ٢ / ١٩٧٩م على يد القومى المتطرف «محمد على أغجا»[١].

اسماعيل جم :

كاتب يهودى من أسرة ايبكجى الدونمية الأصل عمل فى الصحافة فى «جريدتى» «حريت» وميلليت» مديرا للتحرير فيهما، وعين فى منصب المدير العام للإذاعة والتليفزيون التركى حتى عام ١٩٧٥م وقامت حكومة الائتلاف باعفاءه من منصبه . نشر عدة دراسات منها «مصرعبد الناصر» (وكان معجبا بشخصية عبد الناصر الاشتراكية) ، و«تأخر تركيا»، والإصلاح الزراعى»[٢].

عمل وزيراً للخارجية التركية فى وزارة مسعود يلماظ عام ١٩٩٩م ثم تجدد منصبه كوزير للخارجية فى حكومة بولند أجاويد.

وقد لعبت الدعاية اليهودية دورا كبيرا فى التأثير على فكر الشباب وروجت أفكاراً تخريبية عن طريق الصحف ووسائل الإعلان تدعو الشباب للتحضر والبعد عن أفكارهم الإسلامية فنادت بضرورة الاختلاط بين الطلبة والطالبات فى الجامعة باعتبارها صورة حضارية للمجتمع الحديث إلى جانب حملاتهم الإعلامية الشعواء على حجاب المرأة والدعوة إلى سفورها .

تأثير يهود الدونمة على الفكر والأدب التركى :

قام يهود الدونمة بتوجيه الرأى العام التركى إلى تشجيع تغريب تركيا وتمجيد حضارة الغرب والدعوة إلى سفور المرأة وذلك عن طريق تنظيم حفلات على

١- محمد حرب ، تركيا والمصلحة العربية، رسائل النداء الجديد، عدد ٤٣ ، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢١ .

٢- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المسارح التركية تدعو إلى إلغاء حجاب المرأة التركية المسلمة. وقد كانت فكرة تنظيم هذه الحفلات مقدمة طبيعية لقيام ثورة مصطفى كمال ضد الإسلام وحجاب المرأة متشربا بأفكار الدونمة[١].

ومن أجل تحقيق هذا الغرض نادى يهود الدونمة على صفحات جريدتى «ميلليت» و«كون ايدن» باشتراك المرأة التركية فى مسابقات ملكات جمال العالم وقد اشتركت بالفعل المرأة التركية فى مسابقة لاختيار ملكة جمال العالم عام ١٩٣٢م وشاركت فى المسابقة ٢٨ دولة فازت فيها الفتاة التركية «كريمان خالص» بلقب ملكة جمال العالم وأعلن رئيس اللجنة بفوزها بكلمة جاء فيها:

«أيها السادة أعضاء اللجنة إن كل أوربا تحتفل اليوم بانتصار النصرانية، لقد انتهى الإسلام الذى ظل يسيطر على العالم منذ ١٤٠٠ سنة، إن كريمان خالص ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة التى لم تخرج إلى الشارع ولا ترى الناس إلا من وراء المشربيات ، ها هى تخرج الآن أمامنا «بالمايوه» ولابد من الاعتراف أن هذه الفتاه هى تاج انتصارنا ، ها هى حفيدة السلطان العثمانى المسلم تقف بيننا وتطلب منا أن نعجب بها ونحن نعلن لها بالتالى إننا أعجبنا بها مع كل تمنياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات المسلمات يسير حسب ما نريد فلترفع الأقداح تكريما لانتصار أوربا» [٢].

من ناحية أخرى قام بعض الكتاب المحدين والقوميين بالكتابة عن مساوئ الحجاب وأعلنوا أنه ليس من الإسلام وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين[٣].

من هنا نرى كيف سعى يهود الدونمة فى تركيا فى العمل على هتك حجاب المرأة المسلمة وتدمير الأسس الإسلامية التى عاشوا عليها عن طريق الخطط

١- انظر أحمد نورى النعيمى، يهود الدونمة، مرجع سابق ، ص٥١ .

٢- محمد حرب ، خواطر عائد من استانبول ، جريدة الأحرار، مقال الوعى الإسلامى فى تركيا فى ١٥ / ١١ / ١٩٩٦م.

٣- هدى درويش ، رسالة دكتوراه ، ج١ ، مرجع سابق ، ص١١٢ .

والمؤامرات والأفكار التي قاموا ببثها عن طريق الصحف والمجلات التي يمتلكوها تحت ستار تحديث تركيا وتغريبها والمضي نحو العالم المتحضر والبحث عن المدنية والذوق والجمال .

وقد برز تأثير الدونمة على الأدب التركي مع ظهور الداعية النشطة للطورانية والقومية المتعصبة الأديبة خالدة أديب الدونمية الأصل وكانت تشغل منصب أستاذه للآداب الغربية في جامعة استانبول وكان لها إسهاماتها مع جمعية الاتحاد والترقي وقد كتبت روايتها المشهورة «طوران الجديدة» عام ١٩١٦م وقد عبرت فيها عن أيدلوجيتها الطورانية.

ويصف الكُتَّاب خالدة أديب أنها «جان دارك الأتراك» وقد تتلمذت على يد فيلسوف القومية التركية «ضياكوك الب» الذي تتلمذ بدوره على يد المفكر اليهودي الشهير «دور كايم» . وأطلقوا عليها اسم (رسول الطورانية) .

كتبت خالدة أديب روايتين وقت حرب الاستقلال بعنوان «قميص من نار» و«اضربوا الغانية» وتدعوان لعداء الدين مما كان لهما التأثير الكبير على المجتمع التركي وظهر من خلال كتابات خالدة أديب عداءها للإسلام وعلماء الإسلام إلى جانب الدعوة إلى نشر الفكر الإلحادي .

من ناحية أخرى دخل يهود الدونمة في مجال السياسة التعليمية في تركيا من أجل توجيهها طبقا لأغراضهم فقاموا بانشاء مدرستين خاصتين في استانبول وهما: ثانوية الفيضية وثانوية الترقي بهدف تلقين أبنائهم فكرهم وحتى لايضطروا لإرسالهم إلى المدارس التركية[1].

وإلى جانب دورهم في إنشاء المدارس كان لهم دورهم الحيوي وتأثيرهم الكبير عندما استعان بهم مصطفى كمال أتاتورك في تنظيم الجامعة التركية على

١- مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق ، ص٥٤ . (وفي لقاء عقد مع الكاتب التركي: «نبهال اتسز» في ١٩ / ٧ / ١٩٧٥ مع عبد الرحمن كوتشوك حول الشخصيات التركية التي ترجع أصولها إلى الدونمة أوضح فيه أنه عمل مع الدونمة في ثانوية بوغارجي التي أسسها الدونمة وكان له أصحاب منهم شغلوا مناصب ورتب عالية في تركيا ومنهم من كان وزيرا أو عضوا في مجلس الشعب، أو رئيس بلدية أو عالم أو الأسماء التاريخية الشهيرة التي ذكر أصولها الدونمية . (A. R. K, a.g.e.s. 468-469)

الأساليب العلمية الحديثة وقام أربعين أستاذا يهوديا بالمشاركة فى توسيع نطاق تلك الجامعة[١].

وخلاصة القول فإن دراساتنا لحركة يهود الدونمة التى ظهرت فى تركيا كان لها التأثير الواسع المدى على مختلف أوجه الحياة التركية من اقتصاد وسياسة وأدب وفكر وثقافة المجتمع التركى وفى المقام الأول معاداة الإسلام.

وعلى الرغم من عدم اعتراف الحكومة التركية بهم ومعارضة الحاخامات اليهود لهم إلا أن دورهم كان ملموسا ولعبوا أدوارا كبيرة فى مجريات الأمور فى تركيا فى الفترة منذ بداية وجودهم فى الدولة العثمانية وحتى وقتنا الحالى وخاصة أن الكثير من رجال السياسة والصحافة والكتاب فى تركيا ترجع أصولهم للدونمة كما ذكرنا من قبل.

ومما يلفت النظر فإن موضوع السبتائية أو يهود الدونمة لم يحظ بأى اهتمام أو دراسة عنهم كما أن معظم الكتب التى تحدثت عن هؤلاء اليهود فترة تأسيسها على يد سبتاى زفى خاصة الدينية منها قد حرقت فى حريق سالونيك عام ١٩١٧م إضافة إلى الحياة السرية واتخاذ أسلوب الحذر والحيطة لكونهم يهود الأصل والعرق، وفى نفس الوقت تظاهرهم بالإسلام والارتباط به مما أدى إلى صعوبة دراساتهم ولم تظهر مؤلفات عنهم سوى كتاب «الدونمة وتاريخهم» للدكتور عبد الرحمن كوتشوك وكتاب «نعم أنا سالونيكى» السبتائية فى تركيا » والذى صدر عام ١٩٩٨م دراسة وتحليل، وهو عبارة عن مجموعة مقالات جمعها اليغاز زورلى بناء على مشاهداته ولقاءاته مع مجموعات من الأسر التى ترجع أصولها للدونمة إلى جانب زيارته لإسرائيل ومكوثه هناك لمدة عام قام فيها بمقابلة عدد من الشخصيات والعائلات الدونمية وجدير بالذكر فان أصل اليغاز زورلى يرجع إلى الدونمة فهو يتكلم بلسانهم مدافعا عن أصوله اليهودية وفكر هذه الجماعة.

واليغاز زورلى مؤلف كتاب «نعم أنا سالونيكى» ، السبتائية فى تركيا » أهم وأحدث كتاب ينشر عن جماعة الدونمة ، تلك الجماعة التى تشكل الازدواجية بين شخصيتها وأصلها اليهودى وبين انتسابها للإسلام والمسلمين.

١- صالح زهر ، مرجع سابق، ص٣١ .

والكتاب له أهمية خاصة حيث أنه اهتم بتقديم حقائق هذه الجماعة لأول مرة فى مجال علاقتها بالمسلمين والطرق الصوفية الإسلامية إلى جانب تدخلها فى سياق أنظمة الدولة وعلاقاتها بتركيا والسياسة التى اتخذتها تركيا فى التكتم من نشر أى معلومات عن تلك الجماعة إلى جانب الحذر اليهودى الشديد فى الإعلان عن فكر هذه الجماعة العقائدى من ناحية اليهود الرسميين المتزمتين لدينهم ويكشف عن أسباب تحفظ هؤلاء اليهود فى الإعلان عنهم. وقبل أن نعرض دراساتنا لهذا الكتاب فيجدر بنا أن نقدم نبذة عن مؤلفه.

ولد اليغاز زورلى فى سالونيك بتركيا عام ١٩٦٩م، وأتم تعليمه الأساسى والمتوسط فى نفس المدينة، تخرج فى قسم الاجتماع بكلية العلوم الإدارية، جامعة «اولوداغ» فى بورصة عام ١٩٩٠م . ذهب إلى القدس فى الفترة ١٩٩٠-١٩٩١م لإجراء بعض البحوث والدراسات فى معهد «بن زوى» فى إسرائيل عن جماعة السبتائية فى تركيا وساعده فى تلك الدراسات أستاذه الدكتور جاد ناسى وشملت دراساته النواحى الثقافية والتاريخية لليهود، واليغاز زورلى هو الحفيد السادس لشمس أفندى مدرس أتاتورك الأول. وكتاب «السبتائية فى تركيا» الذى نشره فى تركيا عام ١٩٩٨م، استقى الكاتب معلوماته من خلال الوثائق الموجودة فى أرشيف بعض العائلات اليهودية التى يحفظونها فى سرية تامة أثناء زيارته لإسرائيل وقد اشترك فى العديد من المؤتمرات هناك. وتقرب من بعض الكتّاب الذين كتبوا مقالات عن السبتائيين بالإضافة إلى مقابلاته مع بعض العائلات السبتائية التى لاتزال موجودة حتى الآن. وتتناول هذه المقالات فكرهم وثقافتهم الدينية وارتباطهم بمذهب القبالا وهى عبارة عن مبادئ وأسس فلسفية دخلت فيها الأساطير التى تتحدث عن الكون ورؤيتهم للإله ويفسرها هؤلاء المعتقدين فيها أنها أساس التصوف اليهودى وقد حاولوا الربط بينها وبين الطرق الصوفية الإسلامية التى لاتتصل بها ولامجال للمقارنة بينهما وإنما هى محاولة خادعة لتحقيق هويتهم الدينية المخادعة.

ونقدم الآن أهم الأفكار التى وردت فى هذا الكتاب من خلال المقالات التى كتبها زورلى وجمعها فى كتابه ورؤية هؤلاء لأنفسهم وعرضهم لاتجاهاتهم الفكرية ودفاعهم عن هويتهم وشخصيتهم التى اتخذت مسارين مختلفين الشخصية اليهودية المتأصلة، والشخصية الإسلامية الظاهرية.

نعــم أنا سالونيكـى

السبتائية فى تركيا

مقالات

تأليف

ايلغاز زورلى

استانبول ١٩٩٨م

المدخـل

استهل زورلى كتابه بمدخل يستعرض فيه النشأة الدينية لهذه الجماعة والمعارضة التى واجهتها من قبل رجال الدين اليهود المحافظين فيقول:

«إن موضـوع السبتائيـة أو الدونمة كما عُرف فى الأدب الاجتماعى بصفة عامة يشكل مـوضـوعـا من الموضـوعـات التى مع الأسف تم تناولهـا بشـكل قليـل فى التاريخ السياسى والثقافى لتركيا. فموضوع السبتـائيون ووجودهم على الساحة لم يحظى بأى اهتمام سواء فى الحياة السياسية التركية أو فى الحياة الاجتماعية التى هى إنعكاس للسـياسـية، فلم تكتب عنهم أى دراسات قط إلا بعض الآثار القليلة التى تخصـهم . ومن الثـابت تاريخـيـا أن السـبتـائيين قـد لعبـوا دوراً كـبـيـراً فى مجريات الأمور فى الفترة ما بين القرن التـاسع عشر وحتى الآن. وكان السبب فى عـدم تناول هذا الموضـوع هو مظاهر الحـيطة والحذر والسرية التى سـارت عليـهـا الجماعة السبتائيـة التى كانت تدين بالدين الإسلامى مع ارتباطها فى نفس الوقت بالتصوف اليهودى.

ويستطرد زورلى قوله: إن السبتـائيـة حركة صوفيـة ظهرت فى القرن السابع عشر، اشتقت اسمها من اسم مؤسسها سبتاى زفى الذى ادعى إنه المسيح المنتظر ، وعندما أعلن سبتاى نفسه المسيح المنتظر لفت أنظار كل الجماعات اليهودية إليه ، واكتسب شهرة امتدت من أوربا حتى أفريقيا بل أن يهود كثيرين قدموا إلى تركيا لرؤيته واضعين آمالهم فيه بقرب تأسيس دولة إسرائيل.

ويعد سبتاى من أوائل اليـهود القائلين بالصهيونية ، إلا أن هذه الحركة وجدت معارضة شديدة من رجال الدين الأرثوذكس وقد حدث نزاع بينهم وبين هذه الجماعة وطلب زعـمـاء اليـهود الموجودين فى الدولة العـثـمـانيـة من الحكومة العـثـمـانيـة التصدى لهذه الحركة والقضاء عليها وأصدروا فتوى بإعدام سبتاى زفى باعتباره

خارجا عن الشريعة اليهودية مما اضطر سبتاى زفى إلى تغيير دينه وإعلان إسلامه، وأسلم معه حوالى مائتى عائلة وقام سبتاى بتأسيس حركته بهؤلاء العائلات ثم بدأ نشاط هذه الجماعة بشكل فعال سواء فى حياة سبتاى أو بعد موته ، وأصبح لتلك الجماعة دوراً كبيراً فى الحياة السياسية فى الدولة العثمانية وأوربا اعتباراً من القرن التاسع عشر .

ويقول زورلى أنه مما يلفت الانتباه ظهور جماعة من المثقفين اليهود وقفوا بجوار أتاتورك عند تأسيس الجمهورية التركية الحديثة وكانوا جميعهم ذوى أصول سبتائية وهؤلاء الأشخاص كانوا أعضاء فى السبتائية وكان لهم نجاحًا مؤثراً فى الحياة الاجتماعية لتركيا. والجدير بالذكر أنْ معظم الكتب التى كانت تحتوى على معلومات عن الحياة الدينية والعادات الدينية للسبتائيين كلها أو معظمها قد حُرقت فى حريق سالونيك عام ١٩١٧م، لهذا السبب بدأ التعليم الصوفى الذى كان موجوداً فى تشكيل جماعة السبتائية ينسى تمامًا.

وثمة وجود عوائق كثيرة تمنع البحث والدراسة فى موضوع السبتائية وتأثيرهم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتركيا. وهذا يعنى أن الكتب والمؤلفات التى نُشرت عن جماعة السبتائيين وسبتاى زفى تكاد تكون نادرة ولاتوجد أى كتب تلفت الانتباه عن هذا الموضوع سوى كتاب باسم (الدونمة وتاريخهم) للدكتور عبد الرحمن كوجك».

ويتضح لنا من الفقرة السابقة أن زورلى يعتز بجماعته ودورها النشط فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى تركيا.

أما عن العوائق التى واجهت الباحثين فى محاولاتهم لكشف حقيقة هذه الجماعة فتظهر فى قوله :

«عندما نشرت أولى مقالاتى عن السبتائية عام ١٩٩٢م فى مجلة التاريخ الاجتماعى تلقيت ردود فعل عكسية كما كنت أتوقع وقد وصلت هذه الردود العسكية إلى مرحلة التهديد حتى من أقرب الناس إلىّ.

ويقول عن كتابه الذى نشره فى استانبول: «والكتاب الموجود بين أيديكم الآن هو نتيجة لدراساتى التى تعتمد على المشاهدات التى رأيتها منذ عام ١٩٧٥م حتى الآن (وقت صدور الكتاب عام ١٩٩٨م) .

ويقول أيضا : «إن كل النصوص القديمة المتعلقة بالاعتقادات الدينية للجماعات بصفة عامة كان هو الأساس فى كل الدراسات الحديثة التى تمت فى هذا الموضوع ولم يختار أى باحث طريق التحدث المباشر مع أى عضو من أعضاء الجماعة. إلا أن الدراسة التى بين أيديكم تمت عن طريق احتكاكى المباشر بأسر ذات أصول دونمية وعندما أقمت فى إسرائيل لمدة عام كاملاً وقمت بدراساتى وأبحاثى عن هذا الموضوع كان هناك بعض الخبراء يرون أن موضوع السبتائية يجب أن ينظر إليه كمشكلة فى العلاقات بين إسرائيل وتركيا، وقد استفدت كثيرا من نظريات هؤلاء الخبراء.

وهذا الكتاب الذى بين أيديكم إنما يعطى فكرة ولو بسيطة عن الموضوع وأريد أن أوضح هنا أننى لم أتلقى أى مساعدة مادية أو معنوية خلال كتابة هذا الكتاب أو خلال دراستى فى هذا الموضوع عموما. وثمة وجود بعض الأسماء سأتعرض لها فى الكتاب كانوا مهتمين بدراسة هذا الموضوع وإننى إذ أشكرهم على كل المعلومات التى أفادونى بها وأخص بالذكر الدكتور «رقيه طوننشاى» الذى كان أول من ساعدنى فى نشر مقالى الأول عن السبتائية. كما أشكر أيضا أفراد عائلتى «بالى» و«ناسى» الذين ساعدونى بمعلوماتهم فى هذا الموضوع عندما كنت أقوم بدراستى فى مكتبة بايزيد فى الفترة من عام ١٩٩١- ١٩٩٧م. وعلى الرغم من كل المعوقات إلا أننى أشكر كل المسئولين هناك وأشكر كل من أظهر لى المساعدة».

وفى ختام المدخل الذى كتبه زورلى يقدم تمنياته أن يكون كتابه بمثابة القوى التى تدفع الباحثين الآخرين للعمل والبحث فى هذا الموضوع.

تبدأ أولى مقالات زورلى التى تحمل عنوان «سبتاى زفى والمسيح المنتظر».

حيث جاء فيه :

« تعلم سبتاى العلوم الدينية على يد حاخامات عصره المشهورين مثل «إسحاق ألبا» . واتجه بفكره إلى الكتب الدينية القديمة والنصوص اليهودية الصوفية القديمة، وبدأ فى دراسة التوراة والتلمود [١].

ثم بدأ يهتم بالمصطلحات الدينية اليهودية وشئ فشئ بدأ سبتاى يشذ عن المألوف ويبتعد عن الأمور الطبيعية، فعاش سبتاى حياة سرية تمامًا منطويًا على نفسه بسبب نوبات الصرع التى كانت تنتابه من وقت لآخر». وهنا نجد اعتراف صريح من الكاتب أن سبتاى كانت تنتابه نوبات صرع، الأمر الذى سوف يعارضه بعد ذلك حيث يحلله أنه حالة من حالات الوجد التى تنتاب الصوفية.

ويتحدث زورلى عن ظروف العصر الذى نشأ فيه سبتاى فيقول:

« أما عن العصر الذى عاش فيه سبتاى فهو القرن السابع عشر ذلك العصر الذى عاشت فيه اليهودية اضطرابًا كبيراً على مستوى العالم حيث واجهت اضطهاداً كبيراً ، وكانت تنصب لهم المذابح الجماعية فى بلدان كثيرة مثل روسيا وبولندا ، كما ظهر الانقلاب البروتستانتى فى أوربا. كل هذه الظروف العصبية جعلت اليهود وخاصة الحاخامات يتجهون إلى كتبهم القديمة مثل التوراة والتلمود يبحثون فيها عن النجاة وكانوا يؤمنون بمجئ المنقذ الذى سيخلصهم من هذا الظلم .

وعن حال الدولة العثمانية نفسها فقد كانت هى أيضًا تعيش حياة مضطربة بسبب الهزائم المتلاحقة التى مُنيت بها الدولة فى القرن السابع عشر الأمر الذى أظهر فساداً وتمردات داخلية فى الأناضول ، بل أن الأمر وصل إلى استانبول نفسها وفى تلك الأثناء وبالتحديد فى عام ١٦٦٦م أعلن محمد بن السيد عبد الله نفسه المهدى المنتظر فى منطقة قريبة من الموصل.

١- اعتمد اليهود على كتب التوراة أو التلمود التى تجمع كل أفكار وفلسفة اليهود ، وتعتمد هذه الكتب أيضا على الخيال القوى والتخفى خلف الفلسفات الروحية باعتبارها تصوفية، والكتاب الرئيسى الذى يشرح التوراة هو التلمود وقيل إنه كتب فى القرن الثانى الميلادى على يد رابى شمعون باريوخ ، وقيل إن جزءًا منه كتب فى القرن الثالث عشر على يد رابى شمعون ديلون .

كل هذه الأحداث والاضطرابات تركت أثراً فى نفس الشاب سبتاى ، حتى اعتقد فى نفسه إنه هو المسيح المنتظر، ومن المعلوم أن سبتاى لم يدخل بزوجاته الثلاث إظهاراً منه القدسية والتنزيه الذى يليق بالمسيح».

ثم ينتقل زورلى إلى شخصية أثرت كثيراً فى تأييد نبوءة سبتاى أنه المسيح المنتظر ألا وهو ناثان الغزاوى فيذكر:

« تعرف سبتاى بشخص يدعى (تالوج الغزاوى)[1] الذى آمن به وأخذ يبشر له بأنه هو المسيح المنتظر.

وكان تالوج ناثان هو الشخص الذى آمن بسبتاى زفى أنه المسيح المنتظر وحمل على عاتقه مهمة التبشير به.

وفى ٣١ مارس عام ١٦٦٥م أعلن سبتاى نفسه مسيحًا ، وأول من اعترف به هو حاخام غزة (ناثان الغزاوى) وجماعته. أما يهود القدس فلم يؤمنوا به واشتكوه إلى القاضى وبالفعل تقابل سبتاى مع القاضى ونظراً لشدة إقناعه وذكائه فقد اقتنع به القاضى. وقام ناثان بإرسال خطابات إلى كل الجماعات اليهودية تبشر بسبتاى مسيحًا منقذاً لهم. وقد عارض هذه الخطابات بشدة رجال الدين الكاثوليكى والأرثوذكسى، لكن هذه الاعتراضات لم تقلل من حجم المؤمنين به فقد كان عدد المؤمنين به يزداد يومًا بعد يوم فى كل مكان من بولندا حتى كييف.

وفى أرجاء الدولة العثمانية اعتقد المؤمنين بسبتاى زفى أنه مسيحًا وإنه سوف يقضى على كل المتاعب التى لاقاها اليهود ، أما الحاخامات فقد رأوا تطور الموقف لصالح سبتاى فاشتكوه إلى السلطان العثمانى، وبالفعل تم القبض على سبتاى

١- كان تالوج ناثان الغزالى طفلاً لأسرة فقيرة تزوج ببنت غنية ولكنها ساقطة . وأصبح غنيا وحاخامًا. وقد قص على سبتاى أنه رأى فى المنام بأن سبتاى سيكون هو المسيح المنتظر بذلك يكون هو أول من وضع تلك الفكرة فى رأس سبتاى.

ولد ناثان بنيامين عام ١٦٤٤ وتوفى عام ١٦٨٠ وكان يسكن غزه ، كان له معرفة تامة بالتوراة والتلمود وعلم القبالا، ادعى النبوة وكان أول المصدقين بسبتاى والداعية له. ويقال أنه عندما مات زفى ادعى ناثان أن زفى لم يقبض لكنه رفع وساح فى الفضاء وانتشر مع الضياء العلوى وكان سبتاى نبيه ناثان من أكثر الشخصيات شهرة فى فترة الموجة المسائحية.

ونقل إلى استانبول ، لكن السلطان فى ذلك الوقت كان خارج المدينة بسبب أحداث جزيرة كريت عام ١٦٦٦م، فتم نقل سبتاى إلى غاليبولى حتى يعود السلطان إلى استانبول وكان لسبتاى أتباع كثيرين فى غاليبولى وكانوا يتوجهون لزيارته بأعداد هائلة، وكان يشرح لهم التلمود. وقد فهم هؤلاء الناس أن السلطان قد ترك سبتاى لأنه هو أيضًا اقتنع بأنه المسيح والدليل على ذلك أنه لم يفعل له شئ وكانت النتيجة أن ازداد عدد أتباع سبتاى.

ومما سبق نجد اعتقاد الكاتب بسبتاى شديدا حتى أنه يحاول أن يظهر اقتناع السلطان به مسيحا مبشرا بهدف التضليل . ثم ينتقل للحديث عن إسلام سبتاى مع تأكيده أن إسلامه كان إسلاما شكليا فيقول:

«كان يوجد حاخام بولندى يدعى «نحميا كوهين» عندما علم بوجود سبتاى فى غاليبولى قام بزيارته وادعى أنه هو المسيح الحقيقى وأن سبتاى ليس مسيحًا ، وعقدت المناظرات بين كوهين وبين سبتاى ثلاثة أيام انتهت بإسلام كوهين أما سبتاى فقد أمر الصدر الأعظم بأن يؤتى به إلى الديوان ويُخير بين حياته وبين إعدامه . وبالطبع اختار سبتاى حياته وأعلن إسلامه بناء على رغبة السلطان وأخذ رتبة فى الدولة وخُصص له راتبًا شهريًا، وتسمى باسم محمد أفندى وبالطبع كان إسلام سبتاى له تأثيراً كبيراً لدى اليهود فى كل أرجاء العالم إلا أن عددا كبيرا من اليهود أعلنوا أنه مسيح مزيف وارتدوا إلى الإيمان الأرثوذكسى إلا مائتى أسرة آمنت بسبتاى وهاجرت إلى سالونيك وعاشت حياة تعتمد على أسس التلمود وعلى الشرح العلمى لتوضيحات وتفسيرات سبتاى. ونفهم من هذا أن هذه العائلات أسلمت إسلامًا شكليًا مع سبتاى وعاشت فى سالونيك ضمن الأمة الإسلامية ولكنها فى حقيقتها كانت تؤمن بسبتاى ويهوديته[1] وهذه الجماعة التى انتقلت إلى سالونيك عرفت فى التاريخ باسم «الدونمة».

١- مع أن سبتاى زفى غير كثيرا من المعتقدات الرئيسية فى الديانة اليهودية فى بداية حركته إلا إنه ظل مرتبطا باليهودية فى فى أدعيته اليومية. وقام باضافة بعض الزيادات على أدعية السفاراد. وكان أعضاء الجماعة يطبقون سريا هذا الطقوس والدعاء كل وقت حيث أنهم كانوا يظهرون فى المجتمع أنهم مسلمون وكان هذا أمرا من سبتاى نفسه.

وبعد إسلام سبتاى زفى ظل مراقبا من رجال الدولة العثمانية لأنه كان مرتبط بالدين اليهودى ، لذلك أمر السلطان بنفيه إلى بلاد الأرناؤوط (ألبانيا) وظل بها حتى مات عام ١٦٧٦م. ولكنه لم يتوقف عن دعوته فى بلاد الأرناؤوط فكان يدعو مريديه ويستمر فى ممارسة حقوقه ومعتقداته[1] وكان يرافقه فى إقامته فى ألبانيا زوجته الأخيرة عائشة وصهره يعقوب كوريدو».

ثم ينتقل للحديث عن شكل الجماعة بعد وفاة سبتاى مؤسسها والانقسامات التى حدثت فيها فيقول:

«بعد وفاة سبتاى احتل مكانه فى إدارة الجماعة السبتائية صهره يعقوب إلا أن الجماعة حتى عام ١٩٠٠م أى فى فترة ثلاثة قرون دب فيها الخلاف وانقسمت فى البداية إلى قسمين ثم إلى ثلاثة أقسام. وقد كانت الدولة العثمانية فى نهايات القرن التاسع عشر تواجه أزمات كثيرة منها ظهور الحركات القومية والحرب العالمية الأولى ومعاهدة مندريس وقد أصابت هذه الظروف الدولة بالضعف . وفى عام ١٩٢٤م وفد إلى تركيا جماعة الدونمة وكان عددهم يقدر بعشرين ألف شخص . وأسست الدولة الجديدة بزعامة أتاتورك ، وفى عام ١٩٢٤م حدث اضطراب كبير داخل جماعات الدونمة.

وقد انتهت جماعة اليعاقبة وهم فرع من فروع السبتائية الذين كانوا يقيمون فى سالونيك وبقى القبانجلير وهم الفرع الثانى وعاشت حياة مضطربة هى والقراقشة وهم الفرع الثالث. وقد نجحت جماعة الدونمة فى التخلص من كل الوثائق التى تدينهم فى الإدارة الجديدة التى تحكم الدولة وفى الحريق الكبير الذى حدث فى سالونيك عام ١٩١٧م حُرقت أهم مصادر مجتمع الدونمة . وأثناء هجرة اليهود من سالونيك عام ١٩٢٤م قام اليهود بترك كتاب الدعاء الخاص بالدونمة ونسخة

١- أهم وثيقة تشهد على أن سبتاى كان يدعو لليهودية عندما كان فى ألبانيا توجد الآن فى إسرائيل وهى الخطاب الذى أرسله إلى جماعته اليهودية فى ألبانيا .

خطية إلى «صاوول امارميلو» وانتقل الكتاب إلى اسرائيل عام ١٩٤٨م على يد ابنه [١].

في يوم ١٠ / ١ / ١٩٢٤م قام شخص يدعى «رشدى قارقاش» بارسال خطاب إلى أتاتورك وإلى مجلس الشعب التركى ويوضح فيه الوجه الحقيقى للدونمة[٢]، وقد تمت مناقشة هذا الأمر طويلاً فى مجلس الشعب التركى إلا أنها أغلقت بعد فترة.

بعد موت سبتاى زفى تولى يعقوب كوريدو أخو زوجته إدارة الجماعة ولسبب ما انقسمت الجماعة فى عهده إلى قسمين هما اليعاقبة وكانوا أتباع يعقوب والقسم الثانى وهو القسم الأكبر هم القبانجلير . وكان قسم اليعاقبة أقل عدداً من القبانجلير. ثم انفصلت مجموعة من القبانجلير تسمى القارقاش وهم أتباع «عثمان بابا» وكانوا يقولون بأن روح المسيح سبتاى تجلت فى عثمان بابا وكانت فرقة القبانجلير يرفضون هذا وبالتالى ظهر ثلاثة أقسام للدونمة أو للسبتائية هم اليعاقبة والقبانجلير والقاراقش. وكان القسم الأخير يقيم فى بعض الأماكن فى سالونيك.

وهذه الرسالة التى تكشف أسرار تلك الجماعة محفوظة الآن فى مكان فى غاية السرية فى القدس.

١- هذا الموضوع قدم عنه جيرشوم شوليم معلومات مفصلة فى مقدمة كتابه (حقيقة المسيح سبتاى زفى) ويجب هنا توضيح ما يلى: لم يترك سبتاى زفى أى تفسيرات مكتوبة عن التوراه أو التلمود. وتذكر المصادر أن المريدون كانوا يكتبون ما يفهمونه منه بخط أيديهم ومعظم هذه التفسيرات احترق فى حريق سالونيك عام ١٩١٧م. وهناك كاتب آخر نقل عبارة (سر الألوهية) الذى كان أساس فكر وعقيدة سبتاى زفى.

٢- نادى رشدى قارقاش أتباعه إما أن يتلحموا بالشعب التركى أو البحث عن إمكانات مادية ومعنوية خارج حدود تركيا .

وتلك الأحداث التى ذكرناها تعد بمثابة التأريخ لجماعة جاءت إلى الدولة العثمانية بصفتهم يهود ثم انفصلت منها جماعة أخرى هى الدونمة. ومع ذلك كانت السبتائية دائمًا جزء لايتجزءا من الثقافة الصفاردية اليهودية، وأنها خرجت من جعبة هذه الثقافة[1].

ثم يعترف الكاتب خلال مقاله بسماحة الدولة العثمانية فى معاملة رعاياها فيقول: «إن التسامح والتساهل السياسى للدولة العثمانية فتح الطريق أمام هذه الجماعات أن تقوى نشاطها وتحفاظ على ثقافتها وعلى لغتها المشتركة وهى لغة اللادينو ، بينما لم تستخدم اللغة التركية فيما بينهم إلا فى القرن التاسع عشر. ويذكر الكاتب أن أساس السبتائية هو كتاب التلمود كما أن سبتاى زفى لم يترك خلفه أى أثار مكتوبة توضح الحياة السرية الروحية له، وقد ظهرت كتب عن الجماعة بعد موت سبتاى إلا أنها لم توضح قواعد وطقوس هذه الحياة السرية.

ومن خلال تنقيب الكاتب عن أية معلومات أو وثائق تظهر حقيقة هذه الجماعة وأصولها فقد وجد كتابا لمؤرخ يدعى «روزانس» وهو الشخص الوحيد الذى دخل مكتبة جماعة القبانجلير فى سالونيك قبل حريق عام ١٩١٧م، وقد قام هذا المؤرخ بالبحث فى الكتب، وشرح كل ملاحظاته ودراسته فى كتاب باللغة العبرية. ثم يأسف الكاتب على رفض هذه الجماعة وعدم الاعتراف بها فيقول: «لاتوجد اليوم جماعة يهودية قط فى العالم تعترف بأن السبتائيين كانوا يهوداً . والمثير للأسف هو أن آخر أعضاء هذه الجماعة عاشوا فى إسرائيل وأنهم لم يعترفوا بأن السبتائية كانت إسرائيلية أو حتى جزء من الثقافة اليهودية وهم بذلك لايعترفون بالباحثين

١- ينتمى سبتاى إلى السفارد وقد أطلق لقب السفارديم على يهود أسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين ويدعون أنفسهم «أرستقراطية» اليهود وكانوا متأثرين فى عباداتهم وتلاوتهم وتراتيلهم بالذوق العربى وانفردوا بنصوص شعرية ونثرية فى أدعيتهم وصلواتهم قريبة الشبه بما عند المسلمين وكانوا فى بادئ أمرهم يتحدثون بالعربية حتى القرن ١٣ ثم تحدثوا الأسبانية وكانوا يتزعمون فى الدولة العثمانية كافة الملل ويعدون أنفسهم أرقى ثقافيا وأعلى من اليهود الإشكناز (الألمان) .

الأتراك الذين درسوا فى هذه الوثائق . وعلى أى حال فإن أناس كثيرون ممن ينتمون إلى هذه الجماعة يعيشون فى تركيا إلى الآن ويقومون باضافات وإسهامات كثيرة فى الحياة الثقافية، لذلك يجب أن تنتقل كل هذه الوثائق الخطية إلى تركيا نظراً لأهميتها وسوف يقوم الباحثون بدراستها والاعتناء بها.

ويذكر زورلى أن المثير للأسف أن مجتمع الدونمة الذى عاش جزء لايتجزء من ثقافة السفاراد. ويُحتفل به الآن بمرور خمسمائة عام على وجود اليهود فى الدولة العثمانية لم يتناوله أحد، ولم يعترف به أحد فى هذه الاحتفالات التى تدعمها تركيا، فى الوقت الذى يجب أن يتم تناولها بالدراسة وبشكل علمى».

وتحت عنوان «التعليم الأول لأتاتورك مع عدة نقاط بخصوص شمس أفندى» كتب زورلى مقاله الثانى حيث جاء فيه:

«عند دراسة الأحداث السياسية والاقتصادية للسنوات الأخيرة للدولة العثمانية تظهر لنا أهمية بعض المناطق المركزية الرئيسية فى الدولة وتعتبر مدينة سالونيك واحدة من أكثر هذه المراكز . ومدينة سالونيك تم تناولها بشكل قليل مع أن دورها التاريخى كبير.

فقد ظهرت الاتحادات السياسية التركية الأولى هناك قبل الاتحاد والترقى واللوج الماسونى، وكذا تمرد ٣١ مارس حيث تم القضاء عليه بواسطة جيش أعد فى سالونيك ، بالإضافة إلى ذلك فان السلطان عبد الحميد الثانى قضى أيام نفيه هناك. ومما لاشك فيه أن أهم حدث للمدينة بخلاف تلك الأحداث التى ذكرناها ، هى ميلاد مصطفى كمال أتاتورك فى سالونيك وحياته الأولى التى قضاها هناك.

ويحكى لنا أتاتورك عن سنوات طفولته خلال خطابه فيقول: «كانت هناك مناقشات مستمرة بين أبى وأمى حول تعليمى فكانت أمى تريد أن تلحقنى بكُتَّاب الحى لأتعلم فيه، وكان أبى يريد أن يبعثنى إلى مكتب شمس أفندى، وكان كُتَّاب شمس أفندى يعطى الدروس طبقا للأنظمة العلمية الحديثة ، وفى النهاية ذهبت إلى مكتب شمس أفندى».

وللأسف لم يتعرض معظم المؤرخون الذين تناولوا حياة أتاتورك لهذه المرحلة التى قضاها أتاتورك فى مدرسة شمس أفندى بالتفصيل إلا أننا نجد تأثير المبادئ التعليمية الجديدة التى تلقاها مصطفى كمال فى مدرسة شمس أفندى ملازمًا له سواء فى سالونيك أو فى استانبول بعد أن انتقل إليها ».

وقام زورلى بتقديم عدة توضيحات عن مدرس أتاتورك الأول، «شمس أفندى» محاولا توضيح ارتباط أتاتورك الوثيق بأفكار مدرسه ومعلمه الأول من خلال إظهار دور شمس أفندى باعتباره واحدامن كبار رجال الدين الدونمة الذين كان لهم تأثيرهم الدينى والسياسى معا فيقول: «بالرغم من كتابة ونشر مقالات كثيرة حول شمس أفندى مدرس أتاتورك الأول ومدرسته إلا أن هذه الكتب لم تستطع تقديم معلومات كافية بخصوصه . وأهم هذه الأعمال التى قدمت عن شمس أفندى تلك الدراسة التى قام بها الدكتور «أوزجان مرت» بعنوان (شمس أفندى المدرس الأول لأتاتورك) كانت هذه الدراسة أهم هذه الدراسات نظراً لما احتوته من معلومات كثيرة[١].

ولد شمس أفندى عام ١٨٥٢م وكانت أسرته (دونمية) الأصل. وقد بدأ شمس أفندى حياته العلمية كمدرس فى المدرسة الأجنبية التى فتحت فى سالونيك، وكان يُدرس فيها اللغة العربية والفارسية والفرنسية.

وقد تعلم شمس أفندى فترة إقامته فى سالونيك مبادئ أراد أن يستفيد بها عند افتتاح مدرسته الخاصة بها إلا أن الإمكانيات المادية كانت غير كافية بالنسبة له، فكان يتحتم عليه أن يطلب المعاونة. وبالفعل حقق تلك المعونة من أعضاء جماعة القبانجيلر السبتائيين.

ويؤكد الكاتب أن ثمة سببين دعت القبانجيلر لمساعدة شمس فى فتح تلك المدرسة هما: رغبة الجماعة فى الوصول إلى المستوى الثقافى والتكنولوجى المتقدم

١- قدمت هذه الدراسة فى مؤتمر التاريخ التركى الحادى عشر فى أنقره عام ١٩٩٠م . ونشرت أيضا فى مجلة مركز أتاتورك للدراسات فى الجزء السابع مارس ١٩٩١م عدد (٨).

للغرب وذلك حتى يستفيدوا به فى علاقاتهم التجارية - وكان الطبيعى ألا يحدث هذا إلا من خلال المؤسسات التعليمية الجديدة- والسبب الثانى هو عدم استطاعة أعضاء الجماعة التحدث باللغة التركية بالقدر الكافى حتى القرن التاسع عشر.

حقيقة أن مبدأ (المساواة) الذى ظهر مع إعلان التنظيمات فى الدولة العثمانية كان سببًا فى إظهار الترابط بين المجتمعات الدينية المختلفة. وبالطبع فان السبتائيون الذين يتحدثون اللغة الأسبانية بصفة مستمرة فيما بينهم كان عليهم ضرورة تعلم اللغة التركية وهى اللغة الأكثر تحدثًا فى الدولة فى مواجهة هذا الموقف . وربما كان هذا سببًا رئيسيًا فى جعل السبتائيون يشاركون فى تأسيس المدارس الجديدة[١].

ويرى «عثمان أرجين» أن أول مدرسة افتتحت فى سالونيك وكانت موافقة للنظام الجديد هى مدرسة «اسماعيل حقى» وكانت فى إحدى المدارس التى كانت فى الأصل مسجداً. وكان يرافقه «خليل ودرويش أفندى» . ولكن «مرت» يوضح أن أول مدرسة حملت صفة التعليم الجديد كانت مدرسة «شمس أفندى» وانشأت عام ١٨٧٢م فى حى «خيرى باشا» فى تكية «جارشمية» وكانت الخاصية التى تجمع بين هذه المدارس هى خدمة السبتائيين.

أما خاصية شمس أفندى التى كانت تميزه عن غيره إنه كان واحداً من أكبر الفلاسفة اليهود السبتائيين لعهده[٢].

١- كانت اللغة السائدة بين الجماعات اليهودية التى هاجرت إلى الدولة العثمانية عام ١٤٩٢م هى اللغة الأسبانية . ثم بعد ذلك أخذوا يرددون اللغة التركية والفرنسية بشكل بسيط فى الحوار اليومى. وعلى هذا يظهر أن هؤلاء اليهود استطاعوا أن يحافظوا على لغتهم من القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر. بالإضافة إلى أن السبتائيون استطاعوا أن يتحدثوا اللغة التركية بعد عام ١٩٢٤م وذلك بعد مجيئهم إلى استانبول . وقد كانت مشكلة اللغة سببا مؤثراً فى تأسيس مدارس جماعات السبتائيين.

٢- كانت النظريات الدينية التى وضعها سبتاى زفى تعتمد على التلمود كفرقًا بينها وبين المفاهيم اليهودية الكلاسيكية . وقد شرح لأتباعه فقط علمه ومعلوماته عن التلمود وكانت هذه العلوم التى أقرها سبتاى كان يدرسها رجال الدين المعروفين باسم «اغان» و«خواجه» . وقد كان شمس أفندى واحداً من الأستاذة الكبار فى الفلسفة اليهودية فى القرن التاسع عشر .

وكان هدفه اتحاد جماعة القاراقش[1] مع جماعته حتى أنه ذهب إلى مدارس القاراقش وعقد معهم المناظرات وذلك فى سبيل تحقيق هدفه، وتعد مدرسة «فوزى صبيان» التى أسست عام ١٨٨٥م أيضا من المدارس التى لعبت دوراً كبيراً فى ذلك وكان لشمس أفندى دوراً فى تأسيسها ، بل إن بعض الأقوال تزعم أنه هو مؤسس هذه المدرسة . وقد أظهرت هذه المدرسة نشاطًا كبيراً فى استانبول بعد ذلك وكانت باسم «مكتب الترقى» [2].

وقد استفاد شمس أفندى من كونه مدرسًا للعقائد الدينية فكان يدرس للشباب قواعد ومبادئ الدين السبتائى . وبالطبع كانت نشاطات المدرسة «الفوزية» التى أسسها «فوزى صبيان» دعمًا ماديًا لجماعة القاراقش حتى أن هذه المدرسة كانت تعد بمثابة المدرسة الرسمية لجماعة القاراقش.

وقد كتب «أحمد أمين يالمن» فى سلسلة مقالات بعنوان (صفحة تاريخية سرية) فى جريدة الوطن عام ١٩٢٢م، يقول : «إن كل التقدم الذى ظهر فى جماعة القاراقش كان بفضل هذه المدرسة الفوزية، وأن كل التجديد واليقظة التى حدثت فى الجماعة إنما حدثت بفضل هذه المؤسسة التعليمية التى كانت تعد بمثابة أكمل مؤسسة تعليمية فى الدولة». وعندما كان شمس أفندى فى ريعان شبابه وكامل صحته كان يهدف إلى توحيد جماعة القاراقش والقبانجيلر ونظراً لأن كل جماعة كانت لها مبادئها الخاصة فقد فشل شمس أفندى فى تحقيق أهدافه [3].

١- فى البداية انقسمت السبتائية إلى قسمين اليعقوبية والقبانجلرية وأضيف إليهم قسمًا ثالث هو القسم التابع لعثمان بابا .

٢- كان الهدف من تأسيس مدارس فوزى صبيان التى سميت بالمدارس الفوزية هو العمل على استمرار البناء الاجتماعى لجماعة القاراقش .

٣- وكان أكبر سبب لهذا هو مطالب الأعضاء الشباب فى هذه الجماعة بالاختلاط بالأتراك . حيث أنهم كانوا يرون القاراقش عبارة عن مجموعة من الجهلاء المتعصبين. بالإضافة إلى إنهم كانوا لايؤمنون بسبتاى زفى.

وقام أعضاء الجماعة بإخراجه من الجماعة السبتائية ، فانتقل شمس أفندى إلى تركيا عام ١٩١٢م وعُين مفتشًا على التعليم الابتدائى . إلا أنه عاش حياة فقيرة وكان فى ضائقة مالية كبيرة وعندما توفى عام ١٩١٧م دُفن فى مدافن أهالى سالونيك فى أسكدار باستانبول وكان قبره فى الجزء الخاص بالقاراقش.

من هنا نفهم أن شمس أفندى الذى كان أول مدرس لمصطفى كمال أتاتورك لم يكن رجل تربوى كبير فحسب بل كان أيضا رجل ذو أهداف سياسية كما كان فيلسوفا كبيراً فى الفلسفة اليهودية وعلم التوراة. كما أنه قضى جزء كبير من حياته فى دراسة التلمود بتعمق، وكان يريد أن يعمل على توحيد الفرق والجماعات السبتائية وهى القاراقش والقبانجيلر إلأ أنه توفى قبل أن يستطيع أن يحقق هذه المثالية التى كان ينادى بها. ويستطرد الكاتب قوله إن الشئ المؤلم الآن هو أنه لم تقدم دراسات كافية عن هذا الشخص الذى قضى آخر حياته فى ذل وفقر، كما نسيت كل إضافته فى الحياة العلمية التركية».

وفى مقال آخر عن السبتائية واليهودية يقول زوزلى :

تركت السبتائية تأثيراً عميقًا على كل الجماعات اليهودية فى القرن السابع عشر وهو القرن الذى عاش فيه سبتاى زفى، وبدأ هذا التأثير يُنسى شيئًا فشئ وذلك بسبب مبدأ السرية التامة الذى كان يحيط بالجماعة .

وقام السبتائيون بتطوير نظام جماعتهم على أساس منهج التوراة والتلمود وذلك فى محاولة إظهار الفرق بينهم وبين اليهودية والمسيحية.

وقاموا أيضاً بتأسيس نظام أصولى عقائدى متطرف فى حبهم للمسيح المنتظر هذا بخلاف الأدعية اليومية والمناجاة اليومية الخاصة وكانت فى بداية الأمر باللغة العبرية واللاتينية[1].

١- من المعلوم أنه قد تم الإخلال ببعض النظريات الدينية التى كانت موجودة حتى عهد سبتاى زفى وكان الهدف من هذا هو أن المسيح عندما سيأتى سوف يقوم بتنظيم كل أمور العالم بأمره. وكان هذا سببا فى اختلاف النظريات الدينية عند السبتائيين بعد موت سبتاى زفى. ومن المعلوم أن سبتاى زفى كان يحمل صفة الموضح والدليل الذى يشرح قواعد وأصول التوراة والتلمود وكان الكتاب المقدس ليهود أسبانيا طوال العصور هو كتاب (زوخار) وفتح رامبام الحرب على هذا الكتاب وعلى منهجه فى كتاب له. وقام سبتاى زفى بحركة ضد أتباع التلمود متعقبًا للحركة التى بدأها لوريا.

والسبب فى هذا أيضًا هو موت «يعقوب كوريدو» أثناء رحلته فى الحج وكان المطلوب؛ هو خلق جماعة تتحرك فى إيجاد قواعد أصولية والإيمان بالله تعالى[١]. والسبتائيون يؤمنون بمجئ المسيح المنتظر الذى سيأخذهم إلى الأرض الموعودة ويؤسس لهم دولة إسرائيل.

ثم يوضح زورلى أسباب رفض اليهود المتزمتين لهذه الجماعة فيقول: «قام المشتغلون بالتلمود برفض فكرة وهدف حركة السبتائية وقالوا بوجوب عقابهم بشكل قوى. كما أن رفض فكر السبتائية وضعف مبادئهم الدينية وانطوائهم الداخلى أدى إلى معاقبتهم من اليهود فى شكل قاسى لم يرى مثله قط فى التاريخ اليهودى. حتى أن اليهود فرضوا حظراً على التقرب من السبتائيين. وقام اليهود وخاصة الحاخامات بمعاقبة هذه الطائفة التى ضلت الطريق فى نظرهم، وعاش السبتائيون فى سالونيك حياة بعيدة عن الناس، مستقلين عن كل القوميات والمجتمعات المختلفة. وكانوا يقضون حياة دينية واجتماعية معتمدين على توزيع العمل فيما بنيهم، وذلك فى ظل التسامح الذى أتاحه العثمانيون وكذا تسامح نظرياتهم فلم يُطبق عليهم، التحريم اليهودى الذى فرض عليهم وذلك بسبب عدة عناصر مشتركة بينهم وبين اليهود مثل اللغة المشتركة وصلة القرابة التى بينهم. وتقول الوثائق التاريخية أنهم عملوا على استمرار علاقاتهم مع المجتمعات اليهودية فى كل العهود كما حصلوا على دعم ومساندة منهم. لكن المنازعات الدينية بين الحاخامات وبين السبتائيين ظلت مستمرة. ومع أن هذه المنازعات كانت موجودة بشكل سرى إلا أن العلاقات بين اليهود والسبتائيين كانت مستمرة وكانت نتيجة طبيعية للحياة التجارية المتطورة فيما بنيهم.

ومع تغير المناخ السياسى للدولة العثمانية والذى ظهر فى القرن التاسع عشر أصبح السبتائيون يبحثون عن هوية لهم.

١- المهتمون بالفلسفة اليهودية الصوفية يؤمنون بأن التوراة لها معانى خاصة سرية لايمكن الوصول إليه إلا بالرموز الخاصة. وهم يقولون بوجوب توفر القدرة والعلم الراقى فى الشخص الذى يفهم التوراة. وكان يتم البحث عن هذا فى المنظمات السرية التى تأسست فى الشرق والغرب.

بالإضافة إلى أن اليهود والسبتائيون قد اتحدوا فى نفس الأهداف فى ظل الصداقة التى جمعت بينهما من خلال حركة الاتحاد والترقى وكذا حركة الماسونية التى اكتسبت قومية كبرى فى ذلك العهد.

ثم يذكر الكاتب انتماء هؤلاء السبتائيون إلى الصهيونية فيقول :

لقد قدم السبتائيون مساندة كبيرة للحركة الصهيونية التى تولدت بعد ذلك وظهرت أسماء تركية شهيرة كانت لها أفكار مساندة لفكرة تأسيس إسرائيل مثل «جاويد بك» و«أحمد أمين يالمن» ومن الأمور اللافتة للانتباه هو مجئ اليهود وخاصة السبتائيون إلى تركيا قادمين من سالونيك عام ١٩٢٤م واستقرارهم بشكل مكثف فى الأماكن المختلفة فى تركيا والعمل على نشر ثقافتهم .

الأمر الذى فتح الطريق أمام الحكومة لأخذ ضريبة منهم مقابل إقامتهم هناك[١].

ونحن نعلم جيدا أن السبتائيون قاموا بالهجرة إلى فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها .

ويعلن الكاتب عن أسفه لرفض اليهود هذه الجماعة وعدم قبولهم للدونمة كطائفة ضمن الطوائف اليهودية التى قبلتها فيقول : إن المنهج السائد فى البناء الدينى فى إسرائيل بعد إعلانها دولة رسمية عام ١٩٤٨م كان منهج التوراة والتلمود. وكانت إسرائيل ترى نفسها بمثابة الممثل الذى يعمل على توحيد الثقافة اليهودية فى كل أرجاء الأرض، حتى أنه فى سبيل تحقيق هذا الهدف قبلت جماعات مختلفة معها مثل الفلاشا والقراى. لكن مع الأسف ظل السبتائيون خارج هذا النطاق الذى شمل كل طوائف اليهود.

وظلت السبتائية لاتحظى بأى اهتمام من إسرائيل وكأنها لم تنبع من الثقافة اليهودية وكأنها لم تكن تدخل ضمن الجماعات اليهودية فى العالم. كما أن مسألة

١- كانت هذه الضريبة تفوق ضريبة المسلمين الذين كانوا يعيشون فى الدولة مما أثر فى ازدياد حقد اليهود على العرب .

عدم التحدث قط عن السبتائيين فى الاحتفال بمرور خمسمائة عام على هجرة اليهود من أسبانيا إلى الدولة العثمانية أمرا يثير الاهتمام»[١].

وفى مقال آخر بعنوان : السبتائية من ناحية المصطلح والموضوع يتحدث عن إسلام هذه الجماعة محاولا إثبات يهوديتهم الأصلية فيقول:

«يعتبر موضوع الدونمة من الموضوعات التى تحتل مكان هاما فى محيط الثقافة والمجتمع سواء فى المجتمع العثمانى ، أوفى مجتمعنا اليوم.

لقد ادعى سبتاى زفى أنه المسيح المنتظر فى العالم اليهودى فى القرن السادس عشر وجمع حوله مريديه وأعلن بأنه سوف ينتقل بهم إلى الأراضى المقدسة ويؤسس هناك دولة يهودية. ولهذا السبب رأى رجال دين المذهب الأرثوذكسى اليهودى أنه خطر عليهم. فقاموا بتقديم شكوى للسلطان العثمانى بخصوصه ، وقد خيره السلطان بين الموت أو الإسلام فاختار سبتاى الإسلام وأعلن إسلامه ، ومع أنه تعرض لهزة كبيرة من أتباعه ومريديه بأعلان إسلامه إلا أن مائتى عائلة ظلت مؤمنة به وبأفكاره وبالطبع هذه العائلات اختارت نفس طريقه وأعلنت هى الأخرى إسلامها ، واستمرت هذه العائلات فى سالونيك وكانت فى ظاهرها مسلمة ومن باطنها يهودية وظل الوضع على هذا الحال حتى بدايات القرن العشرين.

وقد تم تناول موضوع الدونمة كطريقة يهودية .. ثم يضع كاتب المقال تساؤلاته بهدف الدفاع عن يهوديتهم فيقول : يا ترى هل هذه الحادثة بسيطة إلى هذا الحد؟ (ويقصد ظهور هذه الجماعة) وما هو التأثير الاجتماعى لتلك الحركة على المجتمع؟ ويجيب بقوله : كنت قد شرحت فى مقالات سابقة من هو سبتاى زفى

١- الموضوع الذى تم تناوله فى برنامج الاحتفال هو التشكيل المسمى موريت فى إسرائيل ولكن هذا التشكيل نسى تماما بعد ذلك. وفى عام ١٩٨٩ قام جاك قمحى وهو من أكبر رجال الصناعة فى تركيا ومؤسس مركز التنمية الاقتصادية بتأسيس مركز العام ٥٠٠ بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على هجرة اليهود من أسبانيا إلى تركيا بغرض شكر تركيا على استضافتهم لها إلا أن اليهود اعترضوا على إنشاء هذا المركز بسبب معارضتهم للظهور العلنى وحرصهم على العمل السرى.

وما هي حركته. إلا أن الذى لفت انتباهى استخدام كلمة السبتائيين فى المقالات المتعلقة بالموضوع. ولذا كانت هنا ضرورة تستوجب كتابة هذا المقال للتوضيح . ومعظم الدراسات والأعمال التى تمت عن هذا الحادث التاريخى تناولت السبتائيين على أنهم مجموعة أشخاص آمنوا بنبى مزعوم. ولكن الكاتب «شوليم» الذى كان واحدا من أكبر المهتمين بالفلسفة اليهودية التصوفية فى عهده تناول الموضوع بشئ فيه بعض الاختلافات فى كتابه (سبتاى زفى المسيح الصوفى) الذى ترجم إلى اللغة الإنجليزية حيث أنه اطلع على كل المصادر التى كانت موجودة فى المراكز الدينية اليهودية الهامة واستخدمها فى كتابه، ومع أن هذا الكتاب الهام وصل إلى خمسة أجزاء، ولم يترجم إلى اللغة التركية، إلا أنه لم يستطيع أن يتمه . وفى هذا الكتاب توجد له مقالات نشرها على تلاميذه ولكن مع الأسف لم تترجم كل هذه الأعمال إلى اللغة التركية .

ويستطرد قوله: إن أول أثر مكتوب متعلق بموضوع السبتائية باللغة التركية هو رسالة نشرت فى استانبول عام ١٩٠٠م وكانت تعرف باسم (الدونمة) ثم بدأت بعد ذلك تأتى ردود فعل عكسية هامة من المهتمين بأمور الدين خاصة بعد أن بدأ بعض الأعضاء السبتائيون يلعبون أدوارا هاما فى الحياة السياسية[١]. وقد تم تناول الموضوع عام ١٩٢٤م على يد «قارقش زاده رشدى» على أن السبتائية طريقة يهودية معادية للإسلام وقد تناولوا سبتاى زفى وأتباعه على أنهم خائنين للوطن. واستخدمت كلمة الدونمة على إنها اصطلاح فكرى بالإضافة إلى أنها تعبير علمى[٢].

١- فى هذه الفقرة تتضح الإشارة إلى تأثير هؤلاء الدونمة على النظام السياسى فى الدولة.

٢- رشدى قرقاش زاده من يهود الدونمة قيل إنه بعد وفاة زوجته الأولى انتابته حالة عصبية شديده فتزوج مرة أخرى إلا أنه فشل فى هذا الزواج وحدث نزاع كبير بينه وبين زوجته الثانية وصل إلى المحاكم فقطع علاقته باقاربه جميعا وقرر الانتقام منهم وقدم عريضة يتهم فيها الدونمة وأفعالهم المخزية وقد عارض رشدى هذه الأقاويل بشده والتى تناولت حياته الشخصية وتأثيرها عليه فى هجومه على الدونمة وكتب كتابا مفتوحا فى انقره إلى دونمة سالونيك «أيها السادة، منذ أكثر من ثلاثة قرون خلت، عشنا نحن الدونمة فى كنف الشعب التركى العريق، وتحت جناح رحمته، وبقينا على حالة شديدة من التعصب لمذهبنا، باطننا يخالف ظاهرنا، =

وفي عـام ١٩٨٠م تم نشر كـتـابين تناولوا الموضـوع بشـكل مـحايد حيث أنهم نظروا إليه من منظور إسلامي. وإذا أردنا أن نحلل مصطلح الدونمة تحليل صحيحا يجب علينا أولا أن نحلل الأحداث التي شكلت الموضـوع بشكل صـحيح ولتتناول أولا المصادر والدراسات التي تتحدث عن الموضـوع . لقد حافظ المجتمع السبتائي على مبـادئه الدينيـة في شكل سـري، ولـو نظرنا نظرة إلى الخلف نجد أن العلوم الدينيـة التي كانت تدرس للطلاب السبتائيـة كان يقوم بالتدريس فـيها رجال يطلق عليـهم (أوغـان) أو (أسـتـاذ) وكـانت كل هذه التعـاليم تأتي عن طريق التـعليم الشفوي والقليل منه ما كان مكتوب، والوثائق التي كانت مكتوبة معظمها حرق في حريق سـالونيـك عـام ١٩١٧م ، والجزء المتـبـقي، جزءا منه نقل إلى أرشـيف إسرائيل بعد ذلك والجزء الآخر في يد بعض العائلات السبتائيـة في تركيا. وعلى هذا الحـال توجـد حتى الآن بعض النقـاط التي مـا تزال غـامضـة ومـبـهـمـة في كل الدراسات التي تمت بصلة بها بما فيها دراسة «شوليم» .

إن تكوين سبتـاي الإسلامي وكذا صدور بعض الأفعال الخـارقة منه كان يعتمد على تفسيرات كتاب الذخار. كما أن تزوجه بامرأة ذات سمعة سيئة لم يدخل بها كان لإظهار صفاته وعلويتـه . وقد ادعى أنه المسيح الذي سينقذ اليـهـود ولكنه بذلك وضع نفسه وجماعته في مأزق صعب تجاه السلطان واضطروا جميعا للإسلام. يقول سبتـاي عن هذا : «لقد أتتني الملائكة قبل ليلة وقـالوا لي أنت المسيح الذي سينقذ الأمـة اليهودية ولكن يجب عليك أن تختار الإسلام لكي تعوق هدم اليهود. وبناء على هذا فإن إسلام سبتاي وأتباعـه إنما هو «يستند إلى أنهم سوف يصبحون يهود مرة أخرى » وكـان السبـتـائيـون يرون أنفسهم بأنهم رجال الدين المنتخبون في الديانة اليـهودية[1].

= في كل أفعالنا وحركاتنا، ألا تعلمون أن الشعب التركي يرغب أن يكون كل الذين يعيشون على أرضه، على قلب رجل واحد؟ أو تظنون أن الأتراك سيخدعون ببضعة أشخاص منا خالطوهم رياءً ونفاقا ليصبروا على طفيليـة خمسـة عشر ألفا منا نمتص دماءهم ونأكل من خيراتهم؟ أو تظنون أنكم ستتركون على عاداتكم الموروثة تنعمون بعيش طفيلي ورفاه وسعادة دون أن ينالكم منهم أي رد فعل».

ويستطرد قائلا : «إن المجلس الوطني الذي وفق في تطهير البلاد من كل الموبقات والملوثات لقادر على إزالة هذا الموضوع النحس من أساسه بأذن الله وسيأتي اليوم الذي يقوم فيه من اتهموني بالخفة والعصبية ، فيعتذرون مني، ويقبلون يدي».

ذلك هو ما جاء في خطاب أحد أبناء الدونمة إلى جماعته عام ١٩٢٤ وهو لايحتاج إلى تعليق .

١- نلاحظ هنا اعتراف الكاتب الذي ينتمي للدونمة بحقيقتهم المزيفة .

وبخلاف كل ما تقدم تم تناول السبتائية بعد تغيير سبتاى دينه على أنها انقسمت إلى ثلاث فرق . والأصول الفكرية لفكرة القپانجلير جاءت على النحو التالى: يقولون إن سبتاى أسلم بناء على رغبة وإصرار السلطان إلا أنه لم يخرج عن كونه يهودى[1]. وبعد أن خرج سبتاى من مجلس السلطان فتح جعبته وأخرج منها طائرا على شكل البجعة وطار نحو السماء وكان هذا دلالة على خروج روحه من بدنه . وأظهر بعض الكلمات العبرية التى تدل على أنه ما زال يهوديا .

والغرض هنا هو إظهار السبتائية على أنها نظام فكرى صوفى يهودى وأنه حتى اليوم لم توضح الخطوط العريضة ولذلك فإنها تعد قضية من المحقق فيها أنها غير معلومة.

من المعلوم أن سبتاى زفى عندما ارتد عن اليهودية ودخل فى الإسلام تبعه فى دخوله الإسلام مائتى عائلة كانت تؤمن به قبل إعلان إسلامه . وكانوا هم أيضا المؤمنون بأن سبتاى لم يترك اليهودية وأنه هو المسيح المنتظر . وهؤلاء هم السبتائيون السريين. وتعتبر عائلة «أبو العافية» من الأمثلة على ذلك ولأن الجماعات السبتائية درست وعرفت بأنها غيرت دينها فانه قد أطلق عليها لقب (الدونمة) وأصبح هذا اللقب بمثابة الطابع لهم. وبقى أن نقول إن أقدم المجتمعات السبتائية الموجودة حاليا موجودة فى تركيا . وتسمى باسم (الدونمة) وبالطبع فلم يحدث بينها وبين الجماعات الأخرى تقارب ويمكننا القول بأن الجماعات السبتائية الموجودة فى تركيا أو فى اليمن يطلق عليها لفظ (السبتائية).

أما دراسة (السبتائية) من ناحية الموضوع فهى تعنى وجود مشكلة لأنها على خلاف علومنا، تعطينا مساحة ومنظور واسع».

ويتحدث زورلى عن السبتائية باعتبارها حركة صوفية بحتة لها علاقة وتأثيرا فى الحركات الصوفية الإسلامية فيقول :

«إن الحركة الصوفية التى كانت تحمل مبادئ وأفكار سبتاى زفى كانت عبارة عن حركة مسيحية استقت ينابيعها الأولى من الدين اليهودى والمستند الوحيد لها هو كتاب «القبالا» . وبهذا اختلفت عن بقية الفرق . ولذلك فإنه من الضرورى

١- وهذه النتيجة التى توصلوا إليها تدل على ازدواج شخصيتهم المخادعة.

وجوب مراجعة الموضوع من ناحية التفسيرات المعروفة لأعضاء الجماعة فقط والتى قام سبتاى بوضعها لهم. بالإضافة إلى أن أبحاث «شوليم» كانت فى نفس هذا الاتجاه أيضا. كما يجب تناول الموضوع من الناحية التاريخية والفكرية للإسلام وذلك لأن سبتاى وأتباعه دخلوا الإسلام وسوف نتعرض هنا للأدوار التى قام بها أعضاء السبتائية فى الطرق الصوفية فى تركيا قبل المولوية والبكتاشية والملامتية. وإذا ما حللنا موضوع السبتائية من الناحية التاريخية سنخرج بنتائج مختلفة تماما عن النتائج السابقة.

ويستطرد كاتب المقال قوله: إنه من المعلوم أن السبتائية أخذت مكانا كبيرا فى الثقافة التركية سواء فى الدولة العثمانية أو فى جمهورية تركيا الحديثة. وأصبحت الجماعة مشكلة اجتماعية بحتة. ونحن نرى أن موضوع السبتائية يمكن أن ينظر إليه من وجهة نظر مختلفة تماما وأنها أقل الحركات خطأ فى التاريخ.

أما عن المصادر التى تحدثت عن السبتائية والسرية التى لازمتها والمشاكل التى واجهتها فيقول:

إن أهم مشكلة تقابلنا عند تناول موضوع الحركة السبتائية وتأثيرها من الناحية العلمية هى مشكلة المصادر لأنه عندما بدأت تنشر المصادر الأولى للجماعة فى أوربا عام ١٨٠٠م بدأت فى تركيا عام ١٩٠٠م ولأن السرية كانت أساس السبتائية فان الموضوع نسى لفترة طويلة ولكن الباحث «شوليم» قام عام ١٩٧٠م باعادة الدراسة من جديد حول موضوع الدونمة. ولكنه مع الأسف لم يستطيع أن يراجع مصادر كثيرة كانت فى أيدى عائلات تركيا السبتائية.

كما أنه توجد عدة أسباب أعاقت عملية البحث فى موضوع السبتائية ومنها الضغوط التى تعرضت لها السبتائية فى المكان الذى وجدت فيه الحركة كما أن شوكة الإسلام كانت قوية فى تلك المراكز وكانت ردود الفعل العكسية الإسلامية صلبة تجاه هذه الحركة. أما المسلمون فقد تناولوا هذه الحركة على أنها مختلفة تماما لما فيها من تغيير للثقافة والطابع الثقافى بها. ومن كلماته السابقة نستشف أن الإسلام رفضهم على الرغم من تأكيده أن السبتائية كان لها علاقة قوية بالجماعات الصوفية الإسلامية. أما من ناحية انتقال العلوم من سبتاى زفى إلى تلاميذه

ومريديه وكيفية السرية التى كانت تحيط بهذه العلوم فيقول الكاتب إنها كلها كانت شفوية والجزء الذى كتب معظمه حرق فى حريق عام ١٩١٧م والباقى تم إزالته على يد «رشدى قارقش» عام ١٩٢٤م وبقى لنا الرجال المسنون الموجودون فى الجماعة وهم بالطبع سيموتون ولن يضيفوا شيئا جديدا للدراسات العلمية فى هذا الموضوع. كما أنه لم توجد أى مؤسسة قط أنفقت على هذه الدراسات المكلفة. هذا بالإضافة إلى وجود بعض الأشخاص الذين يعيقون البحث فى هذا الموضوع وهم الأشخاص الذين ترجع أصولهم للدونمة ويشغلون مراكز حساسة فى تركيا .

ثم يؤكد زورلى أن كل المصادر الموجودة فى إسرائيل عن السبتائية سوف يأتى يوم وتدرس بعناية. والجانب الغريب فيها أن كل أصحابها أتراك أثروا فى الحياة الثقافية التركية لذلك يجب على تركيا التى تدعى أنها أسست ثقافة السفاراد منذ خمسمائة عام أن تتحقق فى إحضار هذه المصادر التى تشكل جزءا هاما من هذه الثقافة.

ويؤكد الكاتب زورلى على وجودهم حتى اليوم بقوله : «إن عدد المهتمين بالسبتائية فى الغرب الآن فى زيادة مستمرة، بالإضافة إلى أن هذه الحركة ما زالت مستمرة حتى الآن فى بعض دول الحوض الأبيض المتوسط مثل بولندا وهولندا وروسيا وهذا ما يثبت أنها تحمل طابعا هاما . ومن هنا يظهر لنا أهمية عمل أبحاث ودراسات جديدة حول الموضوع».

وفى مقال آخر يحمل عنوان ثلاثة وثائق على ثقافة السبتائيين يتحدث زورلى عن صعوبة الوصول إلى معلومات عن الدونمة فى محاولته إثبات أصولهم اليهودية فيقول :

أثار شخصا مجموعة من القضايا فى مجلة كان لها تأثير فعال فى الحياة الاجتماعية فى تركيا قبل مجلة التاريخ والمجتمع. وبالطبع كانت مسألة صعوبة توضيح هذه القضايا الهامة بالمصادر دون الاصطدام بالحقائق التاريخية هى على رأس الصعوبات فى كتابة هذه المقالات إلا أنه يجب أن تظل هذه القضايا خفية أو سرية بحكم قوانين ونظم الطبيعة. وللأسف لم يستطيعوا نشر هذه الوثائق لسبب أو لآخر. ويبقى للقارئ النزاع الذى دار حول تحقيق هذه الوثائق بين الكاتب وبين أعضاء هذه الجماعة وهم السبتائيين.

كما أن التأريخ لجماعة مثل السبتائية لاتتوفر عنها المعلومات يدفعنا إلى عدم استطاعة نشر هذه المصادر خارج القواعد الاجتماعية.

وبعد أن استقرت الحركة السبتائية فى سالونيك بعد موت سبتاى زفى حاولت كل عائلة الاحتفاظ بشجرة النسب الخاصة بها، وبالتأكيد كان أهم سبب فى هذا هو المحافظة على الجنس والعنصر اليهودى وكذا إظهار التغيرات التى حدثت لهم فى عنصرهم بسبب التزاوج المختلط مع غيرهم والذى سيظهر بعد ذلك.

ولأن السبتائيون كانوا لايتزوجون إلا مع من آمن بسبتاى زفى وآمنوا بقواعده ومنهجه ، وهذا ما فعله زعيم القاراقش السبتائيين وهو «باريوخ» أو (عثمان بابا) حيث أظهر بعض النشاطات الاستعمارية فى بولندا وكان هدفه هو اليهود الذين يعيشون فى تلك المنطقة بأكملها .

وبمرور الوقت انقسم السبتائيون إلى ثلاثة أقسام وهم «القاراقش» و«القبانجيلر» و«اليعاقبة» وكل فريق منهم أصبح له عادة وتقليد فى عمل شجرة للنسب عنده.

وبسبب عمليات التزاوج الداخلية التى كانت تتم بين هذه العائلات بعضها وبعض تأسست علاقات وصلات قرابة بين هؤلاء الأشخاص . ولو أردنا التعرف أكثر على موضوع أنساب السبتائيين نجد أن هناك وثائق كثيرة فى أرشيف إسرائيل ولكنها سرية ولايطلع عليها أحد والمصدر الوحيد الموجود فى أيدينا عن شجرة نسب السبتائيين هو ذلك الكتاب الذى نشرته عائلة «بيلجين» الصحفية وهذا الكتاب عبارة عن شجرة العائلات السبتائيين كلهم. ويوجد كتاب آخر نشر باسم (السنوات الأخيرة لسالونيك) هذا الكتاب مع الأسف يؤرخ للعائلة السبتائية بأن منشأها الأناضول . والشئ المثير فى هذه النقطة هو الاعتقاد بأن أصل العائلة السبتائية إنما هو من الأتراك الذين جاءوا إلى أدرنة من الأناضول عام ١٧٥٠م دون الأخذ فى الاعتبار أصولهم اليهودية. ولكن مؤلف الكتاب تتطرق لمصادر هذه الهجرة الاضطرارية وأعطى أجوبته عليها إلا أنه لم يعطى أى معلومات زائدة عن هذه الشجرة وتفرعاتها.

ثم ينتقل الكاتب إلى المحادثات التى تمت بينه وبين العائلات السبتائية فيقول: عندما تقابلت مع أعضاء الحركة السبتائية الذين يعيشون فى استانبول أخبرونى

بأنهم ذوى أصول سالونيكية وأنهم من فرع الجماعة اليعقوبية. ويوجد غيرهم أيضا يعيشون فى إزمير وينتسبون إلى اليعاقبة . أما العائلة القباغجيلرية التى تعيش فى استانبول فلم تنشر عن شجرة عائلتها أى معلومات فى أي مكان والغريب فى هذه الشجرة أنها لاتذكر إلا الرجال فقط وعلى هذا فهم يتفقون فى هذا مع اليهود.

ثم يتحدث عن الكاتب الذى تحدث عن الشجرة الثانية لنسب السبتائيين والذى تناول حياة شخص وفد إلى سالونيك من مقاطعة «الفو» الإيطالية وانتسب لحركة سبتاى زفى حيث قام هذا الشخص برسم نسب السبتائيين على هيئة شجرة فى بدايتها يوجد شخص باسم «عبدالله أفندى» كان يعمل فى مهنة رئيس البساتين فى القصر فى عهد محمد الصياد ويقول أيضا إن سبتاى زفى عندما أسلم اشتغل فى مهنة رئيس البوابين فى القصر. كما أنه يوضح أن هذا الشخص عندما توفى دفن فى مكان فى سالونيك هذا المكان يسمى «مزار الدونمة» وقد هدم بعد ذلك على يد اليونانيين .

ويذكر أن هذه الشجرة استمرت حتى نهايات القرن التاسع عشر . إلا أن هذا الكتاب على الرغم أنه مزود بالصور إلا أنه لم يُستخدم كمصدرا لأنه سينشر فى كتاب يتناول حياة العائلة السبتائية.

ثم يؤكد الكاتب وجود وثيقة أخرى بخلاف هاتين الوثيقتين اللتان تثبتان نسب السبتائيين فى يد عائلة فى استانبول إلا أن هذه العائلة لم تظهر قط هذه الوثيقة الثالثة.

وهذه الوثيقة الثالثة تتناول أماكن مجئ المائتى أسرة الذين آمنوا بسبتاى. وقد استخدمت هذه الشجرة لفظ الكفار باللغة العبرية على كل عائلة حتى انفصال اليعاقبة نتيجة لرفض اليهود الشرعيين لها. ويقول إنه نتيجة لحادثة «عثمان بابا» فقد قسمت الشجرة على أقارب هذا الشخص الذى كان وارثا لهذه الشجرة فى هذه الأيام[1]. ويوضح الكتاب أيضا أنه فى أثناء حادثة «عثمان بابا» خرج

١- يعنى الكاتب بحادثة عثمان بابا تلك الرواية تقول إن اليهود أثبتوا أن عثمان بابا لايعد خليفة لسبتاى لأنهم عندما فتحوا قبره وظهرت رائحة التعفن أعلنوا أنه ليس خليفة لسبتاى .

أزواج أختيه كلا منهما بفرع جديد وكانت هذه الشجرة الثالثة للسبتائيين بالحروف اللاتينية والعبرية. وقد ضمت هذه الشجرة أيضا الأشخاص الذين انضموا إلى سبتاى زفى وأهمية هذه الشجرة هى احتوائها على معلومات عن النساء وزينت هذه الشجرة على جوانبها بمجموعة من الأدعية ويقول إنه حتى الآن لم يستطيع أحد نشر أو نسخ هذه الشجرة وذلك بناءا على مطالب وارثيها .

وفى ختام مقاله هذا يقول : لقد قمت بعدة مساعى من أجل أخذ معلومات عن شجرة أنساب السبتائيين إلا أن معظم المصادر عن هذه الموضوعات حرقت بعد حريق عام ١٩١٧م فى سالونيك ولهذا فالباحثون فى هذا المجال يعملون فى ظل ظروف صعبة للغاية . وبعض رجال العلم يرفضون أن تكون مصادر السبتائيين هى هذه العائلات. بل إنهم أظهروا أن الشجرة هى مجموعة من الحدائق الخيالية التى تدعوا إلى اكتساب أموال صرفة.

وفى مقال عن المفاهيم الدينية والأدعية الخاصة بالسبتائيين يقول زوريلى: إن هناك قسم كبير من الكتب الدينية وكتب الأدعية والمناجاة الخاصة بالسبتائيين محفوظ الآن فى المكتبات الكبرى التى تأسست فى معهد «بن زوى» التابع لجامعة العبرانيين التى تأسست بعد تأسيس دولة إسرائيل[١].

وبخلاف هذه الوثائق يوجد فى تركيا خبراء ودارسون لديهم معلومات هامة بهذه الجماعة التاريخية وعن أصولها السبتائية.

ويتحدث الكاتب عن كتاب يحمل أهمية تاريخية من عدة جوانب للسبتائيين فى تركيا تم طبعه فى فلسطين قبل تأسيس دولة إسرائيل واسم الكتاب باللغة العبرية هو (سفر شيروت وتشيباهوت شل هاشباتايم) وطبع عام ١٩٤٧م.

١- بالرغم من أن رجال العلم الإسرائيليون قرروا سرية هذه المصادر وأنها لن تخرج من إسرائيل فان كاتب هذا المقال وجد إمكانية لعمل دراسات على هذه المصادر عام ٩١-١٩٩٢م. كما أن العالم الإسرائيلى جيرشوم شويلم تناول فى مقدمة كتابه (سبتاى زفى المسيخ المنتظر) والذى ترجم إلى اللغة الإنجليزية كيفية وصول الكتاب والمصادر إلى إسرائيل وكيفية حفظها بسرية تامة.

وعنوان الكتاب باللغة التركية (كتاب الأدعية والمناجاة للسبتائيين) وقد قام «موشيه اتياس» بتأليف هذا الكتاب وكتب مقدمته «إسحاق بن زوى» ثانى رئيس جمهورية لإسرائيل وأحد مؤسسى إسرائيل .

ويقول إن الكاتب «جيرشون شويلم» يعتبر ثانى شخصية هامة فى إسرائيل تتحدث عن الأصول الدينية والأدعية للسبتائيين إلى جانب اشتماله على عدة ملاحظات عن نظرية التصوف اليهودى وحياة سبتاى، وقد كان هذا الكاتب ممن أسسوا اللغة العبرية الحديثة.

والكتاب يحتوى على نماذج للأشعار الدينية الخاصة بالسبتائيين. وقد جمعت هذه الأشعار من أرشيف إحدى العائلات الإزميرية التى تنتمى إلى فرقة القانجيلر ويذكر أن الكتاب يتناول أشعار وأدعية باللغة الأسبانية والتركية إلا أن لغته الأصلية هى اللغة العبرية. وقد تضمنت اللغة العبرية الموجودة فى الكتاب بعض الأخطاء الإملائية وذلك بسبب عدم تعلمهم اللغة العبرية بالقدر الكافى. واختار كاتب المقال بعض المقطوعات الشعرية التى تمدح سبتاى زفى وهى:

يا ملك الدين نحن فداء لك

إرحمنا ونحن سنكون بجانبك نادمين

يا من لم يرى مثلك فى العالم

إرحمنا ونحن عاشقين لك

نحن نفديك بأرواحنا

نحن عاشقين لك يا نور القمر

إرحمنا ونحن سنطيعك دائما.

ثم يتحدث الكاتب عن أساس نظرية السبتائية التى تعتمد على نظرية الخلق التى تنسب إلى اليهودى المتصوف «إسحاق لوريا»[1] حيث تقول هذه النظرية

١- إسحاق لوريا هو شخص يهودى مهتم بالفلسفة اليهودية عاش فى عهد الإشكيناز وهو مؤسس السفارد وقد أضيفت أشياء كثيرة لنظريته بعد موته . وهو أول من قال بالإيمان بالمسيح المنتظر وهو الذى فتح الطريق لظهور السبتائية.

بأن الآلهـة قـد أرسلت على هيئـة ضـوء ونور وكل من تجـمع لرؤية هذا الضـوء الإلهى لم يستطيع أن يتحمله فمات ومنهم جماعة لم يموتوا وأصابهم شيئا من هذا الضوء وعندما يعـود هذا الضـوء إلى مصدره سيظلوا ملاحقين لهذه الأجزاء التى كسرت.

وقد تم تناول شخصيـة ووظائف المسيح فى النظرية السبتـائيـة من خلال نظرية «لوريا» . ويؤمن السبتـائيـون أنهم سوف يموتـون وهم مخلصـون من ذنوبهم . وقد صرحوا بهذا فى أدعيـتهم ومناهجهم الدينية. وهذه المقطوعة التى سنقرأها هى أول مقطوعة شعرية من نوعها يظهرها السبتائيون وهى خاصة بفرقة القبانجيلر وتقول :

يا باب الجنة ويا بناء الجواهر

يا سبتاى يا تاج رأسى يا سبتاى يا تاج رأسى

أنت شموع الأعمدة

وسوف نراها

ومن سيراها

سيرى الله

يا تاج الرأس يا سبتاى

لو يكون هذا اليوم سنراك،

وسنصل إلى مرادنا

وسنرى سيدنا

يا تاج الرؤوس يا سبتاى

ستموت القشور والأشياء

وستظل الدنيا لنا

وسوف تعزف المزامير

يا تاج الرؤوس يا سبتاى.

ونرى فى بداية هذه الأدعية والمناجات كيف أنهم يطلبون الأمال من سبتاى بل إنه هو نفسه أصبح مطلبا وأصلا لهم. وإن هذا سيحقق بمجئ مسيحا عليهم. كما أن الذنوب والأشياء سوف تمحى وأنه سوف تعود مزامير داود للعزف مرة أخرى.

ويذكر الكاتب أن سبتاى يرجع نسله إلى «داود» وفكر وعقيدة السبتائيين تقول بأن المسيح سوف يأتى إلى الدنيا ويغير جسده فيها لمدة ثمانية عشرة مرة منذ أيام إبراهيم. وبمجئ المسيح سوف يظهر كل واحدا من هؤلاء الثمانية عشر مسيحا فى صورة المسيح سبتاى وسوف يكون دور السبتائيون يوم القيامة هو إنقاذ الناس من هول القيامة. وهم يسمون أنفسهم بالمؤمنين نتيجة لتلك الفلسفة لأنه عندما يأتى المسيح مرة أخرى سوف يأتى لإنقاذ المؤمنين الصادقين له فقط.

وعن التصوف الذى أفرد له الكاتب صفحات كثيرة محاولا إثبات تصوف تلك الجماعة وانتمائهم إلى المتصوفة المسلمين فيقول فى مقال آخر له بعنوان السبتائية والتصوف العثمانى:

«بالرغم من أن هناك فروقا ظاهرة بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية من حيث التصوف إلا أن كلا الثقافتين وصلتا إلى نفس النتائج المشتركة وذلك من خلال الشخصيات الصوفية. فقد كانت هذه الشخصيات الصوفية بمثابة الجسر بين الثقافة الإسلامية والنصرانية واليهودية وذلك اعتبارا من القرون الوسطى.

ومع أن الحركة السبتائية التى كانت تعتمد على نظرية «القبالا» أى «التصوف اليهودى» قد ظهرت على أنها حركة صوفية يهودية إلا أنها بدأت تأخذ السمات الإسلامية بمرور الوقت وقد بدأ هذا فى الظهور منذ نهايات القرن التاسع عشر حتى الآن. ونخص هنا فرقة اليعاقبة السبتائية فقد بدأو يتجهون إلى الحركات الصوفية وإظهار الاهتمام بهم »[١].

١- يكرر المؤلف لفظ التصوف اليهودى والمقصود به كتاب القابالا وهذا الكتاب يشمل العديد من الانحرافات فى وصف الإله وصلت إلى القول بتجسيده وذكر عدد من الآلهة وهذه الفلسفات والأفكار بعيدة كل البعد عن التصوف الإسلامى الصحيح .

ثم يحاول الكاتب إلقاء الضوء على الدور الذى قام به السبتائيون فى العالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، وهو هنا يظهر للقارئ ارتباط هؤلاء الجماعة بالمتصوفة المسلمين بهدف التستر برداء الإسلام المزيف فيقول:

«عندما أعلن سبتاى زفى إسلامه وتبعه مائتى عائلة، بدأوا يتقربون إلى الجماعات الإسلامية، ولم يكن هذا في المجتمع العثمانى فحسب بل كان فى كل أوربا وآسيا حيث ترك السبتائيون تأثيرا كبيرا لهم فى نفوس الجماعات اليهودية وذلك من خلال مبدأهم «الشبه والتشابه» ومنذ ذلك الحين بدأ السبتائيون يتقربون إلى الجماعات الإسلامية بل أنهم وجدوا صعوبة فى هذا التقرب». ويعد هذا اعتراف آخر من الكاتب برفض المسلمين لهذا التقرب.

ثم يستطرد كاتب المقال قائلا : «إن هذه الحركة كانت تعتمد على مبدأ صوفى بحت، ويقول إن هذا المجال فتح أمامهم مجالا فى اكتساب نجاحا فى المجتمعات الجديدة التى دخلوها فى زمن بسيط ، وذلك لأنهم حققوا تكاملا لم تدخل الجماعات الصوفية الأخرى فيه بنظرياتهم الدينية مثل (التوحد- والغيب) فحاولوا التقرب إلى الجماعات الدينية الأكثر تساهلا فى قواعدها الدينية والأكثر تقربا إلى السلطة[١].

والسبب الرئيسى لدخولهم الجماعات والطرق الصوفية الإسلامية لم يكن للمحافظة على هويتهم السرية فحسب ولكنهم كانوا يهدفون إلى تشكيل سمات ونماذج صوفية توضح مبادئهم وفلسفتهم للطرق الأخرى فى الأديان المختلفة».

ثم يقول «إن نشاطات السبتائيين المهتمين بالتصوف الإسلامى تركزت فى ثلاثة مراكز رئيسية هى استانبول التى كانت عاصمة الإمبراطورية العثمانية ثم فى غرب الأناضول فى مدينة إزمير ثم بعد ذلك انتقلت إلى البلقان مثل سالونيك وصوفيا وتراقيا وأدرنة»[٢].

١- وهذا هو السبب فى تقربهم إلى طرق المولوية والبكتاشية والخلوتية.

٢- يمكننا القول إن تقرب طائفة السبتائية إلى الطرق الإسلامية لم يكن سوى نوعا من أساليب النفاق والمداراة والتظاهر فى محاولة لإثبات إسلامهم الشكلى .

ويستطرد قائلا: إن أول عمل قام به السبتائيون فى استانبول بعد دخولهم الإسلام هو توفير المساعدة المادية فى تأسيس تكية «عزيز محمود خداى» الذى كان من شيوخ الطريقة الخلوتية ومدفون فى إسكدار. والسبب فى هذا هو مكوث السبتائيون لفترة طويلة فى تلك التكية حتى مبادلة عام ١٩٢٤م. ويقول إن حى «بلبل دده سى» فى «اسكدار» بتركيا يحمل معنى أو مفهوم خاص عند السبتائيين لأن التلمود يقول إن المسيح سيأتى على صوت البلبل . ولذلك كان هذا الحى هو أكبر مركز لتجمع السبتائيين فى استانبول بل إنهم أنشأوا مدافنهم هناك . كما أن أماكن العبادة الأخرى التى أسسها السبتائيون فى استانبول كانت توجد فىٔ اسكدار وما حولها، وفى مدخل مدفن حى «بلبل دده سى» يوجد مسجد «فيضية خاتون» وهو من إنشاء السبتائيون وذلك لأن المدرسة التى تلقى أتاتورك تعليمه الأول فيها فى سالونيك كانت تحمل نفس الاسم.

ويقول أيضا إن هناك بناء دينى آخر يحتمل أن يكون قد بنى على يد السبتائيين وهو «تكية البدوى» التى بنيت على يد السيدة رابعة العدوية التى توفيت عام ١٨٩٩م[1].

أما عن علاقة أعضاء السبتائيين بالمتصوفة الإسلاميين فقد تكثفت فى مدينة سالونيك التى كانت مركزهم وفى الوقت نفسه كانت تحتل أهمية كبرى فى الدولة العثمانية فى السنوات الأخيرة لأسباب عديدة منها أنها كانت مركزا للمنظمات التى قامت بوظائف كبرى فى تلك الفترة .

١- كانت العائلات السبتائية تستخدم اسمين . الأسماء الأولى كانت هى الأسماء التى يستخدمها يهود السفاراد وكانت تحمل أسماء عائلات يهودية أما معظم الأسماء الإسلامية التى كانوا يستخدمونها فكانت تتكون من هذه الأسماء اليهودية وما يقابلها من الأسماء باللغة التركة. على سبيل المثال أول طفل ولد عند القاراقش وهو يعد زعيمهم لأنهم يقولوا عنه إنه خليفة المسيح كان يسمى عندهم باريوخ أما فى اللغة التركية فكان اسمه عثمان بابا.

ومع أن سبتاى زفى غير اسمه بعد دخوله الإسلام وأصبح محمد إلا أنه ظل يحتفظ باسم سبتاى زفى. ومعنى هذا أن السبتائيون كانوا يستخدمون الأسماء الإسلامية وأكثر اسم استعمله السبتائيون هو إبراهيم وآدم.

ويقـول زورلى إن بعض المصادر تدعي أن سبـتـاى زفى كـان على عـلاقـة مع «نيازى المصرى» وهو من المتصوفين الإسلامـيين الأتراك[1] وعند دراسة الفلسفة المشتركة بين زفى وبين المصرى نجد أن كلا الاثنين سبتاى والمصرى قد دافعا عن ادعاءاتها وأفكارهما المشتركة . فواحد منهما ادعى أنه المسيح، وواحدا أنه المهدى وقاما بعمل أشياء تدل على ذلك، كما أنهما كان يحاربان شيخ الإسلام فى ذلك العصر وهو «وانى أفندى» لأنه كـان عـدوهم الأوحد، وكـان الناس ينظرون إليـهم كمجانين ويسخرون منهم دائما. ثم يعرب الكاتب عن اندهاشه لعدم وجود بحوث بالقـدر الكافى عن هذين الشـخـصين اللذان فـتـحـا آفـاقـا جـديدة فى عـهـد ملئ بالضغوط التى عاشوها بأفكارهما من وجهة نظره .

ثم يذكر الكاتب الروايات التى تحدثت عن المصرى وأنه تقابل فترة مع زفى فى استانبول أو أدرنة . إلا أنه ليس من المعلوم كيف تفاهم الاثنين وبأى لغة تحدثا، وعن أى شئ تحدثا ، إلا أن تابعيهم زعموا أنهما أثرا فى بعضهما جدا. ولم يهتم أعضاء الفريق الذى كـان يتبع المصرى بأفكاره كـمصدر لهم بل أن أول من اتخذه مصـدرا لهم «الملامتيه» وهى فـرقـة من الفرق الصوفـيـة فى ذلك الوقت أظهرت نشاطا وتأثيرا مماثلا للنشاط السبتائى فى البلقان وأوروبا .

ثم يذكر أن السيد «محمد نور» مؤسس طريقة الملامتـيـة فى الفـتـرة الثـالثـة. انتـقل بنشـاطه وتنظيـمـه إلى منطقة الروملى بعـد أن هاجر من أنطاليـا واسـتـقـر بسـالونيك واسكوب ومـا حولها. ثم يتـحـدث عـن تأثر السـيـد مـحـمـد نور كـثـيـرا بالشـخـصـيـات الصـوفـيـة المشـهـورة فى ذلك الوقت مـثـل الشـيـخ «بدر الدين

١- يمكن الاستفادة فى هذا الموضوع بكتاب هامر الذى يتعلق بالسبتائيين ويتعرض أيضا «باول فنيتون» إلى هذا الموضوع فى عدة مقالات حيث يوضح كيفية تقابل الثقافتين السبتائية والصوفية كل منهما فى عام ١٦٦٦م. ويوضح أيضا أن سبتاى أقام فترة فى تكية المصرى وأسس معه صداقة. وهذه التكية هى تكية محمد باشا الموجود بجوار السلطان أحمد. وقد قام كلاهما فى هذه التكية لفترة . ويكتب «إسرائيل حازان» أن سبتاى أضاف لطريقته ذكر يسمى اسم الله».

السماونى» الذى كان صوفيا ومفكرا يدعوا للاشتراكية[١] . وكذا الشيخ «أرسلان» الذى كان يدافع عن فكرة وحدة الوجود ، والشيخ «أحمد بن إدريس».

كما يذكر تقرب السيد محمد نور إلى الشيخ نيازى المصرى الذى كان معاصرا لسبتاى زفى وكان بمثابة صديقه الحميم. ولم يكن السيد محمد نور من مريدى الشيخ نيازى فحسب، بل درس على يده الأذكار والأوراد الخاصة به وسجلها فى كتب له. ويدعى الكاتب أن السيد محمد نور كان يعتقد أن سبتاى زفى هو المسيح المنتظر وأن نيازى المصرى هو المهدى المنتظر . ومثلما كان السبتائيون يدافعون عن سبتاى ، كان «الشيعة» يدافعون عن المصرى.

ويذكر أنه فى نهاية القرن التاسع عشر ، كانت الملامتية تظهر فى الأماكن البعيدة عن الإضطرابات الموجودة فى استانبول بعد ظهور فكرة خلع السلطان عبد الحميد الثانى وكانت مدينة سالونيك فى تلك الفترة مركزا للتمرد وذلك لقربها من أوروبا لموقعها الجغرافى وللبناء الاجتماعى بها، ومن الجدير بالذكر أن الملامتيه كطائفة ظهرت فى استانبول على يد أوغلان شيخ الذى أعدم بتهمة الهرطقة عام ١٥٢٩م ويحظى المسيح باعتبار كبير عند الملامتيه [٢].

١- بدر الدين السماونى عالم دينى، كان يشغل منصب قاضى العسكر فى الدولة العثمانية ولد عام ١٣٦٨ بقلعة سماونه إحدى قرى مدينة أدرنه بتركيا ، قام بحركة دينية يهودية بهدف الحصول على السلطة فى الدولة بمساعدة يهودى يدعى طورلاق هود كمال وقد قاما بدعوة النصارى وتحريضهم على العصيان على الدولة وقد كانت هذه الحركة حركة شيوعية حيث دعوا إلى تقسيم الأراضى والأموال بلا تفرقة بين المسلمين والمسيحين واليهود ونادوا بتحليل المحرمات واقتصرت الشهادة عندهم بقول لا إله إلا الله مع حذف نصفها الثانى «محمد رسول الله» طمعا فى جذب اليهود والنصارى إلى الحركة وادعى بدر الدين بوصوله إلى مرتبة النبوة وانتهت دعوته بأن حكم على نفسه بالإعدام وتم قمع هذه الحركة بقتل طورلاق اليهودى، وإعدام بدر الدين السماونى (انظر هدى درويش، علاقة تركيا اليهود وإسرائيل، (رسالة دكتوراه) ج١ ، ص١٤٦ - ١٥١ .

٢- هـ ت. نورس ، الإسلام فى البلقان ، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، رقم ٤٩، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٣٥ .

ينتقل الكاتب هنا إلى نقطة هامة وهى محاولة تسلل هذه الجماعة إلى سياسة الدولة فيقول : كانت أكثر المنظمات التى تلفت الانتباه فى عهد الاتحاد والترقى هى : «الطرق الصوفية» و«المحافل الماسونية» و«الجيش» ولأن الطرق اكتسبت أهمية بتأسيس لواء الانكشارية الذى انضم إلى هذه الطرق مثل الطريقة البكتاشية وانخرط فى الحياة السياسية بل إنه كان يمثل سلاحا فى يد الإمبراطورية تستخدمه ضد الشيعة فى أواخر أيام الإمبراطورية.

بالإضافة إلى أن الملامتية اكتسبت قوة فى سالونيك . فقد ظهر الدور السياسى بوضوح للسبتائية بتأسيس الاتحاد والترقى. ولأن سبتاى زفى قد اهتم بفكر نيازى المصرى. فان السبتائيون بدأوا يدخلون وينتسبون إلى الطريقة الملامتية. ويعد «على عرفى أفندى» من زعماء الملامتية ، وكان بيته بمثابة تكية لهم. وكان من زعماء السبتائية أيضا ، كما كان «عثمان زوقى أفندى» أيضا من المنتسبين لهذه الجماعة.

وطبقا للعناصر المؤثرة الأخرى فى تلك الفترة نجد أن السبتائيون قد أظهروا اهتماما بثقافة الدول الغربية بسبب العلاقات التجارية معهم، كما أظهروا اهتماما بالثورة الفرنسية وما جاءت به من مبادئ مثل المساواة ، والحرية، والإخاء وهى المبادئ التى تطابقت مع شعار الماسونية .

ومع أن علاقة السبتائيين استمرت حتى عام ١٩٢٤م مع الطرق الصوفية إلا أنه بعد مبادلة عام ١٩٢٤م قل نشاطهم فى استانبول وقل عددهم أيضا . وبعد قرار الجمهورية التركية بإغلاق التكايا والزوايا بدأ السبتائيون فى التقرب إلى الماسونية وكان هذا التقرب من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى انتهاء علاقة السبتائية بالمتصوفين المسلمين والتى استمرت كثيرا.

وعلى الرغم من أن السبتائية أو الدونمة حركة ذات أصول يهودية إلا أنها كانت ذات تأثير قوى نتيجة تقربها إلى المؤسسات والطرق الإسلامية. ولهذا يكون من الخطأ اعتبار أن السبتائية امتدادا للثقافة اليهودية فقط[١].

١- يحاول الكاتب هنا أن يظهر أن السبتائية كان لها تأثيرها على الطرق الإسلامية وهذه مغالطة كبيرة=

وبعنوان رسالتين باللغة العثمانية عن السبتائيين يستطرد الكاتب حديثه فى كيفية تدخل هذه الجماعة فى أنظمة الدولة فيقول : «بدأت حركة السبتائية أو الدونمة فى الأراضى العثمانية اعتبارا من القرن السابع عشر وظلت حتى القرن العشرين، ولكنها بدأت تنسى بسبب الانطواء الذى عاشته الجماعة.

وقد كانت أهمية مدينة سالونيك التى ظهرت فى نهايات القرن التاسع عشر بداية الانتباه مرة أخرى للسبتائية حيث كانت مدينة سالونيك بمثابة الموطن الذى عاش فيه السبتائيون فى نهايات القرن التاسع عشر.

ويظهر من خلال المؤسسات التى اتخذتها مركزا لها مثل جمعية الاتحاد والترقى، والمحافل الماسونية ، والطرق الصوفية، وعلى رأسها «البكتاشية»، و«الملامتية» و«المولوية» حيث كان معظم من كان لهم تأثير سياسى كبير فى هذه المؤسسات من السبتائيين الأمر الذى جعل القصر يهتم وينتبه إلى هذه الجماعة. والشئ المثير هنا اهتمام الكتاب العثمانيون بالسبتائية بعد ثلاثة قرون من تأسيسها . وأقدم كتاب عنهم هو الكتاب غير المعروف مؤلفه والذى طبع عام ١٩١٩م[1]. ففى بداية هذا الكتاب قام الكاتب بإعطاء تعريف مختصر عن الدونمة، كما أعطى معلومات عن سبتاى زفى . ويدعى المؤلف أن هدف سبتاى كان تأسيس دين جديد ، لكنه عندما هرب ترك جماعته فى شكل لايستطيع حتى فهم نفسه. ويوضح المؤلف أيضا أن الجماعة لم تكن تتكون من اليهود فقط بل كانت تتألف من القبط والمجوس واليهود. وتقدم الرسالة بعد ذلك معلومات عن السبتائية حيث تتحدث عن عادة الزواج عند السبتائيين وعن انطوائهم على أنفسهم فقط، كما توضح الغش التجارى الذى تفشى عند القبانجيلر والقاراقش.

= فالسبتائية هم الذين حاولوا التقرب إلى تلك الطرق بهدف إظهار شخصيتهم الإسلامية الشكلية أمام المجتمع ولم تسعى إليهم هذه الطرق بل إنهم كانوا يعرفون نواياهم وأساليبهم المخادعة جيدا ولم يندمجوا معهم ولم يعترفوا بهم.

١- توجد معلومات موضحة ومختلفة عن الكتاب وما يحتويه قدمها أ.د. عبد الرحمن كرجك فى كتاب له باسم (الدونمة ويهود الدونمة) .

ويوضح المؤلف أن الدونمة هم سبب تحول النساء في المجتمع التركى وهم عراة الرأس (بلاحجاب) [١]. وقد حصر المؤلف كل الخلاعة والمجون واللادين الذى ظهر فى الأناضول والروملل، على الدونمة.

ويرى المؤلف أن جماعة الدونمة سببا فى كثير من المشكلات التى وقعت فيها الدولة العثمانية . ويوضح أن احتفال الدونمة بالأيام المقدسة عند المسلمين وصومهم رمضان لايظهر سوى نفاقهم وخداعهم. ويقول الكاتب فى نهاية رسالته أن الدونمة لهم طريقة خاصة فى كيفية تكفين موتاهم وذلك فى القسم الأخير من الرسالة. ومع أن الرسالة تنتهى هنا ويتضح من خلالها أن لها قسما آخر إلا أنه لم يصادف أى تسجيل لها فى المكتبات» .

ويرد زورلى مغالطًا الحقائق السابق ذكرها فيقول : «إن كل الادعاءات الموجودة فى الكتاب معرضا للقيل والقال وذلك بسبب افتقارها إلى أى وثيقة أو مصدر.

وبخلاف هذا المصدر الذى كان موجها ضد السبتائيين ومؤلفاً باللغة العثمانية ، توجد رسالة أخرى تم تأليفها فى نفس العام ونشرت فى استانبول باللغة العثمانية أيضا وهى بعنوان (حقيقة الدونمة) وسواء هذه الرسالة أو الأخرى فقد تم تحويلها إلى الحروف اللاتينية على يد العالم الدكتور «رفعت» الذى رفض مع الأسف ذكر اسمه سواء فى حياته أو بعد مماته على هذه الرسائل . وأردنا فقط هنا أن نذكر اسمه فقط . وقد طبعت هذه الرسالة مرة أخرى عام ١٩٩١م على يد الدكتور «جاد ناسى» وقد ذكر هذا العالم أن مؤلف الكتاب أو الرسالة كان ضابط فى الجيش الثالث[٢] وقد تناول الكاتب مسألة البعد عن الدين الذى ظهر فى تركيا فى

١- الكاتب دائما فى رسالته يستخدم كلمة الدونمة بدلا من السبتائية ونحن أيضا استخدمنا نفس المصطلح بنفس الشكل فى المقال. وهى مكتوبة باللغة العثمانية.

٢- يوضح الدكتور . كوجك فى كتابة (الدونمة ويهود الدونمة) فى الصفحة رقم ٤٠٩ فى الملزمة رقم ٧ أن المقدم صادق كان عضوا فى جمعية محبى انجلترا.

نهايات الدولة العثمانية فيذكر زورلى أنه تعرض لهذا الموضوع فى كتاب (حقيقة الدونمة) وقد لاقى هذا الكتاب معارضة شديدة وظهرت هذه المعارضات فى شكل أجوبة تناولها بالتفصيل عن الادعاءات التى احتلت مكانا فى موضوع الدونمة[١].

وعند قراءة الكتاب يتضح أنه كان ذو اتجاه سبتائى مدافعا عنه. فيوضح الكاتب أن سبتاى زفى لم يغير دينه بسبب الخوف كما ادعى عليه ولكن على العكس ساقه نورا إلى هذا الطريق ، وأنه كان صاحب علويه وقدسية وأنه بفضل الكرامات التى كانت تظهر على يديه أرشد كثيرا من الناس إلى الإسلام. فكانت هذه الادعاءات عليه بمثابة الشجرة المثمرة ويذكر المؤلف فى كتابه أن سبتاى كان مرشدا كاملا .

والدليل على ذلك أن السلطان اعتنى به وسماه «العزيز» . حتى أن هناك من دخل إلى الطرق الصوفية ممن آمنوا به. وأن مجئ من آمنوا به كل يوم سبت فى الصباح أمام القلعة كان بغرض شراء البضائع بشكل رخيص ولم يكن المقصود منه انتظار سبتاى كما تذكر بعض المصادر الأخرى». وهذا الادعاء باطل من قبل الكاتب ذلك لأنه عندما تناول إسلام سبتاى قال إن إسلامه كان شكليا اضطرته الظروف لذلك حتى ينجو من العقاب.

ويستطرد زورلى أن أقباط مصر الذين أتوا لسبتاى احتلوا مكانًا هامًا عنده. ويزعم أن هؤلاء الرهط لم يكن معروف بشكل قاطع من أى الأجناس هم[٢] وزعم أن كل هؤلاء الجماعات كانوا مختلفين عن بعضهم وأنهم قد تزاوجوا من الأتراك. والسبب فى رفضهم الزواج من الأتراك قبل ذلك كان نابعًا من خوفهم من التقرب إلى العناصر الأجنبية الأخرى. حيث أن هذه الجماعة عندما استقرت فى سالونيك

١- إن مصطلح الدونمة قد فتح الطريقة أمام المؤرخين الأجانب لكى يستخدموه حينما يريدون التحدث عن يهود الدونمة أو السبتائية. وكانت الدونمة تعنى (العودة- الردة) . وقد تم نشر هذه المعلومات فى مجلة التاريخ والمجتمع فى عام ١٩٩٤م بعنوان (السبتائية من ناحية المصطلح والموضوع والدراسة) وتم تناول معنى الدونمة فى هذا المقال .

كانت مرتبطة جداً ببعضها ومترابطة إلى درجة كبيرة. كما أنهم كانوا يستندون فى حياتهم على أفكار مدحت باشا[١].

ويوضح الكاتب أيضًا أنهم أخفوا أنهم سالونيكيين وذلك لعدم التفوه بكلمات قبيحة بخصوص هذه الطوائف.

لذلك يخفى السبتائيين أنهم من سالونيك هذه الأيام فى تركيا. لأنهم أصبحوا هدفا للإسلامية التى تقوى شيئا فشئ. ويذكر أن شخصا مثل شمس أفندى لم يوافق السياسية فى ذلك الوقت وخالف القرارات السياسية وذلك قبل إعلان المشروطية وهنا توجد نقطة يجب توضيحها وهى أن شمس أفندى كان أول مدرس لأتاتورك واحتل مكانًا فى كتاب أتاتورك (نُطق) وقد كان شمس من رجال الدين المشاهير فى السبتائية. وكانت له وظائف كثيرة وعديدة فى السياسية[٢].

ويذكر زورلى أن السبتائيين الذين لم يقوموا بأى دور سياسى قط قبل إعلان المشروطية فى الدولة العثمانية، أصبح لهم دورا فعالا فى إطار الحركات الفكرية ، ويذكر أن سالونيك ومعظم مدن البلقان قد فقدت من أيدى العثمانيين بعد إعلان المشروطية وبالتالى فسد بناء الجماعة. ويحتمل أيضا أن يكون القدر أنقذهم مما فعله الألمان فى اليونان.

ويعطى الكاتب مكانًا لموضوع ضعف السلطة الدينية التى حدثت فى المجتمع العثمانى رويداً رويداً . ويتطرق إلى ظروف تربية وتنشئة جند بشكل جيد وبهذا يبتعد عن الموضوع الأصلى. كما يورد أماكن للشعر سواء المهم أو غير المهم أو

١- مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٥م) تولى منصب الصدر الأعظم (= رئيس وزراء) فى عهد السلطان عبد الحميد كان من أكبر الداعين للاقتباس من الغرب ونادى بتقليص نفوذ السلطان عن طريق إعلان الدستور ورأى البعض أن الدعوة بالدستور تعنى القضاء على الشريعة الإسلامية. وكان لمدحت دوره فى الدولة فى الحرب مع روسيا وهزيمتها وقد نفاه السلطان عبد الحميد خارج البلاد.

٢- للاطلاع أكثر على معلومات عن شمس أفندى ودوره فى مقال لزورلى نشر فى مجلة (التاريخ الاجتماعى) بعنوان (شمس أفندى مدرس أتاتورك الأول ومدرسته) وذلك فى العدد الأول.

المتعلق بالموضوع . ثم يعود للموضوع الأصلى بعد فترة طويلة. كما يذكر أول من عارض هذه الآراء وهو من العلماء الذين عاشوا فى الرومللى. ويتعرض لموقف ونقطة خطيرة جداً فى الموضوع وهى أن الشمعة انطفأت وقال إن هذه العادة موروثة عندهم. ويقول إن تغيير العادات المتأصلة أمراً ليس بالسهل.

ويؤكد زورلى أن الشخص السبتائى الذى يذهب إلى المسجد مع أن عددهم قليل سوف يكون مرشداً خالصًا لله.

والنقطة الهامة التى يجب أن نشير إليها هنا أنهم كانوا يحققون الطقوس الدينية اليهودية ويقيمونها فى بيوتهم.

ويذكر الكاتب أيضا أول كتاب نشر عن الدونمة كان من تأليف شخصًا من المقربين إليهم، وكان يتناول فيه الأحداث من وجهة النظر الإسلامية والكتاب به مكانًا للادعاءات وهى من تأليف شخصًا يعرف الجماعة بشكل كبير جداً . ثم يؤكد ظهور كتاب آخر ألفه شخصًا كان عضوا فى هذه الجماعة والكتاب يُظهر فيه أن سبتاى زفى كان عزيزاً فى الإسلام وأن مبادئه تعتمد على مبدأ الشبه والتشابه.

ويؤكد زورلى أنه توجد نقطتين يوجب تناولهما بشئ من الأهمية النقطة الأولى هى أن السبتائيون احتلوا أماكن فى المجتمعات الإسلامية، وقد فهم سبتاى زفى هذا الطريق جيدا . والثانى هو ادعائهم الوظائف الدينية. وبالطبع أخذ الكاتب هذه المعلومات من عائلة آمنت بسبتاى وكانت مدونة عندهم فى مصدر من ثلاثمائة عام.

ويختم مقاله هنا بقوله : إن السبتائية كانت حركة تصوفية يهودية أتمت معناها تمامًا مع «اسحق لوريا» . لذلك من أجل تناول هذا الموضوع بشئ من التمام والصحة يجب أن يحكم جيداً على فلسفة «اسحاق لوريا» فى التصوف اليهودى.

وفي مقال لزورلى عن علاقة الدونمة بالماسونية مدافعا عن ارتباط الدونمة بالماسون . فيقول تحت عنوان : «السبتائية والماسونية».

لايمكن رؤية الماسونية بشئ من المبالغة فى أهميتها أو قيمتها لأنها قد ظهرت على مدى التاريخ بأنها منظمات سرية تعتمد على الإقرار. وربما أنه حتى الآن لم تنال أى منظمة قط ما نالته الماسونية ، فقد أثرت الماسونية على الشرق والغرب وكانت مسئولة عن بعض الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويعرف كاتب المقال الماسونية بقوله : «إنها حركة فلسفية اتخذت مصدرها من الحضارات القديمة ومن الثقافات القديمة وخاصة ثقافة الشرق الأوسط ومبدأها الرئيس يعتمد على المساواة بين كل أعضائها فى العالم وعدم التفرقة بينهم. فقد فتحت أبوابها لكل الديانات وساندت كل الأفكار الحرة ولم تفرق بين أحد حيث اعتبرت الثقافات ذات الاتجاه الواحد مطرودة»[١].

ويستطرد قائلا لقد رأينا أن التيارات الفكرية الجديدة مثل القومية والتحررية وكذا بعض المصطلحات الغربية قد ظهرت فى الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر .

وقد أبُعدت السبتائية تمامًا من الديانة الإسلامية والديانة اليهودية وذلك لأنها كانت حركة ذات اتجاه دينى خاص. وإذا نظرنا إلى السبتائية فى القرن التاسع عشر يتضح لنا أنها أصبحت ثلاثة طوائف أو ثلاثة فرق. ومع العلم بأن هذه الطوائف الثلاث تنتمى بأفكارها إلى سبتاى زفى إلا أنه قد ظهر فى الأعوام الأخيرة أن هذه الأفكار أصبحت غير مؤثرة على الشباب ونسيت اللغة العبرية واللغة الأسبانية وحل محلها اللغة التركية ولكنهم استطاعوا أن يحافظوا على أصولهم اليهودية بسبب عدم تزاوجهم من الخارج .

ونتيجة لأعمال الاتحاد والترقى والمحافل الماسونية والطرق الصوفية فقد كان لها تأثير كبير مما نتج عنها ثورة عام ١٩٠٨م. كما انتسب السبتائيون إلى الماسونية وكان ذلك فى المحافل التى تأسست فى سالونيك وكانت مدينة سالونيك فى بداية القرن العشرين ذات تأثير ونشاط كبير للماسونية . وكانت المحافل

١- للاطلاع على هذا الموضوع انظر مقال بعنوان (الدونمة جماعة لاتُنسى على مدى خمسمائة عام) لايلغاز زورلى فى مجلة التاريخ والمجتمع عدد ١٠٥-١٩٩٢م.

الماسونية بمثابة الأرض التى تأسست عليها الحركات القومية للمثقفين العثمانيين.

وبينما كان هناك محفلاً ماسونيا واحداً فى سالونيك فى بداية القرن العشرين وهو محفل (ريزورتا) المرتبط «بجراند أوينتى» الإيطالى، أصبح هناك العديد بعد ذلك مثل محفل «فيرتاس» و «لابوردى لوكس» و«فيلبوس» وكان كل أعضاء محفل فيرتاس من اليهود .

وقد توصل زورلى إلى حقيقة الموقف تجاه الماسونية وهو أن اليهود ظلوا متخذين موقف الحياد فى كل الاضطرابات التى ظهرت فى الحياة السياسية العثمانية ولم يخلقوا مشكلة للدولة إلا أن الإدارة التى كانت موجودة قبل إعلان المشروطية والأزمات السياسية التى فتحت الطريق لإدارة الاتحاد والترقى كل هذه الظروف تركت تناقضًا مباشراً سواء عند اليهود أو عند السبتائية . كما أن أعضاء هذه الجماعات وخاصة الذين يستطيعوا منهم التحدث باللغة الأجنبية وجدوا اختلافًا اجتماعيًا وتطوراً فى البلدان الأوروبية التى كانت تربطهم بها علاقات تجارية. ولهذه الأسباب يمكن أن تأخذ الحادثة على إنها البحث عن أمل للنجاة والتحرر وتأكد لهم أن هذا لن يتم إلا باتخاذهم أماكن فى المحافل الماسونية.

وقد استفادوا تمامًا من الدراسة التى قام بها «باول دمونت» وكتبها باللغة الفرنسية عندما كانوا يستعدون لهذا [1] ويقول الكاتب أن الشئ اللافت للانتباه هو أن معظم من كان ينتمى إلى المحافل الماسونية فى سالونيك كانوا من المسلمين وكان على رأسهم «نجيب فاضل» الكاتب السياسى بجريدة (ينى عصر) التى كانت أفضل جريدة باللغة التركية فى سالونيك. ويستمر الكاتب فى تقديم معلومات بمثل هذا الشكل عن سالونيك والمحافل الماسونية بها. ويعتبر نجيب

١- يذكر الكاتب أنه التقى بالدكتور رفعت نبال مترجم هذا الكتاب وكان ماسونيا كبيراً وكان لقاءه معه قبل موته بفترة وقد فهم منه أن السبتائيين كانوا على علاقة بالماسونية وقال إنه لم يترجم هذا فى الكتاب وأنه كان يوجد عائقا حول إظهار الأعضاء السبتائيون الذين انضموا للماسونية فى فرنسا وغيرها فى الدول الأوروبية.

فاضل الذى تحدثنا عنه ينحدر من أسرة تنتمى إلى طائفة اليعاقبة السبتائيين. حتى أنه ألف كتابًا يدعم معلوماتنا فى هذا الموضوع .

ويعترف الكاتب أن معظم المثقفون الذين كانوا ذات هويات تركية إسلامية فى المحافل الماسونية ولهم تأثيرا ملحوظًا ، كانوا سبتائيين. ويجب أن يكون هذا أمراً طبيعيًا وذلك لأن السبتائيون كانوا قد هدموا كل مؤسساتهم الدينية فى مطلع القرن العشرين. كما أنهم رجعوا للديانة اليهودية وعاشوا حياة إلحادية غير مؤمنين بأى دين وذلك فى بداية القرن العشرين.

ويذكر الكاتب نقلا عن «دومونت» أنه فى عام ١٩٠٨م كان يوجد فى محفل «فيرتاس» خمسة عشر عضواً مسلمًا . ومنهم أسماء مشهورة جداً مثل «عثمان عادل» و«فائق نزهت» و«طلعت إسماعيل» و«نجيب فاضل» و«محمد ثروت» ونحن نعلم جيداً أن هؤلاء الأشخاص جميعًا كانوا ذوى أصول سبتائية .

ويؤكد الكاتب على نقطة وهى أن السبتائيون انقسموا فيما بينهم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وكانوا يعملون على ألا يرتبط أعضاء كل جماعة بالأخرى. ولكن المصادر تظهر لنا أن الماسونية ما إذا دخلت فى أى جماعة يكون مبدئها الأساسى هو المساواة والأخوة بين الأعضاء .

ويذكر الكاتب أن هذا الموضوع مذكور بشكل مفصل فى مقال « ثلاثة وثائق على الثقافة السبتائية) الذى نشر عام ١٩٩٤م فى مجلة التاريخ والمجتمع .

ويختم مقاله بقوله : «فى النهاية نستطيع أن نوضح أن الماسونية كانت منظمة أصبحت اجتماعية تخدم السبتائيين المثقفين الذين لم يجدوا دوراً جديًا فى الحياة السياسية حتى وقت قريب. وكانت فى الوقت نفسه جمعية لها دوراً هامًا فى القضاء على الفراغ المعنوى لهم بعد هدم المؤسسات الدينية الخاصة بهم.

والكاتب هنا يحيل الرابطة بين الدونمة والماسون إلى وجهة دينية بحتة ولم ترد له أية إشارة عن تغلغل الماسونية فى الحياة السياسية فى تركيا والدور الذى قامت به فى القضاء على السلطة العثمانية وعزل السلطان عبد الحميد وإنهاء الخلافة فى الدولة ثم التسلل إلى جماعة الاتحاديون فى تركيا .

ومن خلال مقال زورلى عن عيد انطفاء الشمعة عند السبتائيين وهو عيد يحتفل به السبتائيون كتبت عنه المصادر أنه عيد ليلى يتم فيه ذبح خروف ليلا ويجتمع فيه الرجال والنساء المتزوجون فقط وتطفئ الشموع والطفل الذى يولد فى هذه الليلة يعد مقدسا عندهم ولايسمح للعزاب التواجد فيه والكاتب فى هذه المقالة ينكر حدوثه فيقول:

« يعتبر هذا العيد عند السبتائيين من المراسم والطقوس الدينية السرية جداً عندهم وقد اهتم به الباحثون والدارسون كثيراً ممن قاموا بعمل دراسات وأبحاث عن السبتائية.

والكّتاب الذين تناولوا موضوع السبتائية وحياة سبتاى زفى وأفكاره اهتموا كثيراً بهذا الموضوع الغامض. وهذا المقال كتبه مؤرخ اجتهد فى جمع المعلومات عن هذا الموضوع من المصادر الخطية الأولى والتى أخذها من عائلة ذات أصول سبتائية وقد كانت نظرة هذا المؤرخ لدراسة الموضوع نظرة محايدة تماما وعندما فحص المبادئ الدينية عند سبتاى يتضح لنا أنه أقر للجماعة ثمانية عشر مبدأ توضح التوراة وتتوافق مع الحياة العلمية للجماعة . والقسم الذى يعنينا هنا هو المبدأ الثامن الذى أثيرت حوله مناقشات كثيرة وهو مبدأ (لاتزنى) .

يقول الكاتب : من المعلوم أن سبتاى زفى عندما كان فى منفاه فى « أوكون» أرسل أوامره إلى الجماعة فى سالونيك على يد نائبه « يعقوب كوريدو » وكان هذا سببًا قويًا فى كون يعقوب كوريدو نائبًا له وأخذ مكان سبتاى بعد موته.

ونحن اليوم على علم بتلك الظروف التى أحاطت بتلك الفترة وذلك من خلال المعلومات التى وصلت إلينا بالسماع أو التي كانت تشرح فى الجماعات بصفة عامة.

وكذا الوثائق التاريخية التى ما زالت فى أيدينا حتى الآن[١] ومن خلال هذه الوثائق والسمعيات كان هدف سبتاى زفى هو المحافظة على الوحدة والاتحاد داخل الجماعة أى داخل المائتين أسرة التى آمنت به . لذلك عاشت هذه الجماعة فى سالونيك حياة سرية منطوية على نفسها ولكن بعد ذلك انقسمت الجماعة إلى

أقسام بعد ظهور عدة اختلافات بينها فى النواحى الدينية وفى النهاية أصبحت السبتائية فى القرن الثامن عشر ثلاثة فرق هم «القارقش» و«القبانجيلر» و«اليعاقبة».

وبالتالى ظهرت اختلافات فى كيفية تطبيق المبادئ الدينية عند كل جماعة فعلى سبيل المثال كانت كل جماعة من القاراقش والقبانجيلر تستخدم اصطلاح (خاص بها) . وقد عارضت كل فرقة الفرقة الأخرى. وبمرور الوقت أصبحت هناك اختلافات وفروق عميقة بين كل فريق.

وقد كان القبانجيلر هم أصدق طائفة توافق مبادئ سبتاى زفي كما أن مسألة وجود خليفة للمسيح سبتاى بعد موته مسألة أرقت الفرق الثلاثة السبتائية. فاليعاقبة يقولون إن « يعقوب كوريدو » ارتقى إلى قدسية المسيح. وكان يتلقى الأخبار مثله بالوحى، «والقارقش» يقولون إن « عثمان بابا » هو خليفة المسيح والدليل على ذلك ميلاده بعد موت المسيح بشهور. وبعد أن كانت هذه المنازعات كلها تمثل جزءاً من الثقافة اليهودية أصبحت بينها منازعات دينية عميقة .

وكان تعليم سبتاى زفي يستند إلى المبادئ التى تخالف الحظر الذى فرضته الصوفية اليهودية بصفة عامة، كما أن معظم القواعد التى توضح مبادئ الأرثوذكسية اليهودية تستند كلها على التلمود لهذا السبب رفضت تمامًا من الجماعات الى اتخذتها مصدراً لها. أما السبتائيون فكانوا جميعًا ضد مبادئ التوراة والتلمود.

ويذكر الكاتب بأنه لايمكن أن تكون التوراة بدون «القبالا» أو «التصوف اليهودى» وكانوا يبرهنون على هذا بربط الحروف بالأعداد أى ما يسمى حساب الجمل. وهذا بالطبع كان يفتح الطريق لظهور فكر مختلف تمامًا . كما أنهم كانوا

١- فقد الساباتاتيون وثائق تاريخية هامة خاصة بهم فى حريق عام ١٩١٧م ولذلك فان معظم المعلومات عنهم تأتى لنا بالسماع. ولكن فى الخمسين عام الأخيرة أرسلت مجموعة من القبانجيلر بعض الخبراء إلى إسرائيل لكى يدرسوا بعض الوثائق بشئ من التفصيل.

يقرأون مزامير داود وكتب الأدعية والمناجاة الخاصة بهم وقد صرحوا بأشعار مناجاة خاصة بهم. وبالطبع كانت هذه الأذكار والأدعية تقرأ للمسيح سبتاى وهناك بعض الأشخاص الذين يفهمون مفاهيم القبالا على أن الحرية فيه تعنى الحرية فى العلاقة الجنسية . حقيقة إن مسألة الحرية الجنسية مسألة مليئة بالتناقضات المنطقية فى التوراة.

على سبيل المثال قضية مجامعة أبناء سيدنا لوط البنات لأبيهم هذه القضية فتحت الطريق لتفسيرات كثيرة ، حيث تناولتها التوراة على أن البنتين فعلتا هذا خوفًا من عدم حفظ النسل وكذا عندهم أيضا فى التوراة قضية العلاقة الجنسية التى قام بها داود مع المرأة التى تزوجها يفسرها رجال الدين بشكل مختلف حيث يزعمون أن الله عاقبه على أنه أنجب منها طفلاً. ومن المعلوم أن رجال الدين السبتائيين أظهروا بعض التفسيرات على هذه الحادثة. أما سبتاى نفسه فلم يأمر بكتابة شئ عن هذا الموضوع .

ثم يتحدث زورلى عن عيد إطفاء الشمعة الليلى بقوله : «إن بعض الكتب التى تتحدث عن حياة سبتاى زفى تدعى أنه حرض بنفسه على هذا الموضوع (يقصد عيد إطفاء الشمعة) إلا أن هذا الأمر لم يثبت بصفة قطعية ، وتعتبر ليلة ٢١ مارس ليلة مباركة أو ليلة عيد وذلك مثل بعض الجماعات التى تعتبره يومًا مقدسًا ويقيم السبتائيون لهذه الليلة احتفالاً . وتقول بعض المصادر أن هذا الاحتفال يتم فيه ذبح خروف لايؤكل لحمه ويختار كل شخص زوجة له ويجامعها ولكن كل هذه الادعاءات لاتعتمد على مصادر مكتوبة[١].

ويذكر الكاتب أنه قام بدراسة هذا الموضوع ووافق عليه عضواً فى الجماعة احتفل بهذا العيد قبل ذلك . فيقول : بعد أن اتخذت هذا العضو شاهداً على هذه

١- يذكر الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى كتابه «اليد الخفية» أن للدونمة صيغة خاصة من الوصايا العشر لاتحرم الزنى، وتجعل من عبارة «لاتزن» ما يشبه الوصية بأن يتحفظ الإنسان فى ارتكاب الزنى وليس أن يمتنع عنه تمامًا، انظر عبد الوهاب المسيرى ، اليد الخفية دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ١٠٠، ١٠١ .

المراسم قال لى : إن هذا الاحتفال يبدأ بحضور رؤساء كل عائلة سبتائية ويعينون لهم رئيساً ثم يذبحون خروفًا ثم يقوم هذا الرئيس بتوزيع قطعة من لحم الخروف إلى كل عائلة ولايكون مكانًا للحريم هناك ولم يقيم أى شخص علاقة جنسية. وقد كان هذا الاحتفال يقام حتى القرن العشرين ولكنه لم يُقبل ثانية أى بعد ذلك لأن أعضاء الجماعة كانوا لايشاهدون ما يحدث فى الاحتفال وقد قام «أتا أفندى» وخليل على أفندى» بالغاء هذا الاحتفال وكانا هذين التاجرين ينتمون إلى جماعة القبانجيلر وبالطبع لم يحدث أن وجدنا مصادر رسمية عن هذا الموضوع ولايوجد أى دليل قاطع فى أيدينا على أن جماعة السبتائية كانت تطبق هذا الاحتفال وبهذا يظل موضوع بحث يجب تحقيقه . وكان هذا الموضوع أيضًا هو سبب فى انطوائهم على أنفسهم أكثر. ولكن مع الأسف لم تقدم أي دراسات جدية حول هذا الموضوع . وتوصلت النتائج إلى أشياء غير علمية خارجة عن الحقيقة فقد ظهرت العلاقات الجنسية فى نظام فلسفى وإيمانى قوى وذلك لإظهار النتائج الأخلاقية فى كل النصوص. كما يجب البحث عن حقيقة هذه الادعاءات والنزول إلى الأصول الفلسفية لها وفى النهاية لن تفتح الطرق للوصول إلى نتائج علمية نظرا لعدم وجود وثائق مكتوبة واعتماد البحث على السماع فقط.

وفى مقال آخر لزورلى عنوانه : السبتائيون جاء فيه :

«كان الوقت فى الصباح الباكر وكانت الشمس على وشك الشروق، وفى هذا الوقت الذى يختلط فيه أول ضوء للشمس مع الظلمة كانت هناك امرأة مسنة تدعوا وهى دامعة العين بلغة لايفهمها من حولها، كانت هذه السيدة تؤمن بالمسيح وتفكر فى أنه سيأتى يوما سينتهى هذا الإيمان السرى الذى استمر ثلاثة قرون. ويحتمل أن تكون تلك السيدة هى الوحيدة التى تذهب إلى البحر كل صباح وتقوم بالدعاء سراً لمجئ المسيح.

هذا المقال تمت كتابته عن طريق جماعة من السبتائيين الموجودين فى تركيا. وبالطبع فقد تم شرح كل شئ يعتمد على ما عاشه الكاتب وشاهده . وبالطبع كان هدف الكاتب من هذا هو إظهار وتوضيح حادثة تاريخية بالأدلة والوثائق التى تؤيد كلامه وأنه لم يأخذ شخصًا بعينه هدفا ولم يأخذ ادعاءات بعينها هدفًا له.

ويستهل زورلى مقاله بقوله : فى البداية يجب أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنى فى هذا المقال وعلى رأسهم د. «سلجوق أرزود» ود. «جاد ناسى» و«موشية جروسمان» والمسئولون فى «معهد بن زوى» فى إسرائيل وكذا كل السبتائيون الذين لازالوا يعيشون حتى الآن. ثم يكرر تعريفه بمؤسس الجماعة وانتشارها وتأثيرها وعقائدها فيقول:

ولد سبتاى زفى فى ازمير عام ١٦١٦م لعائلة تعمل بالتجارة ، ويعتبر سبتاى مؤسس حركة دينية استمرت فى بلدان كثيرة وكان لها تأثير فى مناطق كثيرة مثل أمريكا وفرنسا والجزائر حتى اليمن ومن تركيا حتى روسيا[١].

وقد فهم والده أنه ليس لديه الرغبة فى امتهان مهنة التجارة مثل باقى أفراد عائلته وإنما هو منذ طفولته مهتم بالموضوعات الدينية وأنه سيكون فيها أنجح . وعلى هذا قرر والده أن يعلمه على يد أكبر حاخامات عصره حتى أصبح سبتاى حاخام وهو فى سن التاسعة عشرة ودرس تعاليم التوراة والتلمود جيداً. وكان سبتاى يشعر بانجذاب نحو موضوع مختلف تمامًا عن تعاليم السفاراد الكلاسيكية حيث كان يشعر بتقرب كبير إلى «القبالا» (علم التصوف اليهودى) .

والقبالا باختصار هى كل التعاليم غير المعروف بدايتها التى أظهرت أصل علم التصوف اليهودى. وكانت نظرية القبالا تعتمد على تفسير كتابين وذلك تبعا لمعتقدات مجموعة من الصوفية وهذان الكتابين هما (كتاب الأخلاق) (وكتاب الخلق) وكلها تفسيرات للتوراة . ويسمى الأول باللغة العبرية الذوخار والثانى تيزيراة وقد أثر كتاب الذوخار فى ثقافة أسبانيا بل إنه كان الطابع المميز لها. وقد أظهر كتاب الذوخار قيمة كبيرة لحساب الجمل المتتبع للأحرف العبرية وكذا عمل على إظهار أفكار جديدة مخالفة للتعاليم الكلاسيكية للفكر الدينى. ويعتبر القرن السادس عشر هو العصر الذهبى لفكر «القبالا» ولم يضطر «إسحق لوريا»

١- نلاحظ هنا تكرار التعريف بمؤسس الحركة وذلك لأن الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات المتفرقة التى كتبها المؤلف فى عدة مجلات جمعها المؤلف كما هى بدون اعادة ترتيب أو تنظيم لها ونحن نوردها كما هى.

تلاميذه إلى إضافة مفاهيم جديدة فى التوراة . وفى نفس الوقت كانوا عامل أساسى لظهور سبتاى زفى، وهو صاحب فكرة المسيح المنقذ.

ويذكر زورلى كاتب المقال أن العصر الذى عاش فيه سبتاى زفى من الناحية السياسية كان عصراً ملئ بالمشكلات الكبرى، تعرضت فيه مجموعات كبيرة من اليهود للقتل فى روسيا وأوربا الشرقية. أما الذين عاشوا منهم فقد قرروا الهجرة من هذه الأراضى . بالإضافة إلى كل هذا نجد أن اليهود استخدموا حساب الجمل على بعض أحرف «القبالا» وعن طريقها أعلنوا أن الوقت قد حان لمجئ المسيح المنقذ وانتشرت هذه الفكرة فى كل المجتمعات اليهودية كما إننا لاننسى الدور الهام الذى قامت به مجموعة من أعضاء ثقافة السفاراد التى ساعدت اليهود فى المعيشة بحرية فى الأندلس حتى عام ١٤٩٢م بل وربما هم كانوا أهم عامل فى إظهار أهم المصادر المساعدة فى التاريخ اليهودى، ثم اضطر اليهود بعد ذلك إلى الهجرة إلى الأراضى العثمانية من أجل إنقاذ أنفسهم.

وقد كانت مدينة إزمير مركزاً ثقافيا كبيراً فى ذلك الوقت وكانت أيضًا مركزًا هامًا لليهود بفضل الحاخامات الذين أنشأوا معاهد للتلمود فيها. ولايمكننا أن نتغافل وضع سبتاى زفى ذلك الشخص الذى أصبح حاخامًا فى فترة قصيرة فى ذلك المناخ الدينى، وكأن القدر قد حمل له هذه الوظيفة [1].

وقد أصبح سبتاى حاخام مفضل وهو فى سن التاسعة عشرة ومع أنه كان متعلق «بالقبالا» إلا أنه عاش حياة دينية مليئة بالمصاعب والآلام حيث بدأ العلماء يصفون حالات الوجد والنشوة التى يدخل فيها إلى أنها حالات صرع وهزيان روحى[2] وقد قرأوا كتاب الذوخار وقاموا بعمل تفسيرات جديدة ودعوا إلى

١- كانت الأساطير تُنسج فى عهد سبتاى زفى وينقل «جالانته» رواية منهم تقول إنه ثمة سفينة كبيرة ستأتى من البحار البعيدة فى انجلترا سوف يكون شراع هذه المركبة من الحرير وأن ساكينها يتحدثون العبرية مكتوب على رايتها قبائل إسرائيل الاثنى عشر.

٢- يذكر الكاتب أن سبتاى زفى كان يعيش حالات من الوجد والهيام مثل باقى الشخصيات =

التوحد مع الله ويعتقد أن حياته المضطربة كانت تعود إلى أنه عاش خارج الدولة العثمانية لفترة.

وكانوا يهدفون لإيجاد حل لهذا ، من ناحية أخرى قام «اسحاق لوريا» بالإعداد للفكر الصوفى اليهودى وفكرة المسيح المنتظر وأشاع بين العلماء اليهود فكرة حساب الجمل التى بواسطتها استطاع تحديد مجئ المسيح المنقذ وكان التاريخ الذى ظهر لهم هو عام ١٦٤٨م. واستطاع سبتاى زفى أن يعلم الناس الفكر الفلسفى المتاح لديه فى ذلك التاريخ.

وطبقًا لحساب الجمل فإن تاريخ مجئ المسيح المنتظر كان هو نفس العام الذى ولد فيه سبتاى وكان سبتاى يعتقد فى نفسه أنه هو المسيح المنتظر وأنه سوف ينقذ اليهود وسوف يذهب إلى فلسطين الأرض المقدسة لإقامة دولة اليهود فيها وقد وجد أناس كثيرون مؤمنين بدعوته .

ظهر هذا فى نفس الوقت التى ظهرت فيه الاضطرابات السياسية للدولة العثمانية. وقد كانت الدولة العثمانية تعاقب كل درويش مسلم يدعى أنه المهدى المنتظر . وفى الوقت نفسه لحقت بالدولة العثمانية هزائم متلاحقة بالإضافة إلى عصيان الجيش وبعض الولاة وخاصة فى الأناضول ، وقد أثرت هذه الظروف فى اليهود كما كان لها تأثيرها على العالم الإسلامى والنصارى أيضا. وبالطبع فإن هذا الحال المتأزم كان يتطلب وجود منقذ وهو ما فعله سبتاى زفى حيث استخدم هذا المناخ المتأزم وسيلة له فى إعلان نفسه مسيحًا . وهذا الوضع عمل على خلق أزمة جديدة كما قلنا من قبل.

= الروحية وأنه كانت تظهر له تصرفات غريبة وبالطبع فان هؤلاء الأشخاص إما أنهم قوبلوا من الناس بالاحترام الشديد أو يتصوروا على أنهم مجانين كما توجد معلومات كثيرة توضح أن هذه الحالات التى تنتاب الأشخاص الروحانيين ليست دليلاً على الجنون. فهو يتصور أن سبتاى شخص روحانى ملهم وينسبه إلى المتصوفين وهذا تفسير خاطئ.

يقول كتاب الذخار إن اليهود لن يتعرفوا على المسيح[1] عند مجيئه ولن يؤمنوا به وإنه سوف يأتي بقواعد إلهية جديدة سيكون كل شئ طبق الأصل مما حدث مع موسى في سيناء .

ولكن سبتاى لم يستطيع أن يفعل مثلما فعل موسى. لقد كانت فكرته تنصب في نقل اليهود من تركيا كما نقلهم موسى من مصر. وكان سبتاى زفي يدعى أنه يتلقى الأخبار من الله مستنداً على ذلك من التوراة.

كما أن ما فعله عندما أعلن نفسه مسيحا عام ١٦٤٨م كان يعتمد على القواعد التي حُرمت في التوراة ، وقد كانت هناك أمثلة كثيرة مثل حالة سبتاى في بلدان إسلامية من الدول العثمانية فقد ظهر درويشًا باسم نيازى المصرى حيث ادعى أنه المهدى المنتظر . ومثلما فعل سبتاى تمامًا فعل نيازى المصرى حيث استفاد من طريقة حساب الجمل. ولكن دعوته قوبلت بردود فعل عكسية عنيفة من قبل السلطة الدينية العثمانية. وقد أرسل نيازى إلى المنفى ولكنهم لم يقتلوه حيث ادعو أنه مجنون ولكن أفكاره حرمت .

وهناك بعض الآراء والمصادر تؤكد أن سبتاى زفي كان على علاقة بنيازى المصرى (تركى الأصل) وأنهما كانا يشتركان في نفس النصوص سويًا بل إن سبتاى كان يقيم في تكية المصرى أحيانًا .

وكانت الطريقة الملامتية تلعب دوراً هامًا في الحياة السياسية في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر حيث اعتمدت في كل أفكارها على أفكار ومعتقدات نيازى المصرى.

ويعتبر عام ١٦٦٤م هو أهم الأعوام في حياة سبتاى زفي حيث تعرف فيه على العالم الديني «ناثان لفى» وبالضبط كما جاء في كتاب التناخ في السفر الثاني الذي يقول إن النبي داود تعرف على ناثان. وقد قام ناثان بالتبشير بسبتاى أنه هو المسيح المنتظر.

١- في الحقيقة لم يحتل فكر المسيح أي مكانا في التوراة ولكن في التناخ توجد بعض التعبيرات الغامضة عن هذا الموضوع. إلا أنه في بعض الأقسام تعترف بأن الأنبياء منقذين .

ويتحدث زورلى عن علاقة سبتاى بالتصوف حيث يحاول التأكيد على أن سبتاى ينتمى للتصوف مستندا على نظرية وحدة الوجود التى تناولها كثير من المتصوفة ويؤكد نظريته فى توحد سبتاى مع الرب حتى وصل إلى مرتبة الكمال فجاء مقاله «سبتاى زفى الشخصية الصوفية» حيث قال فيه:

تكثف كل الدراسات التى تمت حول موضوع السبتائية كانت بمثابة أكبر حركة استمرت طوال التاريخ اليهودى، بشكل كبير حول شخصية سبتاى زفى وأفكاره على أنه مختل أو مصاب بمرض روحى. وإن هذا التصرف ظهر منه على غير توازن[١] وسوف نتناول بالنماذج التى أخذت من الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع الشخصيات الصوفية والمواقف الروحية لهم.

إن مصادر كلمة التصوف تمتد من القرن الخامس قبل الإسلام ومع أن مفهوم هذه الكلمة يحمل معانى كثيرة عند من آمن بها إلا أنه اتفق على أنها تعنى شعور وإحساس يفوق الإحساس العادى. وغريزة التصوف تتناول على أنها اضطراب يصل إلى المتعة البدنية. أما «بيامى صفا» فيوضح أن التصوف هو الإيمان بامكانية اتحاد الإنسان بالروح .

وعلى هذا يظهر أن كل الأشخاص الذين تناولوا هذا الموضوع تناولوه على أنه حركة شعورية فى الأساس وقد كان العقليون أو أصحاب المذهب العقلى هم أول الرافضين لهذا الرأى فيقول «راسل» أن كل الاعتقادات التى بُنيت على الشعور تظل فترة ثم ينبذها العقل بعد ذلك . وهذا المقال يثبت أن هناك اختلاف وتعارض بين الفلسفة العقلية وبين الشعور والأحاسيس .

إن موت مؤسسى الحركات والمذاهب يخلق عهوداً متأزمة إلى حد ما بعد موتهم. حتى الديانة اليهودية التى ظهرت قبل خمسة آلاف سنة والتى تدعوا إلى

١- أهم الكتب التى تحدثت عن سبتاى زفى وشخصيته وحركته ربطت بين أفعاله غير الموزونة وشخصيته على أنها مرض روحى.

الرب الواحد، ظهر فيها تياران فكريان. الأول فكر وتيار التوراة والتلمود والثانى فكر «القبالا» أو التيار الصوفى اليهودى. والتيار الأول كان شعاراً للرابانوت . وقد قويت شوكتها بارتباطها بفكرة كونها الصوت الوحيد الذى ينادى بالاتحاد . وأخذ شكله النهائى بالضغوط السياسية التى أضيفت بعد ذلك. وتوجد نقطة هنا يجب توضيحها وهى أن هذه الأفكار كانت تصدر بحرية تحت شعار وستار الدين وتحت تأثير التعليم السرى .

وهناك نقطة أخرى يجب توضيحها وهى أن التصوف إنما هو نقطة مشتركة بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية وتظهر نماذج كثيرة متشابهة فى الإسلام وفى المسيحية عن هذا ، وعلى هذا فإن القبالا أو التصوف اليهودى تشكل فى الحضارة الأندلسية فى مناخ كهذا . وأصبح التصوف اليهودى نقطة مشتركة بين يهود البحر الأبيض المتوسط ويحتمل أن يكون السبب فى هذا الانتشار فى كل أرجاء العالم اليهودى إنما هو على يد العالم الدينى الكبير «إسحاق لوريا» صاحب التفسير الخاص بقدسية المسيح المنتظر فى القبالا . وبالطبع أصبح سبتاى زفى المتصوف اليهودى يسير على نفس نهج إسحاق لوريا من بعده ولكنه قام بإضافة بعض التفسيرات الخاصة باليهود الأرثوذكس الأمر الذى جعلهم يغضبون منه وعملوا على هدم تلك الأفكار بعد موته .

ثم يحلل الكاتب وجهة نظره تجاه الشخصية الصوفية استنادا على نظرية وحدة الوجود فيقول يمكن للشخص أن يكتسب شخصية صوفية قبل أن يدخل إلى عالم التصوف لأن المدرسة الصوفية تعلم تلاميذها بأنهم سيكونون أصحاب الحق فقط دون غيرهم . ولأجل اكتساب الشخصية الصوفية يجب على الإنسان أن يخلص الروح من البدن ويتحد مع الواحد ويعتبر التصوف بمثابة الجسر الذى يقوم بهذه الوظيفة وهى التوحد . وحتى يستطيع الشخص أن يسير على هذا الجسر يجب أن يكون مرتبط بهدم سماته وشخصيته بالكامل لأنه سيدخل إلى عالم جديد، إنه عالم يكون الإنسان فيه مستسلم بكل شعوره وأحاسيسه ويعبر الإنسان هذه المراحل حتى يعيش فى هذه الحياة الجديدة.

ويذكر الكاتب أن سبتاى زفى كان واحداً من أهم المشتغلين بالتصوف اليهودى فى العصر الذى عاش فيه . فقد كان يعمل على تحقيق التوحد مع الله والوصول إليه مثلما تستوجب النظرية الصوفية عندهم. يا لها من سعادة له عندما رأى العشق الإلهى له وهو ما زال فى الواحدة والعشرين من عمره. لقد كان ملئ بالاضطراب لاينام يقضى ليلة مستيقظ فيضئ الله له لياليه .

ويؤكد الكاتب على صوفية سبتاى بقوله : إن كل الكتّاب الذين لايعرفون شئ عن الحس الصوفى ربطوا ما يحدث لسبتاى من نشوة بأنه مرض نفسى لقد استطاع سبتاى أن يخلص الروح من تأثير البدن واكتسب تأثير الوجود الإلهى . ويجب الإيمان بأن كل الأشخاص الذين لم ينالوا هذا لم يستطيعوا فهم هذا الوجد الحسى الجديد الذى دخل فيه هؤلاء المتصوفة . وبالطبع يجب أن ندافع عنهم ولانرضى بالقول الذى يصفهم بالجنون.

ويستطرد الكاتب تأكيده على صوفية سبتاى بقوله : إن الأمر مختلط عند هؤلاء الناس بين الجنون وبين حب الله، حيث أن المجانين لايستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم من الآلآم والأحزان والخوف الدائم من الأفكار الثابتة التى لاتتركهم قط. وهنا يكون محقق أنه نجح الصوفية فى التفريق بين النواحى الجسمانية والنواحى الخيالية.

وعلى الرغم من هذا كان سبتاى متهم بالجنون بسبب هذا التصرفات التى كانت تصدر منه. لكن على العكس فقد كانت كل حركاته تنبع من الكمال الصوفى الذى وصل إليه وكذا الأسرار التى استقاها من كتاب الذخار . وقد كانت هذه الأسرار تخص أتباع سبتاى فقط لذلك لم تتنقل إلى بقية الناس. بل إن تأثيرها الصوفى الكبير بدأ ينسى كلية بمرور الوقت .

وعندما اكتملت أداة سبتاى زفى الصوفية تم نفيه إلى البانيا وهناك عاش سبتاى حياة الزهد والفقر فى مقاطعة على البحر لم يكن يوجد بها يهودى واحد. وفى النهاية توحد سبتاى مع الرب وفقد نفسه وحتى الآن لايستطيع أى شخص أن يجد قبره، بل إن مريديه كل يوم يذهبون إلى شاطئ البحر ويقفون هناك إشارة إلى إنهم ينتظرونه .

إن اللحظات التى تقرب فيها سبتاى إلى الرب كانت هى اللحظات التى اعتزل فيها الناس واختلى بنفسه. وكل الحركات الروحية التى أظهرها فسرها مريديه على إنها شكلاً دينيا، كما أن هناك بعض التوضيحات عن هؤلاء الأشخاص الصوفية فيقال إن كل التصرفات التى يظهرها هؤلاء الصوفية إنما هى تعبير عن نهاية الكون. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك .

وبناءا على ذلك فان كل التصرفات التى أظهرها هؤلاء الصوفية مثل الاضطراب الروحى والهياج الروحى لاتصل إلى الجنون مطلقًا. وعلى هذا يُروى أن سبتاى زفى ذلك الصوفى اليهودى الذى كان أهم متصوفة عصره كان على عكس ما ادعاه المؤرخون من أنه مجنون ، بل إنه كان دليلاً على أنه رجل دين متصوف وصل إلى حد الكمال الصوفى الروحى حتى وصل به الحال إلى التوحد مع الرب. وعلى هذا نفهم أن الادعاء الذى أظهره بعض المؤرخين الذى يقول بأن السبتائية دين ظهر من الجنان إنما هو ادعاء باطل وخارج عن الحقيقة . (كما يرى كاتب المقال) .

وفى حديث للكاتب عن الجماعات السبتائية الثلاث يوضح بعض المعلومات الجديدة عنهم فيقول فى مقال آخر:

لقد بدأت ردود الفعل الإيجابية للقراء تظهر منذ أن بدأت أكتب فى موضوع السبتائية وذلك بتحريض من أستاذى الجليل وصديقى العزيز موشيه جروسمان. وبالطبع فإن تقديم موضوع مثل هذا يحتل مكانة كبيرة فى التاريخ اليهودى والثقافة اليهودية مر بضغط كبيرة حتى يتم تقديمه للقراء .

بالإضافة إلى أن هذا الموضوع وهو موضوع السبتائية لم يتحدث فيه كتَّاب يهود كثيرين وتجاهلوه تمامًا ماعدا الكاتب «كورشيم شويلم» الذى اهتم بعلم التاريخ الإسرائيلى والصوفية اليهودية وبالطبع كان تجاهل هؤلاء الكتَّاب لهذا الموضوع إنما هو نابعًا من ضرورات التوافق مع أوامر سبتاى زفى على أساس أنها اصطلاحات صوفية تابعة للقبالا أو للتصوف اليهودى .

ولم يقطع بوجود أي علاقات بين اليهود وبين السبتائيين فى أى فترة من فترات التاريخ وعن الطابع الرديكالى للفكر السبتائى الذى اتخذ على أنه فكر دينى وكان رجال الدين الأرثوذكس يعملون على رفضه. ولكنهم كانوا دائمًا يتقاسمون

هذا فى داخل عنصرين . وأهم نقطة هنا هى محافظة السبتائيون على أواصر الدم بينهم بعدم تزاوجهم من الخارج حتى بدايات القرن العشرين.

وقد ظلت التطورات التى ظهرت بعد موت سبتاى زفى غامضة لفترة طويلة. وعلى هذا القدر قبلت الشائعات والأساطير عنه وبدأت تنتقل بينهم من نسل إلى نسل .

وقد ظلت هذه الأقاويل والأساطير عالقة بأذهان الرجال الكبار فى الجماعة بصفة عامة.

أما الجماعات التى ظهرت بعد موت سبتاى زفى . فإن كل الوثائق عن البناء العقائدى للجماعة كان غير موجود بسبب حريق سالونيك عام ١٩١٧م. حيث أنه تم حرق قسم، والقسم الآخر الذى تبقى أرسل إلى إسرائيل ، والقسم الآخر موجود عند بعض العائلات السبتائية يعملون فى الأرشيف الإسرائيلى . وهذا الموضوع لايحتل أهمية فى التاريخ اليهودى فحسب بل في التاريخ الأوربى والتاريخ التركى أيضا.

ويقول كاتب المقال ينبغى ألا ننسى أنه مهما كانت الحضارات مختلفة اليوم فاننا يجب علينا أن نبذل جهوداً فى التقارب بينها. ولكن مع الأسف فان الوضع الراهن فى تركيا الآن يعوق هذه الدراسات.

ويستطرد الكاتب قوله عن شخصية سبتاى زفى على أنه رجل دين متصوف ادعى أنه المسيح المنقذ، وهذه الفكرة بدأت مع «إسحاق لوريا»، ادعى سبتاى أنه سيحمل اليهود إلى الأراضى المقدسة. وقد ساعده على انتشار حركته بسرعة تلك التطورات الاجتماعية السلبية التى ظهرت بين الجماعات اليهودية فى ذلك العصر وبمرور الوقت أصبحت له جماعة لها رأى وتأثير. وكانت هذه الطائفة التى آمنت به تقدر بمأتين عائلة ويزعم بعض الباحثين أن طائفة يهود السفاراد فقدوا سلطتهم الدينية بسبب هذا الموقف .

والأساس الذى يعتمد عليه الحزب السبتائى هو كتاب التناخ ويقول سبتاى أن ظهور هذه الجماعة له أساس فى بعض الآيات فى سفر أشعيا فقد جاء فيه: «لو كان شعب إسرائيل مثل زبد البحر فان بقية منهم ستعود» ويرى السبتائيون أنهم هم هؤلاء البقية التى اصطفاها الله من اليهود . وكان إيمانهم بالله واستنادهم إلى

كتاب «القبالا» . وكانوا يستخرجون المفاهيم الدينية الجديدة من التوراة بمفاهيم «القبالا» . وعندما أسلم سبتاى ظاهريًا تم نقله إلى مدينة «اولجون» التى لايعيش فيها حتى يهودي واحد وذلك بأمر شيخ الإسلام «وانى أفندى» حتى يحد من نشاطه قليلاً . وقد أمر سبتاى أتباعه بأن يقيموا فى مدينة سالونيك . وهناك انقسمت الجماعة إلى ثلاثة فرق لكل فرقة زعيم دينى لها. وكان الزعيم السرى لهم جميعًا هو «يعقوب كوريدو» الذى كان نسيب زفى فقد كان هذا هو الرباط بينه وبين الجماعة . وبالطبع كان زفى في أواخر حياته يعتمد على فكر الردة عن اليهودية. حتى أن الرسالة التى كتبها إلى الجماعة اليهودية التى تعيش فى يوغسلافيا كانت تشكل ماهية الكتاب التعليمى الدينى لهم فى تلك المنطقة.

بعد ذلك يتحدث الكاتب فى مقاله عن المجموعات التى انقسمت بعد موت سبتاى بقوله : فى عام ١٦٧٦م ألغيت المشيخة وأصبحت كل الجماعة تعيش فى اضطراب ، ومع أن مجموعة من أعضاء الجماعة قالوا بضرورة العودة إلى الديانة اليهودية وبدأوا يعيشون فى سالونيك بمصطلح وفكر دينى جديد بزعامة «يعقوب».

إلا أن بعد اعتلاء «يعقوب كوريدو» الزعامة للجماعة، بدأت تظهر بعض المعارضات من بعض الأعضاء بل إنه ظهرت منافسة له على السلطة وإدارة الجماعة. وكانت القرارات الدينية تصدر من قبل رجال الدين بصفة عامة. ومع أن أساس عقيدتهم كان مبنى على كتاب التناخ إلا أنهم تركوا أماكن المصادر المساعدة مثل التلمود إلى كتاب القبالا . ولهذا ظهرت بعد فترة قصيرة اختلافات واضطرابات بين أعضاء الجماعة ومن هنا بدأت أحداث تعاش بين أعضاء الجماعة فى نهاية حادثة لانعلم بالضبط سببها .

حتى أن مجموعة التفت حول رجل يسمى «مصطفى جلبى» هذه المجموعة انفصلت عن مجموعة «يعقوب كوريدو» . ويعقب الكاتب على هذا بقوله : إن هذه الفترة عاشت فيها السبتائية مختلفة عن بعضها البعض وأن تأريخ هذه الفترة انتشر بواسطة السماع من جيل إلى جيل وبمرور الوقت بدأت كل جماعة لاتعترف بتقاليد الجماعة الأخرى وكانت حياتهم فى سالونيك منغلقة تمامًا على أنفسهم.

وكان أى شخص لايستطيع أن يعرف أسرارهم . وقد قام «رشدى بك» وهو من جماعة القاراقش بإفشاء قسمًا من المعلومات التقليدية فى بعض المؤسسات النشرية فى تركيا عام ١٩٢٤م. وفى نفس الوقت الذى كان فيه رشدى قارقاش يتحدث عن هذه المعلومات قام « أحمد أمين يالمن» بالأمر بوضع وإقرار القواعد الإيمانية لليعاقبة حيث كان هو المدافع عنهم

وفى نفس الوقت تم الإفصاح عن عادات القبانجيلر فى جريدة «صون ساعت» على نفس الشكل. وبالطبع تم الانتباه أو الاهتمام بهذه المصادر عند الاستعداد لهذه المقالة . وهنا يكون محققًا أن كل جماعة منهم استخدمت تعبيرات ضد بعضها . حتى أن العلاقات فيما بينهم كانت قليلة بدرجة يستطاع أن يقال عنها إنها غير موجودة .

وكان اليعاقبة يستقرون فى مكان يسمى « يلان مرمرى » فى سالونيك أما بقية الجماعات الأخرى فكانت تعيش فى أماكن مختلفة وعندما تمت مبادلة عام ١٩٢٤م اتخذ مدافن غير المدافن التى كان يستخدمها بقية الجماعات السبتائية. وأكبر دليل على ذلك هو عدم وجود أى قبر لأى شخص يعقوبى فى مزار « بلبل دره سى» فى اسكدار .

وفرقة اليعاقبة كانت تتألف من فرقتين أساسيتين: هما الأغنياء والفقراء . وكانت العلاقات بينهما قليلة جداً . وكانت الطقوس الدينية لهم تتم بواسطة قراءة بعض الأدعية والمناجاة باسم « يعقوب كوريدو » وكذا قراءة بعض الأدعية باللغة العبرية كما هو الحال فى بقية الجماعات اليهودية. وكان الذى يقوم بقراءة هذه الأدعية رجال دين يعرفون باسم «باى تان» . أما بخصوص عادة الملبس عندهم فيتضح لنا أنهم كانت لهم عادة خاصة منها على سبيل المثال الرجال يقومون بحلق شعورهم بالماكينة [1]. وكانت أسرار الجماعة تعطى للأطفال فى أول ليلة من زواجهم وعلى هذا الأساس كانت تتكون حياة عائلة الجماعة.

١- كانت تلك الجماعة يطلق عليهم «ارابادوس» أى الحليقون النظفاء لأنهم يحلقون شعورهم تماما بينما يرسلون لحاهم ، وكان الأتراك يسمونهم «الطربوشلو» أى لابسى الطرابيش . عبد الوهاب المسيرى ، مرجع سابق، ص١٠٢ .

كما أن اليعاقبة كانوا يحتلون مراتب عليا فى إدارة الدولة الاقتصادية وكانوا يعرفون بالللبس الخاص الذى يرتدونه . ومع أن مدحت باشا انتبه إلى هذا عندما كان واليًا على سالونيك إلا أنه لم يضطرهم إلى تغيير شئ من عادتهم تطبيقا لنظام الدولة فى حرية الأديان. وكان اليعاقبة هم أكثر فرقة سبتائية تؤمن بالشبه والتشابه. وقد تأثروا كثيراً بالملامتية فى فكرها . كما وجدوا مساعدة مادية ومعنوية من الطريقة البكتاشية والمولوية. وكان «حمدى بك» رئيس بلدية سالونيك من اليعاقبة . وعندما كان «يعقوب كويدو» يعيش كان يعطى أهمية خاصة إلى مسألة التقرب من المسلمين.

وكان اليعاقبة يرون أن بقية الجماعات السبتائية هم أقل منهم درجة فلم يتقربوا إليهم. ومن المعلوم أنهم أثروا فى الحركات الفكرية فى سالونيك . وكان أول رجل اجتماعى يظهر بينهم فى سالونيك هو د. شفيق حسنى وكان عضواً فى الجماعة. وبالنظر إلى بقية الجماعات السبتائية الأخرى يتضح لنا أن اليعاقبة كانت أسرع منهم جميعًا. وقد أسسوا مجلة فى سالونيك باسم (غونجة الأدب) أو برعمة الأدب. وظهرت فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وقد كانت السنوات الأخيرة فى القرن التاسع عشر هى بداية النهاية لهذه الجماعة بالإضافة إلى التزاوج الخارجى الذى قام به الشباب الذين ذهبوا إلى أوربا للتعليم كل هذا عمل على التعجيل بالانقسام فى الجماعة .

وعندما ذهبوا إلى استانبول عام ١٩٢٤م ظلوا مختلفين عن بقية الجماعة ومع أنهم كانوا يقيمون فى منازل قريبة من بعضها إلا أنهم لم يتحدثوا مع بعضهم البعض . وكان لهم مزار خاص فى «فريكوى» وكانوا يبيعون ويشترون فى أماكن خاصة بهم. ولأن اليعاقبة كانوا يهتمون بالتعليم منذ أن كانوا فى سالونيك فقد فتحوا المدارس الخاصة. وكانت مدارسهم فى استانبول كثيرة مثل مدرسة «فيزى بك» ومعاهد «البوغاز» . ومع أن اليعاقبة كانوا أصغر جماعة سبتائية من حيث العدد فانهم لم يقيموا أية علاقات مع الجماعات الأخرى. وبعد موت «كوريدو» انغلقت هذه الجماعة على نفسها تمامًا. وكانوا يتخذون تعاليم سبتاى زفى إلى

جانب تعاليم «القبالا» مبدأ لهم فى تعاملهم اليومى. وكانوا يعيشون فى مناخ دينى تمامًا .

ثم يتحدث الكاتب عن سماحة الدولة العثمانية فى معاملة أهل الذمة فيقول: إن هناك نقطة يجب توضيحها وهى أن هذه السرية التى أظهرها اليعاقبة والسبتائية ظهرت بسبب التسامح الذى أظهرته الإدارة العثمانية . بالإضافة إلى سماحة الدولة لهم بقراءة أذكارهم وأدعيتهم باللغة العبرية وهو عالم لم يرى اهتمام فى أى دولة أخرى مثلما رآه فى الدولة العثمانية.

بعد ذلك ينتقل الكاتب للحديث عن جماعة القاراقش والمشاكل التى واجهتها الجماعة فبعد وفاة سبتاى بتسعة شهور ولد طفلاً باسم «باريوخ» (عثمان بابا) هذا الطفل أظهر اهتمامًا وقابلية منذ الصغر بالعلوم الدينية[1].

وظلت مجموعة من الفرقة السبتائية يتحيرون جداً لما يقوم به هذا الطفل من أعمال وكذا استعداده لحل مشكلاتهم وبدأت الإشاعات تدور حول هذا الولد بين هؤلاء الأعضاء . وقد آمنوا إنه يحمل روح سبتاى زفى. لأنه ظهر بعد غياب زفى بتسعة شهور . أما اليعاقبة فيؤمنون به على أنه خليفة للمشيخة. وبالطبع ازدادت هذه المنازعات حول هذا الطفل باريوخ بعد موته .

وبعد أن تم دفن باريوخ ادعى بعض الأشخاص بأنه لم تظهر له رائحة لأنه فى موقف المسيح . وأصر شخصًا يدعى «حسن جلبى» بأن يفتح القبر وفتح القبر وعندما ظهرت لهم رائحة التعفن من القبر صاح هذا الرجل «حسن جلبى» وقال : إن هذا ليس المسيح ومن هنا ظهر خلافًا كبيراً استمر لفترة طويلة حيث انقسمت الجماعة إلى قسما آخر عام ١٧٢٠م. وبهذا أصبحت السبتائية تنقسم إلى ثلاثة فرق «القاراقاش» وهم أتباع «عثمان بابا» وهم يؤمنون به و«اليعاقبة» وهم أتباع «يعقوب كوريدو» و«القبانجيلر» وهم الذين يؤمنون بسبتاى زفى فقط دون غيره .

١- قام باريوخ أو باروخيا روسو بتعليم التوراة المسيحانية الخفية أو توراة التجليات التى تطالب بقلب القيم حيث نادى بايقاف العمل بالستة وثلاثين حظرا التى وردت فى التوراة، كما تضمنت تعاليمه العلاقات الجنسية والعلاقات بين المحارم. انظر عبد الوهاب المسيرى، مرجع سابق، ص١٠٢ .

بالطبع فإن ظهور مثل هذا التقسيم عند السبتائية أدى إلى وجود حالة درامية عاشتها العائلات هناك حتى أنه لو كانت هناك أختين من عائلة واحدة منهما تزوجت بشخص سبتائي مختلف في تبعيته عن الشخص السبتائي الآخر كانت الأختين تنفصلان عن بعضهما .

ويؤكد زورلي أنه شاهد بنفسه عندما كان يعمل دراسة عنهم عام ١٩٩٤م شجرة عائلة بها هذا المنظر الدرامي .

ويوضح الكاتب إن القاراقاش يؤمنون بأن «عثمان بابا» له علوية وقدسية المسيح. حتى إن «عثمان بابا» أظهر نشاط ديني كبير بين الجماعات اليهودية الموجودة في أوروبا . كما أن العائلات التي كانت على علم ديني قوى كانت كلها في جماعة «القاراقاش» وربما كان هذا هو السبب في وجود طقوسهم الدينية حتى اليوم.

أما اليعاقبة فهم على عكس ذلك حيث يبدأون في إعطاء أطفالهم أسرار الجماعة عندما يصلون إلى سن الثالثة عشرة . وزواجهم يتم داخل الجماعة فقط. وعند القاراقاش يُطلق لفظ «أوجان» على رجل الدين وعندهم المراسم الدينية تتم في مكان خاص ومختلف . والارتباط الذي تظاهروا به تجاه الإسلام إنما كان تظاهراً فقط على عكس اليعاقبة .

ومن الناحية الاقتصادية لايستطاع أن يقال إن القارقاش تطوروا أكثر من غيرهم ولكنهم مع نهايات القرن التاسع عشر بدأوا يتطورون في مجال الطباعة والتجارة. كما أنهم قاموا بفتح مؤسسات هامة وكبيرة في المجال التعليمي . حيث انشأت المدارس التي تسمى (فيزتية مكتبلري) وكانت قد تأسست بالمساعدات التي قام بها أعضاء الجماعة .

وقد كان الصحفي «عثمان نوري» هو أول من فتح النار على الأعداء في إزمير وكان من هذه الجماعة . ومن عاداتهم أن يسمون أول طفل يولد لهم ذكر باسم «عثمان». وقد كان «جاويد بك» ناظر المالية والعضو البارز في الاتحاد والترقي من هذه الجماعة. ويُطلق القبانجيلر على القاراقاش لقب ذوي الطرق العشر» حيث توجد ادعاءات بأنه توجد عشرة عناصر دين آخر مخالفة لمعتقداتهم . واليوم تعتبر أكثر الطرق السبتائية موافقة لمبادئ سبتاي زفي والطقوس الدينية له هم القارقاش.

وتقرأ فيما بينهم الأدعية باللغة العبرية واليونانية واللاتينية . خاصة أنهم أسسوا علاقات مع السبتائيين الموجودين فى أوروبا .

ثم يتحدث الكاتب عن المجموعة السبتائية الثالثة وهى القبانجيلر[1] بقوله : إن القبانجلر بعد أن انفصلوا عن القارقاش كانوا يشكلون أكبر الفرق السبتائية عدداً من حيث الأشخاص . ومع أنهم أظهروا نشاطًا وتأثيراً فى المراكز الأوربية فى القرن الثامن عشر إلا أنهم بدأوا يفقدون قوتهم وتأثيرهم. ومع أن القبانجيلر كانت فرقة انفصلت عن القاراقاش إلا أن العلاقة بينهما كانت أكثر إيجابية بالنظر إلى اليعقابة فقد كانوا قريبين من بعضهما فى أماكن إقامتهم فى سالونيك وكانوا يخاطبون بعضهم بلفظ (الجار) . كما أظهر القبانجيلر تقدمًا فى الصناعة والتجارة أكثر حيث كان يوجد بينهم العاملين فى المصارف المالية وفى التجارة. وبدأ القبانجلير ينفتحون على العالم الخارجى أكثر فى القرن التاسع عشر. وذلك عن طريق الاهتمام بالمجال التعليمى حيث كان المتصوفة اليهود المشهورين فى سالونيك من طائفة القبانجيلر . ومن الناحية العقائدية فقد شكلوا أكثر الجماعات تأثراً وتمسكًا وتطبيقًا لمبادئ سبتاى زفى كما كانوا أكثر الجماعات إيمانًا به .

ويختم الكاتب حديثه عن هذه الفرق الثلاثة بقوله : إنه بحريق عام ١٩١٧م فقدنا كل الوثائق التى تورخ المعتقدات الثلاث لفرق السبتائية وعندما حدثت المبادلة التركية واليونانية عام ١٩٢٤م أتى السبتائيون إلى تركيا وتوزعوا على المدن الكبرى وعلى رأسها استانبول وإزمير . وكانت فرقة اليعاقبة فى تلك الفترة على وشك الانهيار . أما القبانجلير فقد قام عضواً إداريًا بها باقتراح الهجرة إلى أمريكا. فى الوقت الذى ذهبت فيه بعض العائلات القبانجيلرية بالفعل إلى أمريكا الجنوبية بهدف التجارة. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا الآمال المرجوة لهم هناك فعادوا مرة أخرى وصرف الباقون نظرهم عن السفر .

١- قبانجى كلمة تركية تعنى القدماء أو القائمون على حراسة الأبواب.

أما القاراقاش فمع أنهم لم يستطيعوا حماية قواهم القديمة إلا أنهم كانوا بمثابة الجماعة الوحيدة التى نجحت فى العمل على استمرار البناء الداخلى لجماعتها . ولاتزال طقوسهم تقام فى الأماكن السرية. إلا أن الأشخاص الذين كانوا يعملون بمفاهيم «القبالا» كان قد قل عددهم جدا. ومع أن السبتائية حركة قامت وانتهت على الأراضى التركية إلا أنها انتشرت انتشارا كبيرا فى كل الجماعات اليهودية فى العالم. ويؤكد الكاتب أن منهم من يعيش الآن فى أمريكا وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا وهولندا وذلك لأن كل عائلات السبتاذية هاجرت من سالونيك إلى أمريكا وأوربا وامتزجت بالجماعات اليهودية هناك.

وعندما أعلنت إسرائيل نفسها دولة رسميا عام ١٩٤٨م هاجر إليها بعض السبتائيون وحصلوا على الجنسية اليهودية الإسرائيلية . ولم تكن اللغة والثقافة عائقا لهم فى معيشتهم هناك. ولكن طبقا للمصادر الرسمية تقول إنه ليس معلوم بالضبط إن هذه العائلات كانت من السبتائية أم لا .

ويؤكد الكاتب أيضاأن «اسحاق بن زوى» رئيس جمهورية إسرائيل قام بعمل حوارات كثيرة بين السبتائيين وبين رجال العلم والدبلوماسيين الإسرائيليين أثناء توليه الحكم. كما قام «شوليم» بعمل بعض الدراسات عن عائلات سبتائية تعيش فى تركيا . وكل الوثائق السرية المحفوظة فى أرشيف اسرائيل تحمل خصائص هذه البيانات . وفى ختام مقاله هذا يعلن عن أسفه أنه على الرغم من أن السبتائية تمثل جزءا هاما من الثقافة والحياة والتاريخ اليهودى إلا أنها حتى الآن تعد من الأشياء الغامضة .

وفى مقال آخر بعنوان : «فى عالم التصوف اليهودى» يقول الكاتب:

«سأقوم الآن بعرض معلومات هامة كنت قد تناولتها فى مجلة «ترياقى» وستكون هذه المعلومات عبارة عن رحلة أو سياحة داخل هذا العالم الخفى السرى وهو عالم التصوف اليهودى . وسوف أقوم من خلال هذه الرحلة بتقديم هذه الأسرار عموما ولكن بتفسير سبتائى. وأتمنى أن تكون لكم أسئلة ومقترحات فى هذا المجال . وسأكون مسئولا عن توضيح بعض الأشياء وبعض التفسيرات لكم وأقوم بتناولها من جديد فى هذا الموضوع . فمنذ فترة طويلة والدراسات تقدم عن السبتائية سواء فى تركيا أو فى الدول الغربية ولكن مع الأسف ظهرت لى مشاكل

وعوائق بخصوص التفسيرات والنتائج العلمية التى تناولها الدارسون والباحثون وعلى هذا يكون الهدف دائما هو إظهار أن السبتائية واقعة حدثت فى الماضى وما زالت موجودة ويجب أن نعلم بهذا التوضيح أن الشمس لايمكن لها أن تحجب ولا الحقائق العلمية تمنع . وأتمنى عند نشر كتابى المتعلق بهذا الموضوع بعد فترة بسيطة أن تظهر تلك الطقوس والمعلومات التى ظلت سرية تماما وغير معروفة عند الكثير».

بعد ذلك يوجه الكاتب شكره لأساتذته وأصدقائه الذين ساندوه فى أعماله ودراساته فى هذا الموضوع وعلى رأسهم «موشيه جروسمان» ود. «مته طونجاى».

ويعتقد زورلى أن أساس التصوف اليهودى الذى استند على مبدأ الوصول للكمال والنضج الروحى للإنسان هو كتاب «القبالا» . كما أن ظهور هذه الفلسفة التى خلقت اضطرابا كبيرا فى المكان والزمان الذى ظهرت فيه كانت تستند إلى مجموعة من الأسرار غير المعروف بدايتها بالضبط . وقد كان كتاب القبالا لفترات طويلة مبدأ الاعتقاد الدينى عند الأرثوذكس وكان فيه شئ من الاستقلالية . ولم توضح بالضبط مفاهيمه العميقة التى تركت لرجال الدين الذين وهبوا حياتهم لهذا فكان تفسيره وشرحه مسئولية تقع على عاتقهم لذلك أصبح بمرور الوقت نقطة كبيرة لاترفض . وقد ظهر بعض رجال الدين الذين أدخلوا مصطلحات جديدة وتفسريات جديدة على «القبالا» والتوراة مثل «راف أبو العفيا» وبعده «اسحاق لوريا».

ويقول زورلى إنه طبقا للاعتقاد الصوفى اليهودى فانه يوجد نوعين من التوراة النوع الأول هو التوراة التى نزلت على موسى فى سيناء وهذه يستطيع أى شخص أن يفهمها . والثانية ، التوراة العليا وهو كتاب نزل على الأشخاص الذين يستطيعون أن يفهموه فقط وقد أرسلها «راف» إلى رجال الدين الحقيقيين الذين يستطيعون فهمه. وأتباع «القبالا» يقولون بأن التوراة الثانية هى الأصل عندهم وهى المصدر .

ثم يتحدث عن التصوف اليهودى بقوله إن «القبالا» تستند على مبدأ يختلف عن كل أنواع التصوف الأخرى ، فعلي سبيل المثال فان الفلسفة الأساسية فى كل

المجتمعات الصوفية ذات الأصول الشرقية كلها تعتمد علي مبدأ البذل ولأجل تحقيق هذا يجب التخلص من النفس تماما. أما التيار الصوفى الغربى فهو يعتمد على الماديات أكثر وتوجد بها جماعات مثل جماعة «الصليب المعقوف» وغيرها توضح الأهداف الرديكالية فى المجال السياسى والاقتصادى وقد اجتمعوا حول فلسفة هى فى حد ذاتها امتداد للماسونية.

وعلى هذا يكون التصوف اليهودى قد اتخذ جسرا بين المنهجين الغربى والشرقى، كما أنه يعتمد على مبدأ التوازن بين مبدأ الأخذ والعطاء. ويفهم أو يدرك شكل المعيشة فى داخل هذا الأساس. ومبدأ الأخذ من أجل العطاء يفتح الطريق إلى خلق مبدأ مختلف تماما فى التصوف اليهودى. ومع أن هناك ظاهرة مشتركة للظواهر التصوفية الكثيرة إلا أنه لايمكن إغفال تأثيرات «راف أبو العفيا» فى القرن السادس عشر. ويحتمل أن هذا الشخص كان أكثر الأشخاص تأثيرا فى التصوف اليهودى .

وكان «لوريا» رجل دين عاش فى «زفات» وقضى سنوات طويلة في بولندا ثم انتقل إلى مصر. كما أنه يعتبر ممثلا للثقافة المصرية التى احتلت مكانا هاما فى التصوف اليهودى. كما أن التأثيرات التى أضيفت لكتاب القبالا شكلت اعتقادا بأن المسيح المنتظر الذى سيخلصهم اكتسب سمة مختلفة تماما عن ما هو عليه. وقد كان سبتاى زفى امتدادا لهذه الحركة وهذا الفكر بعد أن أضاف تفسيرات جديدة على «القبالا» أدت إلى التعرف على اتجاهات فكرهم «القبالى» بعد توضيح بين «لوريا» و«زفى» وأصبح كتاب «القبالا» يتكون من كتابين رئيسين هما كتب سفر الذخار (كتاب الأخلاق) وكتاب سفر يتندهار (كتاب الخلق) ونحن نرى أن هذا المصادر تعتمد على الثقافة الشرقية. وهناك بعض الشكوك حول موضوع المصادر اليهودية. وقد تمت كتابة كتاب الذخار باللغة الآرامية. وفيه تم تناول الموضوعات الدينية على شكل المصاحبات الدينية من ناحية مختلفة . وبالطبع رفض الأرثوذكس هذا الكتاب على القبالا وذلك لأنه قد وضحت فى الدراسات التى تمت فى الثلاثين عام الأخيرة، خصوصا أنه مصدرا يجب عدم

إغفاله قط. ولهذا السبب توجد أمامنا حقيقة لايمكن الشك فيها وهى ضرورة وجوب تناول موضوع العصر الذهبى للقبالا فى تركيا بالنسبة لرجال الدين اليهودى.

وفى مقال آخر لزورلى عن «التيار اللورى والمسيح عند القبالا»[1] يتحدث فيه عن تأثير إسحاق لوريا ونظرياته الفلسفية فى فكر سبتاى ونظرته إلى المسيح عيسى عليه السلام عنده فيقول:

إن موضوع المسيح واحداً من أكثر الموضوعات إضطرابًا وتعقيداً فى اليهودية. والسبب فى هذا هو مبدأ السرية الذى احتل مكانا فى جوهر المصطلح . حتى أن الديانات التى أتت بعد اليهودية أظهرت اعتقادات خاصة من هذا المصطلح.

فقد ادعى النصارى أن عيسى هو المسيح الذى ينتظره اليهود وقد أخذوا يظهرون دلائل من كتابهم على هذا. كما أن الذين تعقبوا عيسى وضعوا قواعد وأسس دينية بمساعدة الآيات التى فى سفر إشعيا والمزامير . أظهروا فيها أن عيسى نفسه كان يهوديا .

وموضوع المسيح يظهر فى كتاب «التناخ» على أنه أول الموضوعات فى المزامير. ويوضحون أن داود كان مسيحا. ورسوله كان «ناثان» . والمصدر الذى يقول بأن المسيح سيأتى من نسل داود ويقول سفر صموئيل الأول فى ٢ / ٣٥-٣٦ أن الله سيظهر مسيحا.

وفى إشعيا فى السفر الحادى عشر من الآية ستة إلى عشرة بعض التوضيحات التى توضح عصر المسيح وكيف سيكون حال الدنيا فيه فيقول إنه سيكون عصرا ملئ بالأمان حيث يعيش الثعلب مع النعجة بلاخوف وكذا الأسد مع الظبى وكل هذه التوضيحات تناولها دانيال فى كتابه فى القسم الثانى عشر حيث عبر عنها بتوضحيات غامضة جدا . يقول (يا دانيال ، اخف هذه الكلمات حتى وقت النهاية فسوف تكثر منازعات بعض الرجال وسوف تكثر العلوم. ومن هذه المعلومات التى

١- يقصد الكاتب بالتيار اللورى أى التيار الذى يعتمد على تعاليم الفلسفى اليهودى «إسحاق لوريا».

قرأناها يتضح أن هناك وقتا للنهاية . وفى هذا الوقت سيكون الثعلب والنعجة إخوة) . إن هذا الموضوع الذى تناوله كتاب التناخ بشئ من السرية والغموض لم يكن متأخرا عن لفت إنتباه المتصوفة اليهود. وبالطبع جاء «لوريا اسحاق اشكيناز» الذى عرف بأنه «أسد السفاراد» فى القرن السادس عشر وهو العصر الذى تشكلت فيه الصوفية اليهودية حيث قام هذا الرجل بتشكيل التصوف اليهودى كاملا لهم فى ظهور المسيح الذى سينقذهم.

أما عن نظرية إسحاق لوريا فى الخلق فيذكر زورلى أن إسحاق لوريا يرى (أن العالم فى فى بداية تكوينه لم يأتى إليه الله فى شكل مباشر لأن العالم لايستطيع مقاومة نور الله وإنما أرسل الله نوراً بسيطا إلى الدنيا. وقد كان هذا النور أو الضوء كبيراً وقويًا . ولأن المادة لم تستطيع تحمل هذا الضوء فى الرجوع إلى مصدره الأصلى وبقى منه ٢٦٨ جزء التصق بالمادة على الأرض وأخذ شكل القشور والصدف وبالطبع هذا الضوء الإلهى الموجود فى القشور يحتاج إلى حادثة إصلاحية كبرى حتى يرجع إلى مصادره الأولى «والذى سيفعل ذلك هو المسيح المنقذ» .

ويرى أيضا أن المسيح المنقذ الموجود فى «التناخ» يختلف إلى حد ما مع مسيح التصوف اليهودى. وذلك لوجود تداخل بين ثقافة مجتمع الشرق الأوسط الذى هو متمثلا فى مصر وظهور موسى منها وحضارة الشرق الأقصى. وعلى أى حال فإنه سواء حضارة الشرق الأقصى أو الحضارة اليونانية فإن وجود تأثير الحضارة المصرية على كل تلك النصوص قائم .

بالإضافة إلى أن كل الكتب التى كتبت بعد التناخ مثل القبالا والتلمود والمشنا كلها كتبت فى نطاق ثقافة السفاراد . وإنه عندما يحين وقت النهاية الذى سيفقد فيه اليهود شخصيتهم وخصائصهم سيكون هذا الوقت هو أكثر الأوقات العصيبة بالنسبة لهم حيث إنهم سوف يتعرضون لمذابح وكوارث عديدة وقد تم شرح كل هذه الكوارث والمذابح على نفس الشكل فى كتاب التناخ .

وعن نشأة إسحاق لوريا يقول زورلى إنه ولد فى بولندا وانتقل إلى الشرق

الأوسط وبالطبع كان ظهور هذا الرجل دليلا على كل المظالم والمذابح التى واجهها اليهود فى وسط أوربا وفى روسيا. ولذا فان فكرة المسيح المنقذ التى ظهرت فى كتاب القبالا ستكون نهاية لأوامر إلهية طبيعية للغاية.

وعن مسيح اليهود يذكر زورلى أن إسحاق لوريا يرى أنه قبل نزول المسيح سيعيش اليهود عصرا يكثر فيه البغض والكراهية من قبل المسيحيين. وبالطبع سيستجيب الله لدعوات اليهود والمظلومين وسوف يرسل لهم المسيح المنقذ الذى سيحمل بنى إسرائيل إلى النجاة ويؤسس لهم دولة إسرائيل الكبرى، وهذه ستكون بداية النهاية. وبالطبع فتح هذا الطريق أمام بعض الناس لتقمص دور المسيح عدة مرات عبْر العصور . وقد لقى هؤلاء قدسية خاصة عند اليهود. ويذكر لوريا أن المسيح الذى ينتظره النصارى تتناول عيسى على أنه روح- الأب- المقدس وأنه مقدس وفى العهد الجديد يطلق عليه أحيانا أنه هو الرب وبالطبع هذا المفهوم للمسيح عند النصارى مختلف تماما عن المسيح عند اليهود وذلك لأن داود يمثل عندهم بشرا.

ثم يختتم مقاله بقوله لقد رأيت فى أمريكا قبل فترة قصيرة مجموعة تمثل آخر تطور للفكر أو الحركة المسيحية. وهذه الجماعة تؤمن بأن زعيمهم الحاخام العجوز يسيكندسون» هو المسيح، وقد كانت حركة سبتاى زفى هى الحركة التى بدأت متأثرة بفكرة المسيح.

وعن فكرة المسيح عند اليهود يذكر زورلى فى مقال له بعنوان : «المسيحية عند السبتائية وسبتاى زفى».

ويبدأ مقاله بقوله : يذكر الدكتور «جيرشوم شوليم» الباحث والمتخصص فى علم التصوف اليهودى أن حركة سبتاى زفى التى ظهرت فى القرن السابع عشر هى أكبر حركة مسيحية ظهرت بعد انهيار المعبد الثانى .

ويؤكد أن كلمة المسيح تعود إلى «إسحاق لوريا» الذى استند فيها إلى مفاهيم كتاب «القبالا» أو كتاب التصوف اليهودى حيث قال إنه هو المسيح المنقذ الذيأزصبح أملا للشعب اليهودى وقد فهم أناس كثيرون أن «لوريا» مرسلا لهم وبدأوا ينتظرون نزول المسيح بعد وفاة لوريا.

وفى تلك الأثناء كانت طوائف الإشكيناز اليهودية تعيش حياة المذابح وذلك فى العهد الذهبى للقبالا. وكان هناك مئات الآلاف من اليهود يموتون ويقتلون على يد القازاق فى روسيا وبولندا وفى تلك الأثناء أعلن سبتاى زفى الإزميرى نفسه مسيحا وكان حاخاما صوفيا.

وقد لاقى هذا الفكر قبولا شديدا فى كل أرجاء العالم اليهودى وخلق ديناميكية وحركة أكثر. ولكن بعد أن غير المسيخ دينه وأصبح مسلما ادعى أنه أصابه نوعا من الهيستريا والخيال وبسبب المبدأ الذى كان يسيطر على الجماعة وهو السرية الكاملة فى داخلها فقد انفصلت عن اليهودية، ولكنها فى نفس الوقت كانت حركة لامعة فى محيط ثقافتها، حتى أن المنازعات السرية التى استمرت قرابة الثلاثة قرون كانت تعتمد على المعطيات العلمية للنظريات الصوفية عند السبتائية ولهذا السبب لايمكن الاعتماد على المعلومات التى أتت بالسماع وقد كان اليهود دائما مخطؤون ومذنبون أمام الرب طبقا لاعتقاد السبتائية.

وكتاب «التناخ» ملئ بالمناقب التى شرحت هذا الموضوع. ولهذا السبب نجد المجتمعات اليهودية لم تكن تخلوا من المصائب والأمراض. ولهذا السبب أيضا طلب موسى من الله أن يعفوا عن هؤلاء القوم الذين عبدوا العجل الذهب فى سيناء وتوسل إليه بأنهم سيكونوا على الطريق المستقيم دائما .

ومن خلال دفاع زورلى عن عقيدة السبتائية يقول:

لقد أخذ رجال الدين السبتائيين أساسهم من التوراة واستخدموا طريقة حساب الجمل التى توافقت مع النصوص والشروح الموجودة فى كتاب القبالا وكان أول شخص استخدم هذه الطريقة وهى طريقة حساب الجمل هو «راف أبو العافيا» وعلمها هذا الرجل لتلاميذه ثم انتقلت إلى بقية رجال الدين والمتصوفة اليهود. وبالتالى انتقلت إلى السبتائيين وأصبحوا علماء فيها بل إنهم اشترطوا فيمن يقوم بحساب الجمل وتفسير القبالا والتوراة على طريقة حساب الجمل أن يكون عالما خبيرا لأن التلاعب بالألفاظ والحروف التى تحدث الله بها أمرا ليس سهلا. وفى التقدير العكسى سيكون هذا الشخص معرضا للتأنيب والجزاء من الله. وهذا

الجزاء لن يكون على الشخص فحسب بل سيكون على عائلته وجماعته كلها. والآيات التى توضح أن السبتائيون هم بقية بنى إسرائيل الباقية الآيات من ٢٢ / ٢٣ فى السفر العاشر من إشعيا تقول «حتى لو كان بنو إسرائيل مثل زبد البحر سيبقى منهم بقية ستعود» وبالطبع آمن السبتائيون بأنهم هم هؤلاء البقية الباقية وأن داود كان هو المسيح وأن المزامير نزلت عليه. وكان إسحاق لوريا هو المبشر بالمسيح وهو الذى أخبر بمجئ سبتاى زفى.

ثم يحاول الربط بين سبتاى وعيسى عليه السلام فيقول إن التصوف اليهودى يقضى بأن اليهود لن يقبلوا فكرة مجئ المسيح. والسبب فى هذا أنه سيدخل دينا جديدا وأنه سيطيع أوامر الرب ولكنه سيفقد على أمل الرجوع مرة أخرى أخيرة فى آخر أيام الدنيا. ولو نتنبه إلى هذا نجد أن اليهود رفضوا عيسى وفعلوا معه مثلما فعلوا مع سبتاى فقد تمت شكاية سبتاى إلى محمد الرابع كما تمت شكاية عيسى إلى حاكم روما بيلاتوس. وبالطبع توجد أدلة كثيرة على أن عيسى ليس هو المسيح فى مفاهيم التصوف اليهودى وفتحت حركته الباب لمناقشات ومنازعات طويلة.

ويذكر الكاتب إن الاعتقاد الجازم القاطع بأن سبتاى هو المسيح يعتمد على تفسيرات الرموز الصوفية فى كتاب التناخ وكذا الأقسام الموجودة فى كتاب الذخار ولكن المؤمنون بسبتاى يؤمنون بأن مجيئه سيتحقق. (السرية أساس فى التصوف اليهودى) وحتى اللحظة التى سيعود فيه المسيح مرة أخرى سيسكت المؤمنون به وسيكون الأمر سرا فيما بينهم وسيكون مبدئهم فى تلك الفترة هو «الشبه والتشابه».

ويقول عن مبادئ القبالا أنها لم تلاقى قبول من قبل الحاخامات بسبب رفض اليهود المؤمنون بالتوراة والتلمود لها، كما أن جماعة «الراف» الإسرائيلية ما زالت مترددة فى هذا. وكتاب التناخ نفسه هو أهم دليل وشاهد على أنه ثمة علاقة بين المفاهيم السرية للتوراة والقبالا. ولو أن اليهود بأكملهم استطاعوا أن يفهموا التوراة فلم يبقى هنا داعى إلى كتابة هذه النصوص ولهذا السبب أخفيت الستارة السرية فى مفهوم التوراة. وهذه الأسرار أعطيت لموسى أوامر حينما تجلى له الله

فى سيناء وكما هو معلوم فإن النظرية السبتائية تؤمن بنفس نظرية «اسحاق لوريا» في وجود بقية خارجة عن اليهود فى كل عهد وعددهم محدود ومرتبطين بالرب. وأن هذه المجموعة سيصلوا إلى الصواب فى الاعتقادات وأن هذا الجزء الذى حملوه من الآلهة سوف يكون بنفس الجوهر فى الأجيال التى ستأتى بعد ذلك.

أما عند مبدأ السبتائية فى رفض الزواج بغير السبتائى فيقول الكاتب : إن الاعتقاد السبتائى فى سرية وإخفاء الزواج تعتمد على ضرورة الحفظ على جوهر الجماعة. وإنه مهما حاول شخصا من الخارج الانضمام إلى الجماعة فإنهم لايوافقون عليه وبهذا حافظ السبتائيون على دمائهم ونسلهم حتى بدايات القرن العشرين.

ثم يتحدث عن فلسفة السرية عند السبتائية فيقول : لقد وجدنا معانى السرية فى التوراة فى قول سليمان وهو يخاطب الله يقول «يارب لترفع الوعد أبى داود لأنك جعلتنى ملكا على قوم مثل رماد الأرض أعطنى الحكمة والعلم، حتى أخرج على هؤلاء الأقوام» وهنا يرى أن هذا العلم قد طلب أكثر من مرة من الله. وأن الله أعطى سليمان ما سأل . حسنا ما هذه الأسرار ؟

يدعى السبتائيون أن سبتاى زفى كتب رسالة عن التناخ فى ٨٧٦ صحيفة بقدرة الضوء . وأن المتصوفة اليهود حافظوا على هذا السر لوقت طويل. ومن المعلوم أنه لاتوجد إشارة واضحة فى كتاب التناخ عن المنقذ . وهم يستدلون على هذا بقولهم إن «الرب سوف يرسل رسولا منكم إليكم فاستمعوا إليه». وعلى هذا يظهر أن الله سيرسل رسلا إلى اليهود بعد موسى . وفى الأقسام التالية توجد إشارات عن موضوع الأنبياء المزعومين، وأول مرة يضاف فيها لفظ المسيح ظهر فى كتاب التناخ. وعندما ندرس حياة داود نرى أنه أخطأ وأن الله عاقبه على تلك الأخطاء وهناك أمثلة واضحة على ذلك. وأن كل المزامير التى كانت فى عهده تظهر على أنها مراحل هامة فى الطابع الدينى اليهودى. وقد كان السبتائيون يؤمنون بالمزامير فى البداية على أنها كتابا مقدسا.

أما الاعتقاد الأرثوذكسى فيرى أن المسيح سيأتى يوم القيامة كمنقذ وسوف يأتى هذا المسيح من نسل داود وأنه سيجمع كل العشائر اليهودية المتفرقة

وسيؤسس دولة إسرائيل المقدسة . وعلى هذا سيتحقق حكم الله . وأن المسيح الذى سيأتى من نسل داود وناثان المبشر به إنما هو متشابه تماما مع المسيح سبتاى زفى ومبشره «ناثان ليفى» وهناك وجهة نظر أخرى للاختلاف بين المسيح موجودة فى رسالة مكتوبة باللغة اللاتينية كتبها «شمس أفندى» أستاذ التصوف اليهودى ومدرس أتاتورك الأول.

والأدوار التى مر بها المسيح من وجهة نظر هؤلاء السبتائية تقول إن العصر المسيحى يتكون من ثلاثة عصور رئيسية العهد الأول هو العهد الذى يبشر بمجئ المسيح. وهذا قد تحقق على يد راف آرى (اسحاق لوريا) والثانى هو العهد الذى سينزل فيه المسيح على وجه الأرض فى صورة الإنسان يؤمن بالله،ويجمع حوله جماعة له. وقد حقق هذا سبتاى زفى. والثالث هو العهد الذى سيأتى فيه المسيح مرة أخرى وأن هذا سيتحقق عام ٦٠٠٠م. وبالفعل وكل المتصوفة اليهود الذين فى إسرائيل ينتظرون مجئ المسيح عام ٦٠٠٠م . والسر فى ذلك أن الله خلق الدنيا على ستة أيام كل يوم بألف سنة.

وعلى هذا يعد موضوع مسيحية سبتاى زفى إيمان واعتقاد لاشك فيه عند السبتائيين وسواء قبلت مسيحيته أم لم تقبل يتضح أن الهدف الوحيد هو جمع كل اليهود فى فلسطين.

وفى مقال آخر لزورلى يتحدث فيه عن «أسس التصوف السبتائي» مرة أخرى فيقول:

موضوع هذا المقال التصوف اليهودى السبتانى . كنت شرحت فى المقالات السابقة بالتفصيل كيف أن المعلومات عن موضوع السبتائية عموما تم تناوله من خلال الوثائق الموجودة فى أرشيف بعض العائلات ويحفظونها فى سرة تامة وبالطبع فلن نستطيع أن نعتمد على المعطيات الحديثة التى ستكون دليلا على هذه الادعاءات . وعلى هذا فان ظهور دراسة علمية مثل هذه يجب علينا أولا تحديد المصادر. وبالطبع فإننى عندما أعرض عليكم هذه المعلومات التى كانت كلها مجهود شخصى منى باعتبارى شخص ذو أصول سبتائية فاننى أقدم هذه المعلومات على أمل إيجاد نهاية لهذا الانغلاق والسرية التى استمرت ثلاثة قرون للسبتائية.

ويعرض الكاتب أساس التصوف اليهودى من خلال وجهة نظره فيقول: إن مبدأ الصوفية اليهودى يعتمد على مبدأ الأخذ من أجل العطاء وإننى أؤمن بضرورة تقديم العلوم المقدسة للناس وخلق مجالا للنقاش والبحث فيه. ويعتبر سبتاى زفى هو واضع أكبر نظرية للسبتائية التى كانت تعد بمثابة الأرض الجديدة فى منهج التصوف اليهودى. وتوجد هنا عدة نقاط مهمة يجب توضيحها :

إن المؤرخين قد تناولوا السبتائية على أنها موضوع غير حيوى لمدة طويلة وهؤلاء المؤرخين زعموا أن سبتاى زفى كان رجلا مشعوذا وأن «ناثان» هو الذى وضع مجموعة من الأسس النظرية للسبتائية. ومن الضرورى هنا توضيح مسألة عدم بحث هؤلاء المؤرخين فى أية وثيقة فى الأرشيف عن هذه الجماعة .

إن سبتاى زفى كان شخصية ذكية وكان علمه واسع استطاع أن يُدّرس للطلاب وهو فى التاسعة عشر من عمره بل إنه اكتسب شهرة فى الأوساط الدينية المحيطة به فى عهده. أما «ناثان بنيامين ليفى» فقد كان الشخصية الثانية المؤثرة بعد سبتاى . وقد اشتهر ناثان بتفسيراته وشروحه الجديدة فى عهده . وكان الهدف من هذه المصادر هو إظهار الموضوعات التى تتعلق بمجئ المسيح. أما زفى فكان هدفه توضيح الموضوعات الدينية بشكل أكبر. وكان يجيب على كل الأسئلة التى تتعلق بالتفسيرات الدينية من خلال المناقشات التى كان يعقدها . ولأن المصادر لم تكتب عن كلا الاثنين فإننا نعتمد على المعلومات غير المسماه .

ومن المعلوم أن «اسحاق لوريا» هو أبرز سمة فى التصوف اليهودى فى القرن السادس عشر. وقد كانت نظريته الإنكسار تكمن فى موضوع المسيح الذى هو أساس التصوف اليهودى السبتائى. وعلى هذا قام سبتاى زفى بادعاء أنه المسيح المنقذ، وكتاب التصوف الخاص به يعتمد على ذلك، وكانت تفسيراته فى شكل حوار بينه وبين الله . ومن خلال تفاسيره يقول إن كل شئ فى الأصل يعتمد على سر الله فى الخلق وإن المسيح المنقذ عندما سينزل على الأرض سيرفع كل المحظورات وإنه سيضع قواعد وتشريعات جديدة خاصة به كما أن العهد الذى ظهر فيه سبتاى ما هو إلا نموذج فقط أرسله الله للناس. وذلك مثلما ظهر فى

شخصيات مقدسة مثل «موسى» وداود » وغيرهم. وهؤلاء الأشخاص المقدسون لم يكونوا سوى أرواح مقدسة فى أبدان مختلفة عنهم ولكن السر الإلهى خفى حتى اللحظة الأخيرة . وهذا هو أيضا سر سبتاى زفى: «فيقول إن دانيال نفسه قد أخفى هذه الكلمات حتى وقت النهاية وحينئذ سيكثر النزاع بين رجال العلم وهذا هو ما توضحه آيات كتاب «التناخ».

إلا أن سبتاى زفى لم يخفى هذا السر وكان هدفه من ذلك تحقيق الإنقاذ والنجاة الإلهية ويرجع ذلك لميزاته الشخصية التى اكتسبها منذ صغره . وقد كانت جماعته ضده مثلما كانت الجماعات ضد الرسل[1] .

والكاتب فى الفقرة السابقة يحاول الربط بين سبتاى والأنبياء المرسلين أمثال موسى «عليه السلام» وداود «عليه السلام» فيضعه موضع النبوة بل إنه يتجاوز القول بأن سبتاى هو المسيح المنتظر نفسه لأنه وصل إلى درجة الكمال.

ثم يستطرد قوله : إن الاعتقاد بالمسيح يعد أساسا من الأسس الرئيسية للإيمان عندهم. وإن هذا الموضوع لم يتم تناوله بشكل كافى سواء فى التلمود أو فى الكتب الأخرى بخلاف كتاب «القبالا » وكلها بالكامل وضعت ضمن آيات غامضة. والهدف الحقيقى فى هذا العالم الإنسانى هو استطاعة الوصول إلى الكمال الذى يكمن فى الوصول إلى هذا السر ويمكن أيضا توضيح هذا بافادات يصعب فهمها الآن.

كان سبتاى زفى يشرح هذه التفسيرات لتلاميذه فقط وليست مصادفة كونية فى أن معظم المريدين الذين تعلموا على يد سبتاى في ذلك العصر أصبحوا رجال دين بعد ذلك. كما أن السبتائية ليست حركة ضد اليهود كما يتهمونها ولكنها ظلت مختلفة عنها باختلاف فلسفة الحركة الصوفية بها.

ويوجد فى التصوف بعض الأدعية والطقوس الدينية اليهودية السبتائية وطبقا لعقيدتهم فان هناك فترة يمكن للإنسان أن يتقرب فيها إلى الله بالدعاء وهى

١- يقصد هنا بالجماعة التى ضده اليهود الذين يسيرون على الشريعة اليهودية.

الفترة التى بين منتصف الليل وحتى شروق الشمس ويطلقون عليها اسم (صباح يوسف عليه السلام) وقد أخذت من الرموز الصوفية الكلاسيكية التى تعتمد على تصنيف الروح . وبالطبع زينت هذه الأدعية بالمناجاة التى كتبت من أجل سبتاى.

ومن المحقق إنه قد حدثت فروق فى قواعد التصوف اليهودى بعد انفصال الجماعات السبتائية حيث أن اليعاقبة كانوا أكثرهم ابتعادا عن المبادئ والعقائد الدينية .

وكان «القبانجيلر» أكثر الطوائف إيمانا وارتباطا بالمسيح . أما «القاراقاش» فقد أخرجوا من اليهودية بسبب بعدهم الدينى. وربما هذا هو السبب فى تسميتهم بذوى الطرق العشرة . كما أن أساس الأدعية عندهم هو التوجه بهذه الأدعية إلى «عثمان بابا» ويبقى سبتاى زفى بمثابة الرمز فقط.

ويؤكد الكاتب عقيدته القوية فى سبتاى وأن أحدا لم يستطع الوصول إلى مكانته فيقول : ولو كان الوضع كذلك فيجب أن نؤمن أن «ناثان» و«يعقوب كوريدو» وباريوخ روسو » كلهم لم يصلوا إلى روح سبتاى ولا إلى أهليته بل إنهم كانوا بمثابة التلاميذ الذين تعلموا على يده هذه المبادئ . ولو راجعنا بدقة، الخطابات التى أرسلها «ناثان» فى ذلك العصر سيتضح أنه كان فى محاولة لإثبات عهد المسيح. ولو نترك الأمانات المقدسة لهم الموجودة فى أوربا جانبا فنه توجد لهم وثائق ورسائل فى أيدى العائلات فى تركيا. وبالطبع لن يستطيع أحد التعرض لموضوع «القبالا» لأنه ليس مجالا لأن يُعَلم فى جريدة أو يدرس فى صالون صحفى كل أسبوع.

وفى حديث زورلى عن «المؤسسات التعليمية السبتائية » يقول:

أظهرت عائلة ترياقى الدونمية وعلى رأسها صديقى العزيز «موشيه جوسمان» الذى أعطى لى الحق فى كل ما أكتبه عن أهم قضية فى المجتمع اليهودى وكان هذا بالطبع فى شكل لم يحدث من قبل. وقد قام السبتائيون بحركات إصلاحية فى مؤسساتهم التعليمية بدأت فى هذا القرن وهى موجودة الآن فى تركيا بين اليهود الأتراك.

كان بعضا من تولوا الإدارة فى الجماعة السبتائية جهلاء لأنهم لم يستطعوا أن يروا مدى فداحة الأخطاء التى ستنتج من هذا كما إننى غير راضى على أن بعض هؤلاء الإداريين قد تخرجوا من مدارس السبتائية. وهذا يعنى أنهم أخذوا الجوانب السيئة لمدارسنا كمثال.

إن التعليم هو أهم عامل فعال فى الماضى ونواة لحياة الأجيال التى ستأتى بعد ذلك والتى ستكون نواة صغيرة لتشكل مجتمع كبير. وعلى هذا فإن المدرسة تعد المكان الثانى الذى يربى فيه الأبناء خارج العائلة. ومن المدهش أن كل سلطة رأت النظام التعليمى وكأنه خطرا عليها وعلى هذا الحال يظهر أمامنا أن التعليم فى كل عصر مأخوذ على إنه عنصر يكون أو لايكون. إن التطورات التى حدثت فى المجتمع والسياسية العثمانية إعتبارا من النصف الثانى من القرن التاسع عشر فتحت الطريق لظهور مطالب بتعيين فرق جديدة داخل الدولة. وكان عضو التدريس أو التعليم ينظر إليه على إنه يعلم العلوم الدينية التى تنتقل من الأب إلى الأبناء، لذا أصبح من الضرورى ظهور المدارس التى تعلم العلوم الحديثة. وإلى جانب هذا فإن الجماعات التى كانت تنادى بالحرية فى موضوع العادات والأعراف التى عاشت فى الدولة لم يكن لها مدارس فلم تستطيع إظهار أفكارها الثقافية. ولو وضعنا نصب أعيننا الفوائد التى تحققت من تقدم هذه المجتمعات التى أكسبت العلم مفهوم غربى فى أوربا بعد العصور الوسطى تظهر هذه الفوائد بوضوح جدا ومع أن تأسيس المدارس الجديدة فى الدولة العثمانية تأخر جدا. فانه يظهر أمامنا مؤشر هام للموضوع. ومن المعلوم أن جمعية الاتحاد والترقى كانت قد نبعت من هذه المؤسسات التعليمية الجديدة التى أصبحت سمة العصر .

وبالطبع أدركت المجتمعات السبتائية التى عاشت هذه الأحداث كلها، أهمية التعليم وخاصة بعدما فقدت السبتائية سلطتها الدينية. وقدموا جهودا فى مسألة الرقى بالتعليم. وكانت أهم هذه الجهود هى تلك التى قام بها «شمس أفندى» (شمعون زوى) الذى كان رجل دينى صوفى وكذا كان من العلماء ومن أصول الدونمة. وقد اجتهد شمس أفندى فى إدخال أفكاره على المجتمعات السبتائية. وقد توجت هذه الجهود بأنه استطاع أن يؤسس أول مدرسة للسبتائيين فى سالونيك بمساعدة بعض العائلات السبتائية الغنية.

وقد كانت هذه المدرسة تريد أن تغير اللغة التى أصبحت ملاصقة للسبتائية دائما وهى اللغة اليونانية. ورويدا رويدا أصبح كل عضو فى الجماعة لايستطيع أن يتحدث اللغة التركية ، لذلك بدأت الجماعة تعيش حياة منطوية ومنغلقة على نفسها، وللأسف فقد فتح هذا الموقف الطريق لظهور نتائج غير مطلوبة حيث أن الحركة فى بداية تأسيسها كانت قد حققت مكاسب وعلوم عن العلاقات التى كانت بينها وبين الجماعات اليهودية التى تعيش فى أوربا ولكن بعد فترة فرضت عليهم تعاليم الجماعة مما سبب فى توقف العلاقات بالعالم الخارجى والانطواء على أنفسهم. وظهرت الجماعة بشكل مجتمع فاقدا لهويته وطابعه . ولهذا كان يجب اتخاذ الإجراءات دون تضيع للوقت. وظهر شمس أفندى فى لحظة كهذه وبفضل علومه التى تلقاها، وكانت كلها علوم غربية، أسس مدرسته الأولى فى سالونيك واكتسبت شهرة وحققت نجاحا كبيرا.

وفى حديث للكاتب عن مصطفى كمال أتاتورك ودراسته فى مدرسة شمس أفندى ومدى تأثير هذه المدرسة عليه يقول: «لقد درس أتاتورك فترة فى تلك المدرسة التى كان لايدرس بها إلا السبتائيون. وقد تأثر بالمفاهيم الغربية التى تعلمها هناك . وهذا ما سيتضح فى أفكاره بعد ذلك فقد قام «شمس أفندى» فى البداية بشن حملة تهدف إلى إدخال التعليم الحديث إلى المجتمعات السبتائية، وكذا كانت تهدف إلى خلق جيل مسئول صاحب كلمة. وقد وعدته جماعة «القبانجيلر» بأنهم سيساعدوه ماديا من أجل تحديث المدرسة ولكنهم لم يستطيعوا مساعدته لظهور الخلاف بينهما فاتجه إلى «القاراقاش» من أجل مساعدته ونتج عن ذلك فتح المدارس الفيزية . وقد كان «القاراقاش» يقدرونه ويحترموه.

إلا أن حريق عام ١٩١٧ م كان نكبة على السبتائيين حيث أحرقت الكثير من الكتب والوثائق والأمانات المقدسة للسبتائيين . وفى عام ١٩٢٤ بدأ السبتائيون عهدا جديدا فى تركيا بعد ظهور مصطفى كمال أتاتورك. حيث قام أتاتورك بفتح الطريق للعناصر الجديدة للتعليم فى المؤسسات التعليمية السبتائية.

أما «القارقاش» فقد اهتموا كثيرا بهذا الموضوع وذلك نتيجة لشعورهم بأهمية المدارس الفيزية والدور الذى تحققه لأفراد الجماعة . ولكن بعد فترة أصبح الدخ

المادى مؤثرا فى الجماعتين فتم إيقاف هذه المؤسسات التى كانت بمثابة خزائن للثقافة وكانت قادرة على إيجاد جيل جديد ونتج عن هذه الأسباب أن أصبحت المؤسسات تأخذ شكل المتاع التجارى وبالتالى أصبحت مدارس الترقى والفيزية بمثابة بابا للمكسب لايمكن أن يمثل بأى حال الهدف الحقيقى من تأسيسهم لها. ونتيجة لهذه الأسباب فقد كانت المدرسة الثانوية اليهودية تدرس كل مساوئ ونقاط ضعف إنهيار التعليم فى المؤسسات التعليمية السبتائية.

وفى غضون سنوات قليلة أظهرت هذه النتائج ثمارها كما ظهر الحال المحزن الذى خيم على التعليم السبتائى.

وفى مقال آخر يتحدث الكاتب عن نظام السرية الذى كان متبعا فى الجماعة فيقول الكاتب فى مقاله الذى يحمل عنوان : «الأتراك السبتائين : الجماعة السرية».

فيبدأ المقال بقوله من نحن؟ ومن أى البلاد ؟ هل نشعر بأننا مواطنين أم أننا غرباء؟ ربما أن أكثر الأشخاص الذين يجدون صعوبة فى الإجابة على هذه الأسئلة هم السبتائيون. إن هذا المقال الذى سنتعرض له الآن إنما هو لإظهار هذا البناء السرى الذى بناه السبتائيون لهم دون أن يظهروا أى فروق فى العادات أو الدين أو اللغة .

إن الدين اليهودى انتشر فى شكل فكرين مختلفين فى مدة زمنية تتراوح بين خمسة آلاف عام [١]. الفكر الأول كان فكر التوراة والتلمود [٢]. والثانى كان التوراة والقبالا [٣]. والمبدأ الثانى أكثر تحررا من المبدأ الأول.

١- تقول الاعتقادات إن الله خلق الدنيا قبل خمسة آلاف سنة وكسور ويزمن اليهود بأن تاريخهم يمتد إلى ما قبل خمسة آلاف سنة ويستخدمون تقويما خاص بهم.

٢- التوراة والتلمود هى نظام به مبادئ تشكل أسس الكتاب المقدس عند طائفة اليهود الأرثوذكس وقام اليهود بوضع شروح وتفسيرات لهذا الكتاب بها كل محرماتهم وقواعدهم وحياتهم اليومية.

٣- القبالا هى نظرية تشكل عند معتقديها أنها أساس التصوف اليهودى ويعتقدون أنه بدأ قبل (عهد) أسبانيا.

لقد رأى المجتمع اليهودى أن الاستفادة من كونهم متصوفة سوف يحقق تأثيرات كبيرة فى البحث عن هويتهم خاصة وذلك لتعرضهم للاضطهاد فى كل المجتمعات التى عاشوا فيها . وقد رأوا أن كل المساوئ الضغوط الكثيرة التى تعرضوا لها سوف تنمحى داخل مناخ صوفى ملئ بالأسرار .

وكانت المجتمعات الدينية اليهودية تعارض محوهم وتعارض المذابح الجماعية التى حدثت لهم فى كل مكان من العالم فى القرن السابع عشر . وكان هذا هو السبب فى ظهور فكرة المسيح المنقذ الذى سيقضى على كل تلك السلبيات[١] والذى قام بوضع أسس هذا الاعتقاد هو «اسحاق لوريا» حيث علمه لتلاميذه وقال إن المسيح المنتظر سوف يأتى ويضع نهاية للآلام التى تعرض لها اليهود. وبعد سنوات من موت إسحاق لوريا عاش اليهود عهد مذابح كبيرة. كانت معظمها فى روسيا وبولندا وأوكرانيا وخاصة ما تعرضوا له فى قرى القازاق . وحينئذ أصبح من الضرورى أن يأتى منقذ يضع نهاية لهذه الآلام ويصل اليهود إلى الضوء المقدس للآلهة.

وفى مقال للكاتب عن الصعوبات التى واجهها بسبب كتاباته عن تلك الجماعة والذى هو فرد منهم فيقول تحت عنوان (ردا على فتنة لم تنشر).

بدأ كل شئ بالتليفون الذى وصلنى من صديقى العزيز الباحث «رفعت بالى» وكان ذلك فى الساعات الأولى من الصباح . وقد فهمت منذ اللحظة الأولى من كلامه وعجلته فى الكلام أن ثمة مقال نشر فى جريدة (ينى يوزيل التركية) هذا المقال كان بمثابة الكارثة بالنسبة لأعمالى ودراساتى فى مجال السبتائية. وهذه المقالة لم تعبر لى عن أى مفهوم هام فى اللحظة الأولى. كما أن كل أعمالى ودراساتى عن السبتائية كانت تلاقى ردود فعل عكسية دائما منذ نشرها عام ١٩٩٢م . وبالطبع سلك أناسا كثيرون طرقا شتى لمعارضة أعمالى. بالإضافة إلى أن العائلة التى نشرت المقال عنها ، إنما هى عائلة ذات أصول سبتائية. كما أنها أيضا أعاقت نشر مقال أعددته فى هذا الموضوع قبل فترة قصيرة.

١- مع أن فكرة المسيح من المبادئ الأساسية اليهودية إلا أن كتاب التناخ لم يوضح لها شئ ولكن اشعيا وأرميا ذكروا بعض الافادات فى هذا الموضوع والقبالا أيضا توضح ذلك.

وقمت بقراءة الجريدة حتى نصف النهار وذلك من هول الموقف .. وفهمت أن كل تمنياتى خاطئة . ظللت متحيرا لفترة، وعندما وجدت اسمى فى الصفحات الأولى من المقال عرفت أننى أصبحت هدفا لأشياء خارجة عن الحقيقة ولا تليق بكاتب تلقى تعليمه الأول تعليم دينى مهتم عن قرب بالدراسات الدينية. وأصبحت فى حالة أشبه ما تكون بأننى خطر على تركيا وسأجلب لها المشكلات. لقد كتب المقال بتعبيرات ناجحة للغاية لم أكن واثقا معها من أننى أستطيع الرد على هذا المقال الذى كتب ضدى. حتى أننى لم أستطع أن أضع القلم على الورقة وأول شئ فعلته هو أننى قدمت خطاب استقالتى فارغا إلى رئيسى الذى تأثر بالمقال وذلك لأننى كنت أعلم وما زلت أعلن أنى أعيش فى مجتمع يعيش فيه أناس ذوى أحاسيس وإنفعالات قوية. كما أنهم كانوا يحاكمون ويحاسبون على أعمال بلا رحمة وبشئ من الافتراء . يحاسبون حتى دون أن يكون لهم حق الدفاع. وعندما حل المساء ذهبت إلى البيت بعد أن اشتريت مجموعة من الجرائد وقد كنت وقتها أجلس من الظهيرة حتى المساء فى صبر لايحتمل وبدأت اتصل بالمسئولين فى هذه الجرائد . فى البداية تحدثت مع شخص وكان رئيس تحرير إحدى الصحف ولكنى لم أسمع باسمه قط. وقد استغرق الوقت الذى كنت أشرح له فيه حالى وقضيتى لمدة نصف ساعة. وشرح لى باصرار أنه سيستطيع أن يعطنى حق الاعتراض بقرار المحكمة.

وقررت أن أكتب مقالا يبرأنى تماما ويبعد عنى الضرر إلى حد ما، ولأننى أحسست أيضا أننى لن أستطيع نشر هذا المقال فقد أرسلته إلى كل الكُتّاب ذوى الأصول السبتائية وذلك بالبريد الإلكترونى، وبعد ذلك هدأت قليلا. كما كان يجب على أن أكتب مقالا يتناسب بثقل وحجم الحقيقة وأعمالى وذلك الكاتب الذى هو رئيس رسمى للسبتائية حتى ولو علمت أننى لن أستطيع نشره فى أى مكان.

وقد نشرت جريدة (ينى يوزيل) فى عددها الصادر بتاريخ ١٠ فبراير مقالا كنت قد كتبته . ولكنهم اختصروه كثيرا.

إن موضوع السبتائية أو يهود الدونمة كان واحدا من الموضوعات التى تم تناولها

على أنها حركة فاسدة وغير صالحة سواء فى التاريخ اليهودى أو التاريخ العثمانى[١]. وللأسف فان مجموعة كبيرة من كتابنا وباحثينا كانوا عندما يجدون أنفسهم أمام موضوع السبتائية يفعلون أمرا من اثنين :

إما أن يمروا عليه ويتجاهلوه ، وإما أن يتناولوه بشئ من الغموض ، إن اسم حركة السبتائية نابعا من اسم سبتاى زفى الذى أدعى أنه المسيح المنتظر فى القرن السابع عشر وأن أفكاره لاقت رواجا كبيرا ومؤثرة ولها تأثير دينى كبير.

ولأنه كان حاخامًا فإنه كان يعلم الكثير عن كتاب القبالا الذى كان له تأثير كبير سواء فى الدين اليهودى أو فى التصوف اليهودى.

كما أن التوراة والتلمود كانت الكتب الرئيسية عند اليهود طوال حياتهم وانفصلت فكرة القبالا أو التصوف اليهودى عنه شئ فشئ مما خلق نوع من المنازعات الدينية. وحتى الآن فى إسرائيل نفسها يتم تحريم أصحاب «القبالا» على يد رجال الدين الكاثوليكى . وكان يتم تناول القبالا على أنه كتاب مساعد يأتى فى المرتبة الثانية بعد قراءة كتب الله وهى التوراة والتلمود وهى المصادر الرئيسية وعلى هذا خلقت التصوفية اليهودية نوعًا من ردود الفعل العكسية التى كانت ضد الحكم والحكام وكذا ضد نظام الدين اليهودى.

وعلى هذا استطاع بعض المفكرون اليهود أن يغيروا أرائهم وأفكارهم بمفهوم ومبدأ القبالا وذلك بعد أن كانوا مضطهدين من قبل رجال الدين اليهودى وبذلك اكتسب «القبالا» نوعًا من الحرية. وقد أراد سبتاى أن يعمل على إيجاد قواعد دينية كثيرة وعندما أراد هذا عمل على إضافة أيديولوجية جديدة على عكس الحركات التى ظهرت قبله ، كان معروفًا أن المسيح الذى سيأتى ليقود اليهود إلى فلسطين وإنهم سيؤسسون دولة إسرائيل هناك. كان بعض رجال الفكر والدين على علم بهذا ، ولكن سبتاى كان أول شخص اكتسب الماسونيين فى حركته. وقد أراد زفى أن يحصل على الدعم والمساعدة من الدولة العثمانية فى سبيل تحقيق ذلك إلا أنه انتهى به الأمر إلى الحبس . واضطر إلى إعلان إسلامه، وعندما أعلن إسلامه ، كان أتباعه يعتقدون أنه سيأتى إلى العالم من جديد وسيقود اليهودية

إلى تأسيس إسرائيل ولهذا السبب اختار سبتاى الإسلام . ولكن لايوجد أمر قاطع وجازم على أن سبتاى أمر مريديه بأن يكونوا مسلمين، ولكن المعروف أن جماعته أصبحت مسلمة. ولكنهم ظلوا مؤمنين بمبدأ الشبه والتشابه مع الله وهم بذلك لم يدركوا الإيمان بالإسلام الحقيقى وظلوا مرتبطين باليهودية. وهذا هو أيضا السبب فى الخطاب الذى أرسله سبتاى قبل ذلك إلى يهود يوغسلافيا في عيد «الكيبور» يطلب منهم أن يتمسكوا بكتابه الخاص بالأدعية والمناجاة . وبهذا استمرت حياة السبتائيون بعد موت زفى يقضون أيامهم من داخلهم يهود ومن ظاهرهم مسلمين.

وكانوا وكأنهم يعيشون حياة دينية سرية فى داخلهم. كانت هذه الحياة الدينية تعتمد على كتاب «التناخ» وعلى مبادئ «القبالا» . وقد تمركز اليهود والسبتائيون فى أماكن كثيرة أهمها سالونيك وذلك حتى عام ١٩٢٤م. وقد تأثروا إلى حد ما بالنظام العثمانى فى إدارة الدولة. وعندما حدثت مبادلة عام ١٩٢٤م أتى إلى استانبول ثلاثة فرق سبتائية هم اليعاقبة والقاراقاش والقبانجيلر وكان لكل منهم حياة خاصة بهم ومؤسسات دينية لهم وقد تمت إزالة هذه الأقسام تحت وطأة نظام الجمهورية الذى وجدوه فى جمهورية تركيا حيث امتزجوا مع الأتراك داخل المجتمع. ومع أن هذه الأقسام قد أذيلت إلا أنه بقى بعض الأشخاص الذين حاولوا الحفاظ على تقاليد السبتائية خصوصًا بعض المثقفين مثل «خالدة أديب» و«شفيق حسنى» و«صبحة سرتل» . بالإضافة إلى عائلة «إيبكجى» التى كانت من أكبر العائلات فى إنتاج الأفلام.

وأصبحت المؤسسات التعليمية للجماعة مثل مدرسة «الفيزية» ومدرسة «الترقى» من أكبر المدارس تطوراً فى تركيا. وكانت المبادئ التى تسير عليها السبتائية دائمًا ما تتفق مع الماسونية واليهودية. ولهذا السبب تعلم السبتائيون الثقافات الغربية واللغات الأجنبية بشكل جيد ومع ذلك كانوا يشعرون بشئ من الخوف تجاه أصولهم السبتائية وأخفوا حقيقة كونهم سبتائيين بل أنهم كانوا يخجلون من هذا.

١- يدافع الكاتب عن جماعته وهى حركة فاسدة بالفعل إلا أنه يجب التعرف عليها وعلى أهدافها.

وفى الوقت نفسه أهمل تمامًا التأثير الهام الذى لعبه السبتائيون فى هدم الإمبراطورية العثمانية وقيام الجمهورية التركية وعندما قرأت مقال للسيد «التيندال» فيه جريدة (ينى يوزيل) فى ٥ فبراير فهمت تمامًا أننى أصبحت مشكلة مباشرة ولكننى متأكداً أنه سيأتى يومًا فى المستقبل يظهر فيه أننى كنت على حق فى كتاباتى وأننى سأكون مضطرا إلى توضيح الحقيقة وأفكارى فى هذا الموضوع الذى بحثت فيه كثيراً لأن موضوع السبتائية موضوعًا شائك البحث فيه وخاصة دراساتى فيه كانت تواجه دائمًا معارضة.

والمقال من أوله يعطى مكانًا للتعبيرات الخارجة عن الحقيقة . لقد ذهبت إلى إسرائيل لمدة تقرب من العام وذلك لإتمام أبحاثى ودراساتى واشتركت هناك فى بعض المؤتمرات، وتقربت من بعض الكُتّاب الذين كتبوا مقالات عن موضوع السبتائية. ولم يكن السبب الأساسى من هذا المؤتمر هو البحث عن الضغوط التى لاقاها السبتائيون مثلما عبر «التيندال» بل كان الهدف الأساسى هو إظهار صورة دينية لقبول السبتائية فى الديانة اليهودية. لأنه ودائمًا ما يُدعى فى تركيا أن السبتائيين لم يقبلهم اليهود ضمن الجماعات اليهودية[١] . وخاصة التزاوج الذى حدث بينهم وبين اليهود خلق مشكلة بالنسبة لمستقبل الأولاد الذين ولدوا عن هذا التزاوج بالنسبة لمستقبلهم . ومع أن السبتائية ظلت جماعة دينية خارجة عن الدين اليهودى إلا أنها كانت جزءاً من الثقافة والسمة اليهودية. لهذا السبب اضطلع منذ عام ١٩٩١م بعمل دراسات عن الموضوع .

ويستطرد زورلى قوله: لقد تقابلت مع صحفى إنجليزى وكان يقوم بعمل بحوث خاصة فى نفس الموضوع هناك ومع أنه كانت لديه أهداف فى أن يجمع معلومات أكثر عن السبتائيين فانه كانت لديه إدعاءات ومعلومات غريبة عن السبتائية.

١- يوضح الكاتب هنا أن تركيا التى ادعت أن اليهود لم يقبلوا السبتائية والمؤلف هنا يناقض نفسه فقد عبر فى صفحات سابقة وفى مواضع مختلفة أن اليهود والحاخامات رفضوا السبتائية حتى أنهم استحلوا دماء سبتاى ولم يعترفوا به. أما عن أصول السبتائية فهى يهودية فى الحقيقة لكنهم خالفوا الشريعة اليهودية وأدخلوا عليها مبادئ جديدة وذلك ما رفضه اليهود.

وللأسف فلم أستطع أن أتعقب هذه المنشورات بصفة مستمرة فانه لم يكن عندى معلومات عن المقالات التى يتم نشرها . وقد تعرضت لضغوط شديدة عند ظهور مقالى: «السبتائية فى تركيا» والذى أصدرته مجلة «بيركيم» فى العدد الصادر بتاريخ مارس ١٩٩٥م . ومع أن السبتائيون قرروا الابتعاد عن تركيا اعتباراً من عام ١٩٢٤م إلا أنهم تعرضوا للاضطراب وضغوط قوية. وقد كانوا يعاملون معاملة خاصة حتى فى دفع ضريبة تواجدهم فى تركيا. وقد عرفوا بعد ذلك باسم الدونمة. وقد شرح «عبدى ايبكجى» حكاية مؤلمة عن هذا فى مذكراته. وكذا السياسى والوزير اسماعيل جم فقد امتنع عن استخدام كلمة ايبكجى وهى اسم عائلته الابكجية الدونمية.

أما الضغط الأكبر للسبتائية فكان كتابة أشخاص على غير علم تمامًا بالموضوع بالكتابة فيه وذلك مثل السيد «التنيدال».

وعندما نتحدث عن نقاط الضعف الموجودة فى مقالات السيد التنيدال من خلال حديثه عن عدد الأشخاص ذوى الأصول السبتائية الذين وصل عددهم إلى ١٠٠ ألف شخص ، ولو تريدون لننظر إلى أرقام عام ١٩٢٤م. ادعى السيد التنيدال أنهم كانوا ٤٠٠٠ شخص وإذا كان السيد التندال واثقًا من هذه الأرقام فيثبتها بالمصادر.

بعد ذلك يتناول زورلى فى مقاله نقطة أخرى هى إدعاء السيد التنيدال أن السبتائية على علاقة بمنظمة «موريث» التى عرفت بأنها منظمة سرية. وقد أسست «موريث» على يد يهود أتراك وأن مؤسسها هو الدكتور «جاد ناسى» الذى ادعى أنه مواطن إسرائيلى . وإنه مؤسس المركز الثقافى التركى فى إسرائيل.

بالإضافة إلى أن د. «جاد ناسى» كان يكتب مقالات بصفة مستمرة عن السبتائية اعتباراً من عام ١٩٩١م. وكانت هذه المقالات تقرأ فى تركيا وقد قيل إننى كنت ضيفًا فى بيت د. ناسى فى هيرزليا. وهنا يجب التصريح بشئ هام جداً ، وهو أن الدكتور ناسى كان يساعدنى ماديًا ومعنويًا عندما كنت أكتب مقالاتى ودراساتى عن السبتائية. وكان هدفه الوحيد هو اهتمامه الذى شعر به تجاه هذا الموضوع.

وقد كتب أتراك عن هذا الموضوع بلا دليل لأننى لم أكن أعرف مع من تحدث التندال . وفى هذا القسم من المقال نأتى الآن إلى الادعاءات الدينية لالتندال عن السبتائية.

كنت أريد فى البداية أن أعطى ردوداً لادعاءات التندال والتى تقول بكذب المسيح زفى. إن موضوع المسيح من أكثر الموضوعات انغلاقًا وسرية فى الدين اليهودى. فمثلاً صرح فى كتاب «التناخ» بأن داود سيكون هو المسيح ثم عدل عن ذلك بأنه سيأتى من «نسل داود» من يكون مسيحًا ومنقذاً. ولكن لاتوجد أى آيات تشير إلى ذلك فيه أو حتى تعبيرات واضحة عن الموضوع . وبالطبع قوى هذا الادعاء بتأسيس دولة إسرائيل . وعندما ننظر إلى كتاب السيد التندال الذى ألفه عن السيد عيسى المسيح قال إن اليهود زعموا أن عيسى هو المسيح المزيف . وهذا يعنى أن اليهود تناولوا موضوع المسيح سواء هو سبتاى زفى أو غيره بشكل متساوى.

ولهذا السبب يجب نسيان ادعاءات الكذب التى تمت فى موضوع المسيح. وبالطبع لن أورد مكانًا لنظريات «القبالا» فى هذا الموضوع وكونية «القاراقاش» الذين كان لهم اتجاه ديمقراطى اجتماعى وأنهم يؤمنون بالسحر.

لقد بذلت البستائية جهوداً كبيرة حتى تستطيع حماية معتقداتها لمدة طويلة. وتم تناول هذا الموضوع على أنه مشكلة اجتماعية بدلاً من كونها مشكلة علمية. ولن يستطيع التنيدال ولاغيره أن يمنعنى من مواصلة دراساتى وأبحاثى عن هذا الموضوع . فإنه سيأتى يومًا تظهر فيه الحقائق . والنقطة الأخيرة التى تقلقنى وتحزننى هى كتابة مقالات واستخدام تعبيرات قاطعة بهذا القدر فى موضوع غير معروف على يد شخص لايعلم عنه شئ. أتمنى أن يكون هذا سببًا فى بحث أو تناول موضوع السبتائية.

بعد ذلك يعرض علينا اليغاز زورلى مقاله أخرى بعنوان : حوار عن السبتائية والشخصية السبتائية مع شخص سبتائى تركى يتحدث فيها عن الأسرة السبتائية والمشاكل التى تتعرض لها مع تحليل أسباب هذه المشاكل ولهذا الحوار أهميته

حيث أنه يظهر جوانب الحياة الاجتماعية التى كان يعيشها السبتائيون وقد دار هذا الحوار كما جاء فى مقال زورلى على النحو التالى:

هل السبتائية حركة دينية فقط؟ وهل هذه الحركة لها نظام وشكل اجتماعى؟ وهل يمكن التحدث عن الشخصية السبتائية.

لقد ظلت السبتائية معرضة لاتهامها بأنها تأخذ الشكل العرقى وقد أهملت لفترة طويلة لهذا السبب. والمقال الآتى هو حوار بين زورلى وشخص سبتاى من عائلة من أكبر عائلات تركيا وهو رجل أعمال.

- سيدى، سيادتكم تبذلون جهداً كبيراً مهمًا منذ فترة طويلة لإظهار الحقيقة عن ماضى تركيا وقد كتبتم هذا فى مذكراتكم كشاهد على هذا . أنا أعلم أنه توجد هذه الموضوعات فى مذكراتكم ولكنها تأخرت لذا فأنا أريد أن أتوجه ببعض الأسئلة لسيادتكم . هل سيادتكم سالونيكى وهل تستطيع الإفصاح عن هذه الشخصية. وهل توجد للشخصية السبتائية خصائص معينة ؟

- نعم معلوم، توجد الآن حياة خاصة للسبتائية ولهم دين خاص وبالطبع فان هذه الحياة وهذا الاعتقاد وهذه الطقوس إنما هى أشياء سرية. وكل شخص يعلم هذا. ولكنهم أرادوا أن تكون هذه الأشياء سرية. والسبب فى بقائها سرية أن هؤلاء الأشخاص أظهروا أنهم مسلمون رسميًا . وبالطبع هذه السرية خلقت نوعًا من الروحانيات والاضطرابات والألم والخوف.

وبالطبع انتقلت هذه السرية من الأب للابن ومن الأم للبنت فى ظهور طابعًا جديداً. حيث ظهر طابع فى نهاية ثلاثمائة سنة مرت. يعنى ظهر نوعًا من الفكر الجديد. وهذا هو ما أطلقت عليه الطابع الخاص بنا.

- حسنًا ما هى هذه الخصائص بالنسبة لكم؟

- الآن لو سمحت لى نغلق موضوع الخصائص . لقد اضطر السبتائيون إلى إعطاء أهمية لهذه السرية بسبب التضييق والضغوط التى كانت بين الأديان والنزاع بين هذه الأديان، والدين الجديدالذى أظهروه . وهذه السرية ولّدت عندهم

شئ من الخوف الذى كان يتطلب أمان أكثر وأهالى سالونيك جبناء. والأتراك يتكلمون . الآن هذا الخوف يولد الاحتياج إلى التمكين . ومع أن كل شخص إذا أصبح لديه القدرة والتمكين اضطر أيضًا للسرية فى بعض الأشياء وبالتالى أصبحت هذه طبيعتهم وسماتهم . وبالطبع عندما يضطر السالونيكيون إلى هذه الحياة السرية فإنهم يضطرون إلى التزاوج فيما بينهم.

- فى رأيكم هل هذا الزواج نبع من هذه السرية ؟

نعم إنه لو تزوج أحد من الخارج منهم فإنهم سيظهرون هذه السرية ولكنه بمرور الوقت سينساها وبهذا فإنه سيظهر فساد.

- سيدى يوجد عند العائلات السالونيكية شئ يسمى بنظام الأم وتزوج الأم فهل سيادتكم توافق على هذا ؟

- حقيقة إن هذا النظام غريب وأنا أعتقد أن هذا نبع عندهم من الخوف الذى تملكهم . فالأم تريد حماية أبنائها من المخاطر الخارجية.

- ولكن سيدى لماذا لايوجد هذا النظام عند الروم أو الأرمن . هم أيضا مثلهم ولكننا لم نصادف مثل هذا عندهم. ولكننا رأيناه عند اليهود .

- إن الروم أو الأرمن لم يعيشوا فى خوف مثل السبتائيين. لأنهم كانوا نصارى. ولكن اليهود كان عندهم نفس الخوف وإنه لم يعيش اليهود أكثر عهودهم راحة إلا فى عهد الدولة العثمانية. بينما كان اليهود الذين يعيشون فى الدول المسيحية ، كانوا يتعرضون للمظالم والتغريب.

وهناك كتابًا للسيد «ولزسكوت» يشرح فيه هذا جيداً. عندما تقرأ الكتاب يتضح لك مدى المعاناه التى لاقها اليهود من النصارى. ولهذا تولد عند اليهود خوف كبير حيث أنك ترى السيدة تمسك إبنها جيداً حتى تحميه من أخطار العالم الخارجى. ومن هنا نبع نظام الأم . واليهود الذين عاشوا فى الدول الأوربية لم يتعرضوا للتعذيب لأنهم كانوا مسيحيين .

- هل المال يترجم دائمًا على إنه قوة؟

- بالطبع لأنهم فى اللحظة اللتى كانوا يتعرضون فيها للتعذيب كانوا يدفعون المال لكى ينقذوا حياتهم. ولكن عندما يؤخذ المال من أيديهم فانهم بذلك يكونوا قد فقدوا كل شئ . وحينئذ تنتهى حيلة النجاة وبالطبع استمرار هذه الحياة بهذا الشكل تخلق لهم طابعا خاصًا.

- سيدى لقد لفت انتباهى أن المرأة السالونيكية امرأة غير سعيدة وليست سعيدة فى المنزل. لماذا ؟ لقد خلق هذا مشاكل عديدة ؟

- أنا لم أفكر فى هذا مطلقًا . ولكننى رأيت أن أكثرهم غير سعداء بالفعل . ولكنى أعتقد أن هذا نابعًا من طابعهم غير المقبول المشئوم. ويمكن أن يكون هذا نابعًا من أنهم فاهمون أنهم غير مسلمون حقيقيون وأنهم مضطهدين لوقت طويل وإحساسهم بالخوف دائمًا.

- إن السالونيكيين عمومًا غير متفائلين ويخافون من المستقبل دائمًا على إظهار أنهم سعداء . ما السبب؟

- إن السالونيكيين عمومًا غير مفتائلين ويخافون من المستقبل دائمًا . وإن عقيدتهم نمت على أنهم أقلية ويمتلكون عقلية تعتمد على الخوف.

- حسنا فبأى شئ تربط هذا التشاؤم ، مع أن المرأة هى التى تدير البيت وتحكمه ؟

- يرى السلانكيون دائمًا أنهم عائلات تسير على البروتوكول حيث أن الرجل هو الذى يتحكم فى العائلة. لأن الحال والعمل فى يده. ففى العائلات القديمة تحصيل الزوج أسبق بكثير من تحصيل الزوجة. ولكن بعض العائلات كان النساء فيها أكثر تسلطًا فهن يحكمن البيت بدلاً من الرجل.

- إن هذا ليس فى عائلتكم فقط بل يحدث هذا فى كل العائلات.

- نعم إنها سعادة حقيقية. إن الشخص يكون سعيداً إذا كان فى جماعة سعيدة. ولو كان يعيش فى جماعة غير سعيدة فهو أيضًا يكون غير سعيد. وأنا أيضًا بحثت عن كل الأشخاص السعداء وتقابلت معهم وكانت كل لقاءاتى مع الشباب. ليقول كل شخص ما يحلو له ولكن فى النهاية لتكن السعادة .

- بالنسبة لسيادتكم كيف يظهر الطابع المميز للجماعة فى نهاية هذا النظام المسمى (نظام) وكيف سينشأ الأطفال الذى تربوا تحت هذه الضغوط؟

- بالطبع سيكون هؤلاء الأطفال مرضى.

- إن كل الأشخاص الأغنياء الذين أتوا من سالونيك إلى تركيا ولعبوا دوراً كبيراً فى الجماعة السبتائية أصبحوا جميعا غير موجودين الآن وهذا يعنى إنتهاء أسطورة سالونيك ، ما رأى سيادتكم ؟

- نعم لقد أصبحت كل هذه الثروات غير موجودة. اليوم توجد عائلتين فقط من سالونيك ما زالت عندهم ثروات كبيرة حيث اضطر الأولاد إلى صناعة الأعمال التى كان يشتغلها آبائهم. ماذا حدث حينئذ ؟ لننظر إلى عائلتنا الآن أنا لست تاجراً ولن أكون . كانت عائلتى دائمًا تذكرنى بأن المال هو البضاعة وأن البضاعة هى المال حتى أنه كانت توجد كلمة مشهورة لأحد أقاربى كان يقول «ركوب السيارة سهل ولكن النزول صعب» هذا الشخص كان غنى جداً وكان دائمًا فى رحلاته يركب فى الدرجة الثانية حتى لو مر أمامه ترام الدرجة الأولى لايركبه. كان يوجد لديه منطق يقول بأنه كلما ازداد المال ازدادت القوة. كان الاقتصاديون السالونيكيون يخافون من المسقبل دائمًا . وكان نفس الخوف موجود عند اليهود وكانوا يمسكون المال دلالة على القوة. كما أنهم لايظهرون أحاسيسهم .

حتى لو أن شخصًا منهم غضب فانه لايتشاجر وينتظر مرور العاصفة بالطبع كل هذه الأشياء تخلق ضيق. وكل شخص فيهم كان يعتقد أنه أفضل من الآخر وأنهم مختلفون عن بعضهم البعض. توجد هموم خيالية. تنمو فى درجة لا يمكن تخيلها لقد عشت عام ١٩٣٨م ورأيت الحرب العالمية وعندما كانت أمى وأختى مضطرين إل الذهاب إلى باريس بالقطار كان علينا ألا نمر من إيطاليا وكان عمرى وقتها تسعة عشر عامًا. وكانت الحرب على وشك الانفجار وكانت أمى تخاف جداً بسبب نداء الجيش لى، وعلى هذا لو أن الإيطاليون قد دخلوا الحرب مع تركيا فبالتالى كنت سأترحل على الجيش. لكن لم يحدث هذا ومررنا من إيطاليا بسهولة.

- ما هو دور الأم فى العائلة ؟

- الآن الأم تخلق المشاكل دائمًا فى المنزل. وينبع هذا من أنها أتت من ديانتين مختلفتين لمدة ثلاثمائة سنة (يقصد هنا الازدواجية التى سار عليها الدونمة بين الإسلام الشكلى واليهودية المتأصلة فيهم) . والأكثرية ستقول عنا إننا ضعفاء ولانستطيع أن نكون موظفين فى الدولة. وبالطبع نحقق هذا بعد فترة ولكن ما زال نفس الخوف مستمراً . ولكن فى العائلات السالونيكية الحديثة الآن ذهب هذا الخوف وانقضى هذا الشعور. وربما أن أتاتورك هو الذى حقق هذا . وظهرت العلمانية وأصبح أتاتورك هو منقذ سالونيك إنه المنقذ، لأنه خلصنا من السرية. إن أكبر مشكلة كانت عندنا وأكبر سوء حظ لنا هو كوننا أصحاب ديانتين. كان هذا هو الشئ الذى أفسد معيار كل شئ.

وتستمر حتى اليوم السبتائية كمشكلة فى هويتها سواء فى الكسوة الاجتماعية أو فى الكسوة الدينية. أنا لا أعتقد أنه يوجد حتى الآن شخص يؤمن بأن سبتاى كان نبيًا.

إن الأساس هنا هو العالم الخارجى. هو انفصال الطفل عن العالم الخارجى لأنه من الممكن أن يقابل الطفل عدة مخاطر من العالم الخارجى. والسبب فى هذا مختلف عند الجميع . إن الطفل تحت ضغط دائم مستمر.

- سيدى، عندما كنت أبحث فى موضوع الطابع السالونيكى وجدت أكثر من شئ لفت انتباهى ، إن الزواج عند السبتائيين عموما لايعتمد على الحب، أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح لأن العائلة فقط هى التى تتخذ قرار الزواج ولكن فى الوقت نفسه يوجد نفس تقسيم البيت العادى ويوجد السلاملك والحرملك.

- ولكن توجد بعض الادعاءات على أننا لانرتدى عباءات ؟

توجد عندى صور لجداتى أثناء ما كانوا يعيشون فى سالونيك وهم يرتدون العباءات . ولكن فى حفل زواج أمى وكان هذا عام ١٩١٩م فى استانبول ، من خلال الصور الموجودة كانت أمى ترتدى ملابس أوربية ومكشوفة الرأس، ولهذا السبب نعتقد أن زى نساء السيدات السالونيكيات كان، الجلباب الأسود وذلك حتى عهد الجمهورية . عمومًا كان يوجد فى سالونيك نوعًا من التفرقة بين الرجال والنساء. وكان الرجال لايختلطون ببعضهم فى المجالس. وكان وجه المرأة لا يكشف

على الرجل الأجنبى. وكان الرجال السالونيكين يتزوجون بامرأة واحدة.

ومن الحوار السابق الذى دار بين زورلى وأحد رجال السبتائية أو الدونمة يتضح لنا الشكل الاجتماعى الذى كانت تعيشه الأسرة السبتائية، ذلك الشكل الذى كان يسيطر عليه الخوف والتشاؤم والحذر من كل أجنبى عنهم وكل هذا بسبب فقدان هويتهم وازدواجية شخصيتهم وحياتهم المرفوضة على كل المستويات .

ويختتم الكاتب كتابه بمقال يحمل عنوان : خطاب رجل مريض جاء فيه:

«لو أن أقلية فى دولة ما، شعرت بالاحتياج إلى من يدافع عنها ، ولو عضو واحد فى هذه الأقلية شعر بذلك فان هذا يعنى أن هذه الدولة بها ضغوط . منذ فترة مر بخاطرى أن أكتب مقالاً فى جريدة «اكسبريس» المشهورة التى يكتب فيها أناس وكُتّاب مشهورون . ولكن كان يجب ظهور فرصة لذلك. إن مجموعة كبيرة من رجال الأعمال الذين أشهروا إفلاسهم وقاموا بأعمال غير قانونية هربوا من تركيا بسبب أنهم يهود فقد اتهموا بالكذب لأنهم قالوا إنهم ليسوا من أصل يهودى وهنا يجب أن نوضح كيف ادعى أنه تمت ضغوط على رجل الأعمال .

وتوجد هنا عدة حقائق هامة يجب توضيحها وهى أن الجماعة التى تسمى بالسبتائية وتعيش فى تركيا الآن، وعملت على تصحيح معتقداتها الدينية التى استمرت لمدة ثلاثة قرون، هذه الجماعة ، عاشت تحت مبدأ يهودى صوفى من خلال هوية إسلامية شكلية. وقد أسسوا عدة منظمات فى المجتمعات التركية أثرت بشكل كبير فيه، هذه الجماعة جاءت إلى تركيا بموجب مبادلة عام ١٩٢٤م وبدأ ينسون تكوينهم المنغلق السرى شيئًا فشئ وبسبب معتقداتهم فقد تعرضوا للضغوط على يد أتاتورك وعصمت إينونو. وهوجموا فى الجرائد من كونهم أعضاء بها. وواحدة من هؤلاء هى عائلة هذا الرجل الذى تحدثنا عنه وهو رجل الأعمال حيث أخفوا هذا الموضوع تمامًا ولم يتحدثوا فيه قط.

ويوجد فى تركيا اليوم أعضاء كثيرين ينتسبون للسبتائية ولهم نشاطات واضحة فى المجالات المختلفة منهم رجل الأعمال والصحفيين والكتاب وكلهم ذوى أصول سبتائية يهودية . ومع أن هؤلاء الناس لاتعترف إسرائيل بهم كيهود ، ولاحتى الحاخامية الكبرى فى تركيا تعترف بهم ولكنهم مع ذلك ذوى أصول يهودية. ويكونون جزء من الثقافة اليهودية . ومنذ عام ١٩٢٤م رأى كل من له

أصول سبتائية ضغوطا كثيرة فى تركيا . وأكبر دليل على ذلك حادثة ضرائب ١٩٤٢ك. حيث اضطر هؤلاء الناس دفع ضرائب أكثر من المسلمين على وجودهم فى تركيا . وهذه الضغوط تم تناولها فى الكتب التى كان يؤلفها كتاب اليمين.

كما أن العائلات كان يذكر بعضًا منها على أنا منظمات إرهابية وهذه العائلة (عائلة رجل الأعمال) التى تعرضت لضغوط كبيرة طوال سنوات عديدة.

وهناك دليلاً أخيراً عن هذه الصحف : يقول إن من ينكر أصله ابن حرام وقد عبر عن هذا أكبر عضو فى هذه العائلة وهى عائلة هذا الرجل «رجل الأعمال» . وقد كان أصل هذه العائلة ضشخصًا يهوديًا عاش فى مقاطعة «اولفو» فى إيطاليا ، وهذا الرجل عبر عن مكدى المعاناة التى كانوا يعتقدون منها فى ضريبة الوجود. والآن فإننى أتساءل كم معبد وكنيسة فى هذه الدولة وجد مساعدة مادية فى إنشائه ! ومن أطلق علينا خائنين للوطن؟ لنكن واضحين . لكن مع الأسف فإن الدولة التركية كانت أكثر موضوعية بشأن الحرية الدينية ولكنها أكثر تخلفًا وتقول إننا لنم نستطيع أن نصل إلى هذه الأرضية بالكذب.

والكاتب هنا يتهم تركيا بالتخلف لرفضها هذه الجماعة (السبتائية) ولم يكن هذا الموقف من تركيا سوى رفضها لهؤلاء المنافقين الذين أظهروا فسادا فى الدولة وارتكبوا العديد من الأعمال الخارجة عن القانون وعن الشريعة اليهودية إلى جانب نفاقهم الذى انتهجوه بشخصيتهم المزدوجة اليهودية والإسلامية وأننا لا ننكر ظهورهم كحركة دينية مخادعة اتخذت من الدين والتصوف وسيلة لها فى التسلل إلى أنظمة الدولة واتبعوا أساليب الخداع والمرائية واللادينية فهم جماعة بلا دين ولا ولا مبدأ لهم كل ما يحاولونه الدفاع عن وجودهم اليهودى. وعلى أى حال فهؤلاء هم اليهود وهذا هو حال اليهود فى كل زمان ومكان وتستحضرنا هنا الآية الكريمة التى تشهد على هؤلاء المنافقين فى قوله تعالى:

﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ﴾ صدق الله العظيم . (سورة محمد : آيتى ٢٥و٢٦) .

الخاتمــة

لقد كان الغرض من دراسة هذه الجماعة المسماة بالسبتائية أو الدونمة أن ننقل أهداف هذه الجماعة بقلم من يدافع عنها وهو من أصل سبتائى يهودى وقد استخلصنا من خلال تقديم منهجه النقاط التالية:

- إن السبتائية أو الدونمة حركة دينية ذات أصول يهودية اتخذت شخصيتين مزدوجتين شخصية إسلامية ظاهرية وأخرى يهودية أصيلة ، فأصبحوا أصحاب ديانتين مختلفتين عن بعضهما اختلافا بينًا.

- كان لهذه الجماعة تأثيرها القوى بسبب محاولتها التقرب إلى المؤسسات والطرق الصوفية الإسلامية مع زعمها بارتباطها بالتصوف .

- رفض اليهود لهذه الجماعة بسبب ازدواجيتهم بين اليهودية والإسلام الظاهرى وإجازتهم المحرمات المتبعة فى الشريعة اليهودية التقليدية.

- رفض المجتمع التركى لهذه الجماعة بسبب اتخاذهم أسماء تركية إسلامية واتباع نظام السرية والغموض الذى يكتنف حياتهم وفقدان هويتهم.

- كانت هذه الجماعة الأداة المنفذة لأكبر حركتين شهدتهما تركيا وهما الحركة الصهيونية التى هدفت لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين وحركة الاتحاد والترقى التى أثرت على مجريات الحياة فى الدولة العثمانية والتى أدت إلى سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية.

- دورهم فى تتريك الدولة واتخاذ الأساليب الغربية فى إدارة الدولة إلى جانب تشجيعهم للاتجاهات القومية التركية.

- تأثير هذه الجماعة على الفكر التركى المسلم والاتجاه إلى تقليد الغرب. مع اتخاذهم شعار الماسونية : الحرية، الإخاء ، المساواة شعارا لهم محاولين اتخاذه مبدأ دينيا لهم.

- تغلغل هذه الطائفة داخل أنظمة الدولة فى تركيا بهدف السيطرة عليها سياسيا واقتصاديا والسعى لتحقيق أغراضهم .

- سيطرة هؤلاء على الإعلام التركى وتوجيهه لخدمة أهدافهم عن طريق امتلاكهم الصحف ودور النشر فى تركيا.

- وجود أعضاء فى تركيا لهم نشاطات فى مجالات مختلفة مثل رجال الأعمال والصحفيون والكتاب وبعض رجال الدولة الذين يشغلون مناصب حساسة فى الدولة حيث يرجع أصول هؤلاء إلى السبتائية (الدونمة) .

- إن خروج هذه الجماعة من الإطار اليهودى وعدم اعتراف اليهود الشرعيين بهم، هو السبب فى الأزمة التى أثارها الكتاب والدارسون ذوى الأصول السبتائية من أجل إثبات أحقيتهم كيهود أصليين ، أما كونهم دخلوا الإسلام فلأسباب وقتيه فرارا من العقاب متخذين مبدأ التقيه وهذا لاينفى أصلهم وهويتهم التى يرجعون إليها .

ومن هنا نستطيع القول إن الدونمة جماعة عملت على التأثير على مجريات الأمور فى تركيا وتقوية مركزها هناك بهدف تحقيق أغراضها على اختلاف أطوارها بدءًا بادعاء سبتاى أنه المسيح المنتظر ، ثم تطور هذه الجماعة بعد موت مؤسسها، وانقسامها إلى ثلاثة فرق. وفى النهاية اندماجهم وانصارهم داخل المجتمع التركى بسميات تركية ولايزالوا حتى الآن يحملون شخصيتين مزدوجتين متناقضتين ، الشخصية اليهودية الأصلية والشخصية الإسلامية الخارجية فعاشوا منعزلين مرفوضين من مجتمعهم اليهودى الأصلى ومن إسلامهم المخادع للمجتمع التركى .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية

- القرآن الكريم .
- التوراة .

١- ابراهيم الداقوقى، فلسطين والصهيونية فى وسائل الإعلام التركية، العلاقات العربية التركية، حوار مستقبلى ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.

٢- أحمد سوسة ، العرب واليهود فى التاريخ، العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٧ ، دمشق ، بدون تاريخ .

٣- أحمد شلبى، اليهود ، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط١٠ ، ١٩٩٢م.

٤- أحمد عثمان ، تاريخ اليهود ، ، ج٣ ، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥- أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة، دار البشري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

٦- أحمد نورى النعيمى ، أثر الأقلية اليهودية فى سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، رئاسة جامعة بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٢م.

٧- أحمد نورى النعيمى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، الأردن، ، ١٩٩٧م.

٨- أرنست رامزور ، تركيا الفتاة ، ترجمة صالح أحمد العلى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

٩- أكمل الدين احسان، الدولة العثمانية وحضارة ترجمة صالح سعداوى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، ج٢، استانبول ، ١٩٩٩م.

١٠- السلطان عبد الحميد الثانى، مذكرات ، ترجمة محمد حرب ، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٩٩٨م.

١١- جواد رفعت اتلخان ، أسرار الماسونية ، ترجمة نور الدين رضا وسليمان محمد أمين القابلي المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٢- حسان علي حلاق ، نوقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ط٢، دار الهدى، جامعة بيروت العربية، ١٩٩٠م.

١٣- حسن ظاظا ، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥م.

١٤- رشيد رضا ، المنار، ج٢، م١٦ ، ١٩١٣ .

١٥- رفيق شاكر النتشه، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، مكتبة مدبلوي، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

١٦- زين نور الدين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية الترية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩ .

١٧- س. ناجي، المفسدون في الأرض، العربي للنشر والاعلان، ط٢، دمشق ، ١٩٧٣م.

١٨- صارير طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

١٩- صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي ، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، كفر نبرخ، ١٩٩٨م.

٢٠- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية ، أربع أجزاء، القاهرة، بدون تاريخ .

٢١- عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٢- عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، دراسة في الحركة اليهودية الهدامة والسرية ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٣- عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٤- محمد إبراهيم زغروت، دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٥- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى والبلقان، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٦- محمد حرب، تركيا والمصلحة العربية، رسائل النداء الجديد، عدد ٤٣، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٧- محمد حرب ، خواطر عائد من استانبول ، الوعى الإسلامى فى تركيا، جريدة الأحرار، ١٥ / ١١ / ١٩٩٦م.

٢٨- محمد حرب ، يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد، مجلة العربى الكويتية، العدد ٢٥٥ ، ١٩٨٠م.

٢٩- محمد حرب ، يهود الدونمة ودراسات إسلامية تاريخية، مؤسسة الدراسات التاريخية ، الكويت، بدون تاريخ.

٣٠- محمد على قطب، يهود الدونمة فى تركيا، الدار الرياض للنشر، القاهرة ٢٠٠٢م.

٣١- محمد نور الدين، تركيا فى الزمن المتحول، دار الرياض الريس، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٢- مصطفى طوران، يهود الدونمة، ترجمة كمال خوجه، دار الإسلام، استانبول، ١٩٩٧م.

٣٣- ميشال نوفل وآخرون، العرب والأتراك فى عالم متغير، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت ١٩٩٣م.

٣٤- ميم كامل اوكى، السلطان عبد الحميد بين الصهيونية والعالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادوق، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣٥- هـ. ت. نوريس، الإسلام فى البلقان ، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة ، رقم ٤٩ ، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٦- هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، جزءان ، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م.

٣٧- هدى درويش ، علاقة تركيا باليهود وإسرائيل على البلاد العربية ، رسالة دكتوراة ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٠م.

٣٨- هـ. س. أرمسترونج، الذئب الأغبر ، مصطفى كمال، دار الهلال، القاهرة، يوليو ١٩٥٢م.

ثانيا المراجع التركية :

32- A.r. Kucuk, Dunmeler Tarihi, Ankara, 1992 .

(عبد الرحمن كوتشوك (كوجوك) ، تاريخالدوغة، أنقرة ، ١٩٩٢م) .

33- Ahmet Harun, Biri Mason Biri donme, Akit, 13 Ekim, 1999 .

(أحمد هارون، أحدهم ماسونى ، والآخر دوغة، جريدة عقد التركية، ١٣ أكتوبر ١٩٩٩م) .

34- Harun Yahya , Yahudilik ve Masonluk Istanbul, Tarihsiz.

(هارون يحيى ، اليهودية والماسونية ، استانبول ، بدون تاريخ) .

35- Ilgaz Zurlu , Evet, Ben Selanikliyim, Turkiye Abatayciligi, Istanbul, 1998 .

(ايلغاز زورلى، نعم أنا سالونيكى، السبتائية فى تركيا ، استانبول، ١٩٩٨م).

36 - Ibrahim Timonun ittihad ve Teraki Anlari, Arba Yayinlari Istanbul, Tarihsiz .

ابراهيم تيمو، مذكرات الاتحاد والترقى، ارابة للنشر، استانبول، بدون تاريخ .

37- Ismail Hami Danismend , Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, 4. c. Istanbul, 1972 .

(اسماعيل حامى دانشمند، تقويم التاريخ العثمانى، ج٤، استانبول،١٩٧٢م).

38- Izzet Nurigun ve Yalcin Celikler, Masonluk ve Masonlar Istanbul, 1968.

(عزت نورى كون، وياليجن جليكر، الماسونية والماسون، استانبول ١٩٦٨م) .

39- Mustafa Kara Tekkeler ve Zavviyeler, Istanbul, 1980 .

(مصطفى قارا، التكايا والزوايا، استانبول ، ١٩٨٠م) .

40- Mossadin etkisi Arti Radikal, 26 Subat 1999 .

(ازدياد تأثير الموساد، جريدة راديكال ، ٢٦ فبراير ، ١٩٩٩) .

41- Nahid Dincer, Ybanci Ozel Okullar, Istanbul , Tarihsiz.

(ناهيد دينتشر، المدارس الأجنبية الخاصة، استانبول ، بدون تاريخ).

42- Nexdet Sevinc, Ajan Okullari Istanbul, 1975 .

(نجدت سونج ، مدارس العملاء ، استانبول ، ١٩٧٥) .

43- Ogun Duru, Sebetayeıden Mutgis Iddia, Yeni Safak, 22 , Mayis, 1999.

(اوجون دورو، الادعاء المأخوذ عن السبتائية ، مجلة القمر الجديد، ٢٢ مايو ١٩٩٩م) .

44- Peter . Alford Andrews Turkivede Etnik Grlpar , Turkcesi, Mustaf Kupus Oglu, Istanbul, 1992 .

(بيتر الفورد اندروز ، المجموعات العرقية فى تركيا، ترجمة إلى التركية مصطفى كوبوش ، اوغلو ، دار اند للنشر، استانبول ١٩٩٢م.

44- Selahttin Galip , Turkiyede Donmele Ve Donmelik, Kiracli Yayinlari , Istanbul, 1977 .

(صلاح الدين غالب، يهود الدونمة ومذهبهم فى تركيا، دار قيرجالى، استانبول، ١٩٧٧م) .

الفهرست

صفحة

الجزء الأول

الفصل الأول :

الفصل الثانى :

الفصل الثالث:

الجزء الثانى

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٨٣٣٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 098 - 2

دار روتابرينت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق


دكتورة هدى درويش
حقيقة يهود الدونمة فى تركيا
وثائق جديدة


للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES